ليس هذا كتابا !

إنما هو « ريبورتاج » صحفى للحياة الضاحكة التى كانت تعيشها أمريكا قبل الحرب ، ولم أحاول أن أجعله برهانا على تمكنى فى اللغة ، وتضلعى فى النحو والصرف والإعراب .

لم أستعن بألفاظ ضخمة مغمورة فى القواميس ، بل لجأت إلى أسلوب صحفى سهل ، أؤمن بأنه أسلوب النشاط والحركة ، ونحن فى عصر تحرك كل ما فيه ، حتى الألفاظ !

وإنى أهدى كتابى الأول إلى أخى « السندباد البحرى » الذى كان معارضا فى أن أسافر إلى أمريكا ، ومعارضا فى أن أخرج كتابا ، ومعارضا فى أن أشتغل بالكتابة والصحافة !

مصطفى أمين

طبع بمطابع دار أخبار اليوم

مطبوعات أخبار اليوم

قطاع الثقافة

أمريكا الضاحكة

مصطفى أمين

Bibliotheca Alexandrina
0098469

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

مطبوعات
أخبار اليوم

قطاع الثقافة

أمريكا الضاحكة

مصطفى أمين

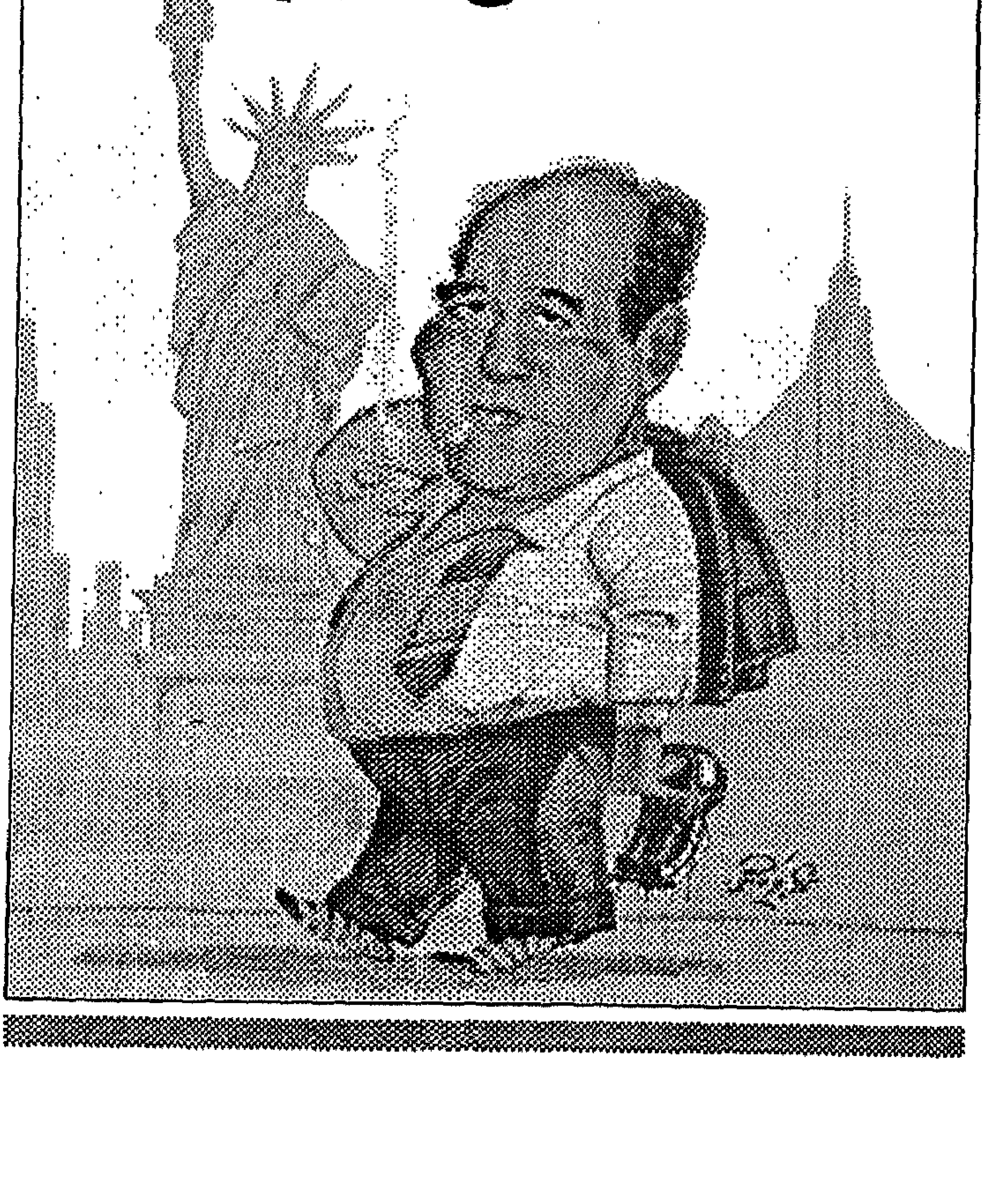

أمريكا الضاحكة

الإخراج الفنى :

مجدى حجازى

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمى

ليس هذا كتابا !

إنما هو «ريبورتاج» صحفى للحياة الضاحكة التى كانت تعيشها أمريكا قبل الحرب، ولم أحاول أن أجعله برهانا على تمكنى فى اللغة، وتضلعى فى النحو والصرف والإعراب.

لم أستعن بألفاظ ضخمة مغمورة فى القواميس، بل لجأت إلى أسلوب صحفى سهل، أؤمن بأنه أسلوب

النشاط والحركة، ونحن فى عصر تحرك كل ما فيه، حتى الألفاظ !

وإنى أهدى كتابى الأول إلى أخى « السندباد البحرى » الذى كان معارضا فى أن أسافر إلى أمريكا ، ومعارضا فى أن أخرج كتابا، ومعارضا فى أن أشتغل بالكتابة والصحافة !

مصطفى أمين

١ كانت .. ثم أصبحت !

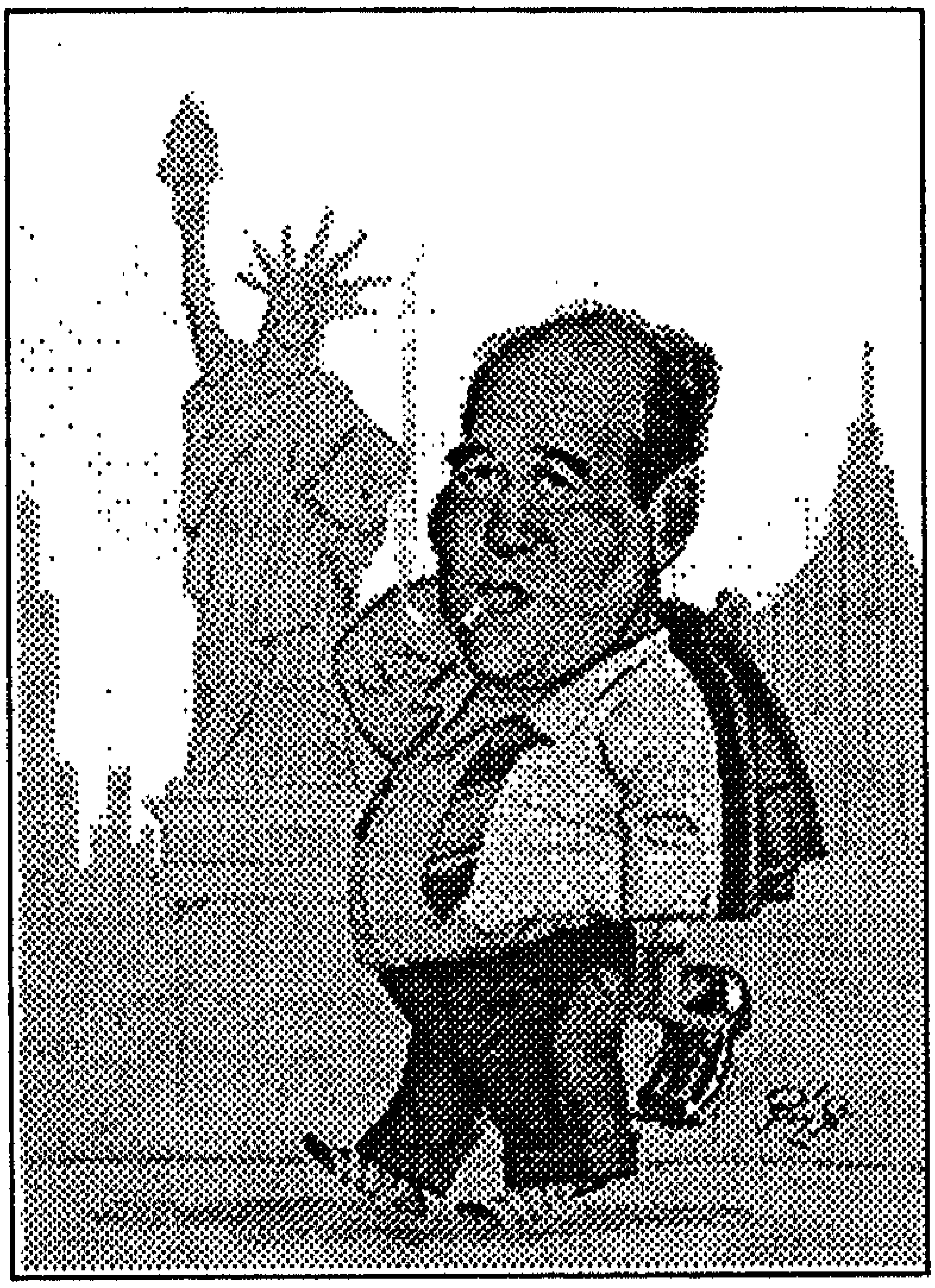

١

كانت.. ثم أصبحت!

عندما سافر صاحبنا إلى الولايات المتحدة لأول مرة، تصور نفسه كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا. كانت الولايات المتحدة فى تلك الأيام غير معروفة للعالم القديم، كانوا يعرفون اسم آل كابونى رئيس العصابات، ولا يعرفون اسم مستر هوفر رئيس الجمهورية. كانوا يتصورون ان كل فتاة أمريكية ملكة جمال، وكل شاب أمريكى راعى بقر، وكل رجل أمريكى صاحب ملايين. وكانت زيارة أى شاب لأمريكا حلما من أحلام الشباب.

ثم اكتشف صاحبنا بعد أن توغل فى أمريكا أن فيها الغزال وفيها القرد. فيها غصن البان وفيها شجرة الجميز. فيها نساء تمنى أن يرتمى بين أحضانهن، ونساء تمنى أن يلقيهن من الشباك!

كانت أمريكا منذ خمسين عاما تلهو وتلعب وتبتسم وتضحك. أشبه بشاب مرح ورث ثروة طائلة، لا يعرف كيف يبعزقها، فهو يشعل السيجارة بورقة بنكنوت من ذات الألف دولار. وهو يقيم سهرة عابثة حمراء، ويضع فى حوض السباحة شامبانيا بدل الماء، ويدعو المدعوين والمدعوات إلى السباحة وهم عراة!

وكان الوصول الى أمريكا صعبا. إذا ذهبت إلى القنصلية الأمريكية

لتطلب تأشيرة دخول، خيل لك أنهم يسألونك سؤال الملكين: يقدمون لك ورقة كبيرة الحجم فيها ثماني صفحات وفيها ألف سؤال وسؤال. ما اسمك؟ ما اسم أبيك وأمك وعمك وبنت خالتك! وما هو عنوان الشخص الذى يجب إخطاره فى حالة وفاتك؟ ولمن توصى بأموالك؟ وهل تسكن بيتا مملوكا أو بالايجار؟ وهل أنت عضو فى جمعية كلوكلاكس كلو الإرهابية؟ وهل أنت عازب أو متزوج؟ وكم مرة فكرت فى الانتحار؟ وكيف توفى والدك؟ وهل أحد من أسرتك مات قتيلا؟ وهل تنوى الطلاق من زوجتك؟ وهل لك عشيقة؟ وما هو اسمها؟ وهل هى شقراء أو سوداء الشعر؟ وكم من النقود فى جيبك؟ وما حسابك فى البنك؟ وهل أنت مديون أو دائن؟ وهل كان أحد من عائلتك مختل العقل؟ وهل تحب الممثلة جريتا جاربو أو الممثلة مارلين ديتريش؟ وكم فى فمك من الأسنان الذهبية؟ وما هى درجة حرارتك الطبيعية؟ وما الغرض الحقيقى من سفرك الى أمريكا؟ وهل اتهمت من قبل فى جريمة سرقة؟ هتك عرض؟ نصب واحتيال؟ وكم يوما ستبقى فى أمريكا؟ ومتى تغادرها؟ وإلى أى بلد ستذهب بعد ذلك وما هو عنوانك فى هذا البلد. وهل تعرف أحدا فى الولايات المتحدة؟ هل هو طويل أو قصير؟ هل حكم على أحد من أسرتك فى جريمة؟ هل فى دمك دم هندى؟ هل تحمل شهادة عالية؟ كم مرة تستحم فى الاسبوع؟ هل فى جسمك «حسنات» وفى أى مكان توجد هذه الحسنات بالضبط وألف سؤال كهذا لا يخطر بالبال.. أو من قلة الأدب أن يخطر على البال!

وإذا انتهى صاحبنا من الاجابة عن هذه الأسئلة العجيبة الغريبة عرضوه على طبيب القنصلية ليفحص كل جزء من جسمه بالميكروسكوب والتلسكوب وجميع أنواع النظارات، ثم يفحص عينيه ليتأكد انه ليس مريضا بمرض التراخوما، وهو مرض تخاف منه أمريكا أكثر مما تخاف من وباء الكوليرا. ثم بعد ذلك يحقن الطبيب صاحبنا بدستة من الأمصال والحقن ضد كل أنواع الأمراض والأوبئة..

وبعد خمسين عاما تحسنت الأحوال، وأصبحت أمريكا تسأل القادم إليها ألفا وخمسمائة سؤال، بعد أن كانت تسأله مائة ألف سؤال!

واختصرت الأوراق التي تملؤها من ثماني صفحات الى أربع صفحات. وحلت مكان الصفحات المختصرة عشرات الأسئلة. هل أنت شيوعي؟ هل أمك شيوعية؟ هل زرت بلدا من بلاد الستار الحديدي؟ هل لك أقارب في أي بلد اشتراكي؟ هل في ملابسك ملابس مصنوعة في بلد شيوعي؟ هل تزوجت أو تزوج أحد من أسرتك من فتاة روسية؟ هل تفتح راديو موسكو؟ هل يفتح أحد من أقاربك راديو موسكو؟ ذلك ان الولايات المتحدة أصيبت في الخمسينات بهستيريا اسمها الشيوعية. وتألفت لجان برلمانية تبحث في أصل وفصل كل صحفي. وكل مشتغل بالسياسة، وياويلك إذا كان قريب من أقربائك مر بموسكو، أو قبل فتاة روسية في شفتيها، أو قرأ كتابا من تأليف لينين!

وكانت هذه التهمة كافية للقضاء على أي رجل أو امرأة! وبلغ بهؤلاء المهاويس أن اتهموا شارلي شابلن الممثل الهزلي العالمي بأنه شيوعي، وراقبوه وحاصروه وبهدلوه، حتى اضطر أن يغادر أمريكا التي عبدته سنوات طويلة، ويتنازل عن الجنسية الأمريكية ويلقي بجواز سفره الأمريكي في سلة المهملات! في تلك الأيام كفت أمريكا عن الضحك، وأصبحت أمريكا العابسة الجامدة، ولفقت قضايا ضد الكثيرين من الأبرياء، وقام عضو مجلس شيوخ أفاق اسمه السناتور مكارثي بحملة إرهاب ضخمة أثارت الذعر والقلق، وفقد كثيرون مناصبهم. واختفت أسماء لامعة، فقد كانت التهم تنهال على الأمريكيين كالمطر، هذا شيوعي وهذا صديق للشيوعيين، وهذا صادق من عشرين سنة امرأة شيوعية وهذا يحتفظ في بيته بكتاب ألفه ستالين. وهذا هو ابن خالة بنت عم زوجة أخ رجل كان عضوا في الحزب الشيوعي الأمريكي منذ خمسين سنة!

وعاش الأمريكيون في هذا الجو الموبوء بضع سنوات الى أن تصدى الرئيس ايزنهاور لهذا السناتور الأفاق، وصمد أمام تهديداته واتهاماته وتلفيقاته وحمل عليه حملة شعواء أسقطته في أعين الناخبين، واستطاع ايزنهاور أن يقضي عليه ويعيد للمواطن شعور الطمأنينة بأن الدستور الأمريكي وحده والقانون الأمريكي فقط هو الذي يحاكم الناس وليس

ألسنة الشيوخ والنواب سواء كانوا أفاقين أو غير أفاقين!

واختفى مكارثى واختفى معه عهد أسود لا يذكره الأمريكيون إلا باللعنات!

وأغرب ما لاحظه صاحبنا أن أمريكا لا تستقر على حال. فهى تهوى التغيير والتبديل. ففى كل عام يتغير شكل السيارة وشكل التليفزيون وشكل العمارة! وكثيرا ما زار شارعا فى نيويورك فوجده مخصصا لأكواخ الفقراء والغلابة وأصحاب الدخل المحدود، ويعود فى العام التالى ويجد الشارع القديم قد اختفى، كأن الأرض انشقت وابتلعته، وحل مكانه شارع جديد، ناطحات سحاب ضخمة مكان الأكواخ الصغيرة ومحلات تجارية أنيقة واسعة مضاءة بأنوار النيون مكان الدكاكين الضيقة التى كانت تبيع السجق والملابس القديمة والروبابيكيا. وناطحات السحاب يلعبون بها كالمكعبات الخشبية التى يلعب بها الأطفال. فهذه عمارة من عشرين طابقا، يهدمونها ليبنوا أربعين طابقا، ولا تكاد تقوم العمارة وتمتلىء بالسكان والمحلات التجارية حتى يقرروا هدمها وبناء عمارة من ستين طابقا! وسرعة الأمريكيين فى بناء العمارات أشبه بالمعجزات، وبعض المهندسين استطاعوا أن يبنوا طابقا كل ستين دقيقة. والطريقة هى أن يبنوا الطابق كله على الأرض، ويفرشوا الغرف، ويمدوا إليها أسلاك الكهرباء ومواسير المياه، ويضعوا على نوافذها الستائر، ويعلقوا على الجدران الصور الفنية ثم يرفعوا الطابق كله بأوناش ضخمة ويضعونه فى أعلى العمارة، ثم يجىء العمال ويربطون هذا الطابق بالمواسير وقطع الأسمنت!

وهم أحيانا يبدأون بتركيب المصعد، ثم ينقلون إليه كل ما يحتاجون من طوب وأسمنت وحديد ثم الأبواب والشبابيك، وكثيرا ما ينتهى بناء أحد الأدوار فى الساعة الثالثة بعد الظهر، وفى الساعة الثالثة وخمس دقائق يمتلىء بالسكان الجدد، وفى الساعة الثالثة وعشر دقائق تجىء شركة التليفونات وتضع التليفون، وفى الساعة الثالثة والربع يبدأ الساكن الأمريكى فى التفكير فى الانتقال إلى عمارة أخرى!

وبعض السكان العصبيين يهوون كثرة الانتقال من شقة إلى شقة،

ولهذا عندما تتقدم الى وظيفة جديدة يسألونك بين الأسئلة التى تجيب عنها كم من المرات انتقلت من شقتك خلال هذا العام. وعادة يرفضون تعيين الموظف كثير الانتقال، لانهم يستنتجون انه عصبى وقلق وغير مستقر، ولهذا لا يمكن أن يصلح لمسئولية هامة!

وقد أصيبت السياسة الأمريكية بعدوى الانتقال من مكان إلى مكان! فصديق الأمس خصم اليوم، وعدو هذا العام هو حليف العام المقبل! فإن أمريكا مثلا حاربت المانيا مرتين، وأصبحت الآن من أقوى حلفائها، وألقت على اليابان قنبلة ذرية، ثم أسرعت تحتضنها وتحول الخرائب إلى عمارات وتصبح اليابان الصديقة والحليفة التى يعتمد عليها كل الاعتماد!

والأمريكى يحب السرعة. وهذا سر تحالف السياسة الأمريكية مع الدول الديكتاتورية، فإنه من السهل أن تتعامل مع الحاكم الفرد، ومن الصعب أن تتعامل مع الدول الديموقراطية. فلا بد أن يعرض الأمر على مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ ثم اللجان البرلمانية، وقد تهاجم الصحف الاتفاق ويثور الرأى العام عليه، وتضطر الحكومة الديموقراطية إلى التمهل فى إمضاء الاتفاق حتى يهدأ الرأى العام.. وهكذا تقضى أمريكا سنوات مع الدولة الديمقراطية فى مفاوضات ومباحثات، بينما تستطيع أن تصل الى نفس الاتفاق مع الحاكم الفرد فى بضع دقائق.. وعادة ما تكسبه أمريكا بسرعة تخسره بسرعة أيضا!

ومن عادة أمريكا أن يفوتها القطار، ثم تجرى وراء القطار الذى كانت تستطيع أن تستقله وهو واقف فى المحطة.. وتضطر أن تركب سيارة لتلحق القطار فلا تسعفها السيارة، فتستقل طائرة.. وهكذا تدفع أمريكا دائما ثمن ركوبها القطار مضاعفا عدة مرات!

ويذكر صاحبنا انه فى نهاية الحرب العالمية الأولى أدلى الرئيس ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة بالمبادىء الاثنى عشر. وكان آخر هذه المبادىء حق كل شعب فى تقرير مصيره.

وقامت ثورة مصر فى سنة ١٩١٩ ضد الانجليز تطالب بحق الشعب المصرى فى تقرير مصيره، وكان المتظاهرون يهتفون بحياة سعد زغلول

زعيم الثورة ومستر ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة!

وفى سوريا خرجت التظاهرات تطالب بأن تكون سوريا تحت الانتداب الأمريكى!

وإذا بالرئيس ويلسون يعترف فجأة بالحماية البريطانية على مصر وانقلبت المظاهرات التى تهتف بحياة ويلسون إلى مظاهرات تلعنه وتهتف بسقوطه!

وحدث نفس الشيء فى سوريا عندما اعترف ويلسون بالانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان.

○○○

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية، وفى أولها كان العرب يميلون الى هتلر لأنه كان ضد اليهود، ثم دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد المحور وأعلن الرئيس روزفلت الحريات الأربع، وتحمس العرب لأمريكا ثم فوجئوا بالرئيس ترومان خليفة روزفلت يعترف بإسرائيل، بعد الوعود التى أكدها روزفلت للعرب أثناء الحرب.. فقد رأت سياسة أمريكا أن تنتقل من شقة الى شقة ومن سياسة الى سياسة، ومن صداقة مع العرب الى غرام بإسرائيل..

وجاءت سنة ١٩٥٦ وبدأ الغزو البريطانى الفرنسى الاسرائيلى لمصر وإذا بالرئيس ايزنهاور يتدخل ويرغم الغزاة على وقف الحرب، ويجبرهم على الانسحاب من جميع الأراضى المصرية..

وتعود لأمريكا شعبيتها فى المنطقة، ثم لا تلبث أن ترتمى فى أحضان اسرائيل من جديد، وتحل صورة الأمريكى القبيح محل صورة الأمريكى الصديق، وتفقد أمريكا صداقة منطقة حساسة فى الشرق الأوسط فيها مصالحها الضخمة، متجاهلة الصداقات القديمة التى كانت بينها وبين الدول العربية فى هذه المنطقة.

وعجب العرب وقد رأوا أمريكا تقوم وتقعد لأن هتلر طرد اليهود من ألمانيا، وتسكت على طرد العرب من فلسطين..

وتغمر أمريكا الدولة المعتدية بالسلاح، وتحرم الدولة المعتدى عليها من

السلاح. وتسحب معونة السد العالى لأن مصر اعترفت بالصين الشعبية، وبعد سنوات قليلة اعترفت أمريكا بالصين الشعبية!

وتجيء أمريكا الى لبنان لتحمى البلد الصديق من الغزاة، وتنتهى بأن ترسل الأسطول السادس ليضرب سكان لبنان بالقنابل والصواريخ.. وفجأة تنسحب الأساطيل بلا سبب سوى اقتراب موعد الانتخابات!

وفى إيران كانت صحف أمريكا تشيد بالشاه وتمجد الامبراطور وتتحدث عن حكمه الوطيد وشعبه السعيد، وفوجئت أمريكا بالثورة تندلع فى إيران، فهزت عرش الطاووس، ثم هوت به، وهرب الشاه، ثم اشتد عليه مرض السرطان، وإذا بالولايات المتحدة تغلق مطاراتها وموانيها فى وجه الصديق العزيز القديم، وترفض أن تعالجه فى أى مستشفى أمريكى، ويضطر الشاه المريض المسكين أن يلجأ إلى جمهورية بنما إلى أن تفتح مصر ذراعيها له فيلجأ إليها ليموت بعد شهور!

○○○

هذه الصورة البشعة لمعاملة الصديق القديم تركت أثرا سيئا فى نفوس العرب الذين يهتمون اهتماما كبيرا بمعنى الصداقة، والذين يؤمنون بأن الصديق هو صديق الضيق والمحنة والأزمة، وأن صداقة الكرسى لا تساوى قرشا، بينما الصديق الحقيقى من يصادقك وأنت ضعيف، ومن يحالفك وأنت لا نفوذ لك ولا سلطان! وهكذا فالأمريكى يستبدل الصداقات كل عام كما يستبدل السيارات، ويؤمن بأن لذة الهوى فى التنقل بين حليف وحليف!

وفقدت الولايات المتحدة كثيرا عندما شعر العرب بأنها تصدِّر لهم السلاح والسيارات والطائرات والتليفزيون وأفلام السينما والفيديو، ولاتصدر لهم أحسن ما لديها وهى الديموقراطية وحقوق الانسان..

فإن قيمة أمريكا الحقيقية هى أن تدافع عن الحرية، لا فى بلادها فقط وإنما فى كل بلد فى العالم. وقد تخسر فى هذا الدفاع بعض مصالحها، ولكن المؤكد انها ستكسب فى نهاية الأمر كسبا مستمرا يعيش عشرات السنين. فصداقة الشعوب تعيش الى الأبد لأن الشعوب لا تموت، أما صداقة

الحكومات فهى تتغير وتتبدل كما تتغير حالة الطقس فى فصل الشتاء!

وزار صاحبنا أمريكا ستا وعشرين مرة. زارها كشاب وزارها كشيخ وزارها وهو مفلس، وزارها عندما كان يستطيع أن يقيم فى أفخر فنادقها وعاش فيها وهى تضحك، وعاش فيها وهى تعبس، ورأى أمريكا وهى فى سن الشباب، ورآها وهى عجوز تملأ وجهها بالمساحيق. وعاش فيها سنوات الأزمة وعصور الرخاء. وقد أعجبه فى المواطن الأمريكى عشقه للعمل. فهو يعطى كثيرا، ليأخذ كثيرا. إذا تولى عملا عشقه وتفانى فيه، وجدد وابتكر. وهو طموح يهوى الأجمل والأكبر والأضخم والأغنى فى كل شىء، لا يقنع بالقليل ولا يرضى بالحياة المتواضعة الراكدة.

○○○

وقد رأى شارع برودواى فى نيويورك فى الثلاثينات ثم رآه فى الثمانينات وإذا بالشارع يتحول إلى مدينة، وإذا بالبيوت تتحول إلى ناطحات سحاب. وهو شارع فيه كل شىء : دور السينما والمراقص والملاهى والمسارح والمطاعم والحوانيت، وأصحاب الملايين والمفلسون، وأجمل نساء العالم، وامرأة مشوهة لها شارب ولحية.

وهو شارع يحتاج إلى عدة أيام لتخترقه طولا وعدة أيام لتخترقه عرضا، ولا تستطيع مهما بقيت فيه أن ترى كل شىء، وهو شارع مزدحم بالناس حتى يخيل إليك أن مليونا من البشر يختشدون فيه. وإذا لم تكن طويل القامة داستك المارة بالأقدام. ويهتمون فى أمريكا بالرصيف. ففى بعض الشوارع تجد أن الرصيف أعرض من الشارع نفسه، فالأغلبية تمشى على أقدامها، وليس معقولا أن يفعل الأمريكى ما نفعله فى مصر عندما نختصر الرصيف لنوسع الشارع الذى تمشى فيه السيارات.

المواطن الأمريكى محترم. لا يجوز أن يقبض عليه الشرطى إلا بعد أن يقول له: القانون يعطيك الحق أن يكون لك محام وكل كلمة تقولها منذ الآن تسجل ضدك ومن حقك أن ترفض أن تتكلم بحكم الدستور! وقد حدث فى شيكاغو أن ضبط أحد المجرمين وهو يقتل مواطنا وبرأته المحكمة

العليا لأن رجل الشرطة لم يقل له عند القبض عليه هذه الجملة المستمدة من حقوق الانسان.

وفى كل عام يزيدون طول شارع برودواى، ويقول جندى المرور فى الشارع أن شارع برودواى يطول كل سنة كذا ألف متر، وأنه بعد خمسة قرون سوف يمتد من الشمال الى قناة بنما، وتصبح نهاية الشارع عند خط الاستواء! وشوارع أمريكا طويلة جدا، وكثيرا ما ترى خمسة كبارى أو ستة كبارى فوق بعضها البعض، وهى شوارع غريبة تجمع المتناقض فيها حانات للخمور وبجانبها كنائس للعبادة، وقصور شاهقة وإلى جانبها بيت متواضع من طابقين. وترى فيها سيارة فخمة ثمنها نصف مليون دولار ومقابضها وإطاراتها من الذهب وإلى جانبها سيارة فورد موديل سنة ١٩٢٠ وفيها محلات لبيع التورتة العالمية وإلى جانبها شركات للحانوتية تعلن عن استعدادها لدفن الموتى بأسعار متهاودة.

وفى كل شارع يوجد عدد من البنوك وهى فروع للبنك الرئيسى الذى يقوم فى حى وول ستريت. وكانت نيويورك فى الثلاثينات مدينة آمنة تستطيع أن تسير فيها بعد منتصف الليل وأنت تحمل مليون جنيه. أما فى الثمانينات فقد أصبحت مدينة خطرة، وعندما تصرف شيكا من أى بنك يحذرك صراف البنك أن تحمل فى جيبك أكثر من عشرة دولارات. فإن اللصوص وقطاع الطريق فى نيويورك أكثر عددا من رجال البوليس، وإذا رأيت فى كل شارع جنديا للشرطة ترى عشرة نشالين وعشرة نصابين وعشرة من قاطعى الطريق..

وعندما تذهب الى البنك وتصرف شيكا يتم هذا فى بضع ثوان. وسأل صاحبنا الصراف: كيف تصرف لى الشيك فى خمس ثوان؟

وأجاب الصراف: آسف لهذا التأخير.. كان يجب أن أصرف الشيك فى ثلاث ثوان!

وتذكر صاحبنا انه فى بلاده يحتاج أحيانا الى نصف ساعة حتى يصرف الشيك، فإن الصراف يبحلق فى وجهه خمس دقائق، ثم يبحلق فى الشيك خمس دقائق، ثم يبحلق فى الامضاء خمس دقائق ثم يعود لمراجعة الرصيد

خمس دقائق، ثم يتفرس فى وجهه عشر دقائق ليتأكد انه ليس نصابا أو مزورا، ثم يطلب منه ضمانا من اثنين من موظفى الحكومة!

وقال الصراف: لو فعلنا كما تفعلون لأفلست البنوك عندنا! إن كل دقيقة عندنا تساوى مائة دولار، ولو أخرتك ثلاثين دقيقة فمعنى ذلك أن يخسر البنك ثلاثة آلاف دولار . وأفضل لى أن تسرق ألف دولار من البنك من أن يخسر البنك ثلاثة أضعاف هذا المبلغ..

وأهم ما فى شارع برودواى بعد البنوك شركات التأمين. ففى أمريكا يمكنك أن تؤمن على كل شىء وضد كل شىء. بعض الناس يؤمِّنون على جمال عيونهم، وأقدام الراقصات، وأصابع الجراحين وحناجر المطربات وأدمغة الكتاب، كما انهم يؤمِّنون ضد خيانة الزوجات أو هرب العشيقات، وضد استقالة الوزير. ويحكون عن ممثلة اسمها مارجورى بيستروك، وهى ممثلة فاتنة فى نيويورك أمَّنت على الشامات «الحسنات» التى فى جسمها، وكان هناك سبع شامات، اثنتان منها تقعان فى الشمال الغربى من الساق اليسرى وثلاث منها فى الجنوب الشرقى من ظهرها، ويقال إن مدير شركة التأمين طلب أن يعاين بنفسه الشامات قبل أن يوقع عقد التأمين.. وبدلا من أن يوقع عقد التأمين وقع المدير عقد الزواج!

○○○

وفى الثلاثينيات انتشرت موضة فى أمريكا هى أن يرتدى موظف قاعة السينما دائما أزياء تتفق مع موضوع الفيلم. وإذا كانت الرواية عن القطب الشمالى ارتدى عمال الصالة ملابس الاسكيمو، وعندما عرضوا فيلم «بنت الشيخ» للممثل المعروف رودلف فالنتينو ارتدى عمال الصالة العمة والجبة والقفطان.

وحدث أن أعلنت دار سينما عن فيلم، «آدم وحواء» فظهر عمال وعاملات الصالة عرايا لا تستر أجسامهم إلا ورقة شجرة التوت!

والملاحظة الغريبة أن أهل أمريكا يذهبون عادة إلى دور السينما لا لمشاهدة فيلم جديد، وإنما للمقابلات الغرامية، فلا تكاد تطفىء الأنوار حتى ينسى المتفرجون موضوع الفيلم ويمضون الوقت فى تبادل القبلات!

وظهرت دور سينما تدخلها بسيارتك، وتجلس فى السيارة تتفرج على الفيلم، وفى أثناء مشاهدة الفيلم، يقدم لك الطعام وهو موضوع فوق صينية تثبت فى باب السيارة. وإذا انتهيت من الطعام ضغطت على الكلاكسون، وجاءت الخادمة تسترد الصينية!

○○○

كانت الحياة فى أمريكا جميلة فى الثلاثينيات. كان الجنيه المصرى يستبدل بخمسة دولارات أمريكية، وكنت تستطيع أن تشترى سيارة بويك جديدة فيها راديو بمائتى جنيه مصرى. وكنت تستطيع أن تحصل على الجناح الملكى فى فندق ولدورف استوريا أفخم فندق فى أمريكا فى تلك الأيام بعشرة جنيهات مصرية!

وكان صاحبنا سعيدا وهو يشعر بالفلس والعجز عن مجاراة هذا الغلاء الفاحش من وجهة نظره، وكان يعزيه فى تلك الأيام شبابه، فقد كان الشباب يغنى عن الفلوس!

والآن أتركك لترى صورة أمريكا فى الثلاثينيات عندما كانت تضحك وتبتسم وترقص.

○○○

٢ البحر يضحك

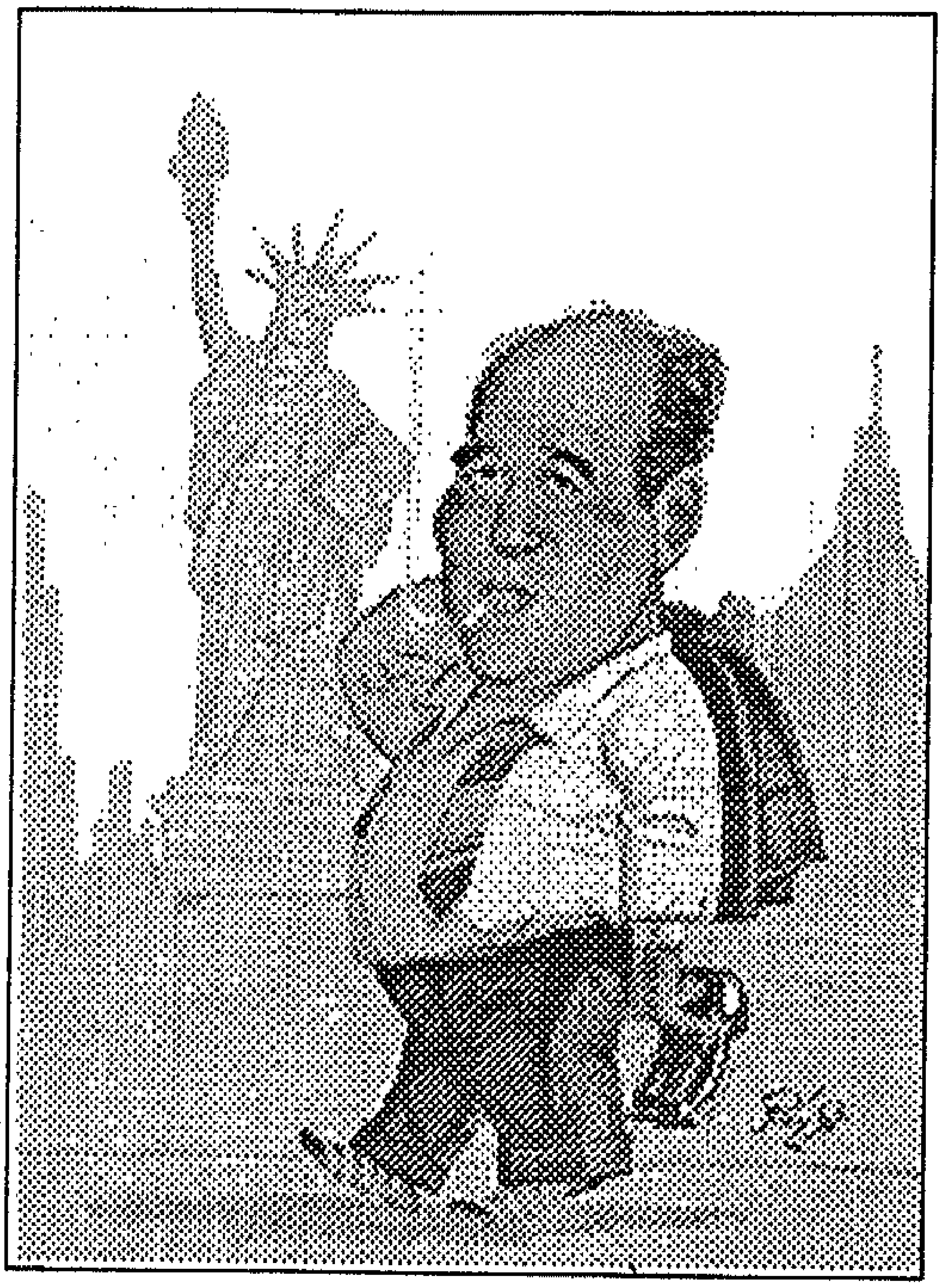

■ أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة ■

٢

■ البحر يضحك ■

مـا كـاد يضع قـدمه على أولى درجـات سلم البـاخـرة حتى تصـور انـه وضعها على أول درجـة من درجات الجنـة، وتصـور أن ضـابط الباخرة الـذى وقف على بابها يفحص جوازات السفر هو حارس باب جنات النعيم!

وأطلقت الباخـرة صفارتها إيذانـاً بالـرحيل، وجلس فى حجرته وأمـامه سبعـة أدوية مختلفـة الأشكال والأحجـام، أوصـاه أصـدقاؤه بـاستعمالها حينما يصـاب بـدوار البحـر، وبجـانب هـذه الأدويـة كـان لا بـد أن يقف «جردل» كبير.. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ولقـد أمضى وقتا طـويـلا فى البحث عن معنى كلمـة «جـردل» باللغـة الانجليزية، واستعان بقامـوسين إنجليزيين، ولكن خادم السفينة رفض أن يفهم ما يـريد، فقـد أحضر له بـدل الجردل علبة من الثقـاب مرة، وفى المرة الثانيـة أحضر له قـاموسـا.. وأخيرا رسم صورة جردل وعنـدئذ فقط فهم الخادم اللبيب.

وانتظر الاغماء والدوار غير هياب ولا وجل، وتحركـت الباخرة من ميناء « بورسعيـد » فوضـع رأسه داخـل الجردل استعدادا للطـوارىء.. ومر

نصف ساعـة وهو على هـذا الوضع، والاغماء والـدوار لايحضران فى الموعد المضروب.

ولم يشـعر بـدوار فى الباخرة التى أقلته إلى أوربـا، ومر كل شىء على مـا يرام إلى أن حل وقت الغـداء، فقامت ضجـة اثـارها ثـلاثة من الشبـان المصريين.. كان هو رابعهم، وكانت هذه الضجة حول الخبز.

فهو - كمصرى - من هواة الخبز المُتَيَّمينَ، وقد بلغ من غرامه به انه كان إذا دُعى لتناول الغـداء فى مأدبة حمل معـه رغيفا مبـالغة فى الحيطـة وبعد النظـر. وكثيرا ما استعـان بهذا الرغيف فى حـالة انتهـاء قطعة الخبـز التى يضعها أمامه السفرجى، ومساحة هذه القطعة عادة فى المآدب - لا تزيد على مساحة طابع البريد.

والمفهوم أن الانسـان يأكل جزءا من هذه (اللقمـة) المسماة رغيف خبز، ثم يترك الباقى كما هو شأن أولاد الذوات.

ومن هنا كان الرغيف الاحتياطى ينقذ الموقف.

ولما ركب الباخرة لم يشأ أن يفكر فى الخبـز، لأنه كان حسن الظن، أكثر مما يجب، بقوة إرادته واستطاعتـه الإضراب عن تناول الخبز تنفيذا لأوامر «الريجيم».

ولولا ذلك لكـانت ثلاثـة أرباع الحقـائب على الأقل مملوءة بـالخبز على اختلاف أنواعه.

وجلس الشبان الأربعة إلى مائدة الغـداء، وكانت شهيتهم مفتوحة بتأثير هواء البحـر المنعش فأكلوا أرغفة الخبز التى أمـامهم قبل أن يتم الجرسـون انحناءه ويسألهم ماذا يطلبون؟

وأجاب الأربعة فى صـوت واحد، ظنه المسافرون صفـارة الباخرة تحيى باخرة على بعد أميال : نريد خبزاً !

وجاء الخبـز.. ولم يكد يذهب الجرسـون لإحضار أول صنف فى قـائمة الطعام حتى عقد الأربعة مؤتمرا ليقـرر مصير رغيف آخر من الخبز، فغافل أحدهم جاراً له طيب القلب وسرقـه. وتكرر طلب الخبز أكثر من عشر مرات، حتى جاء قبطـان الباخرة يقول إن البـاخرة مضطرة للوقـوف فى أول ميناء

تمر به، إما لتطلب مدداً من الخبز، أو لينزل الأربعة المصريون غير مأسوف عليهم.

وحل الليل فحلت معه المتاعب. كان عليه أن يرتدى بدلة الأسموكن لأول مرة فى حياته، وذلك لأن التقاليد الانجليزية فى البواخر الانجليزية، توجب أن يرتدى المسافر بدلة الأسموكن فى أثناء تناول العشاء.

○○○

وقبل موعد العشاء بساعة أقفل على نفسه باب حجرته وبدأ يستعد للحادث الجلل، وكانت مصيبة المصائب هى كيف يرتدى ذلك القميص المنشى، فقد أمضى ربع ساعة فى إقناع زر من الأزرار أن يكون ذوقاً ويدخل فى عروة القميص، فإذا اقتنع الزر، تجيء العروة وتسوق الدلال وترفض بدورها أن تفسح لهذا الزر الغريب.

وأخيرا انقذ (الزر) الموقف فانكسر وأعد زراً آخر وقبلته (العروة) على الرحب والسعة.

وإذا علمت أن فى قميص (الأسموكن) أربعة أزرار، وأن المشكلة تكررت مع كل زر، فإنك بعملية حسابية بسيطة تعرف انه انتهى من ارتداء البدلة الأسموكن بعد انتهاء العشاء!

وفى الأيام التالية نقص الموعد الذى يلزمه لارتداء الأسموكن عن ساعتين، ولكن الياقة ـ التى هى أشبه بحبل المشنقة ـ كانت تمنع رقبته من التحرك فى حرية، فلم تكن تستطيع مثلا الدوران مع قطعة «الاسبيرج» أو مداعبة قطعة من اللحم المتين، الذى كان يذكره ببعض الوجوه.

○○○

وهكذا أصبح يرى فى بدلة الأسموكن شبه زنزانة، وإن كانت الزنزانة أوسع من ياقته كثيرا.

وكان قد التقى على ظهر الباخرة بفتاة انجليزية فى عينيها سحر هاروت وماروت، وفى شفتيها مغناطيس يجذب إليها سائر الشفاه وكأن شفتيها تتكلمان وتقولان : تعال قبلنى.

وتواعد مع الفتاة على اللقاء مساء اليوم التالى فى الساعة الثامنة فى

الطابق العلوى بالباخرة، وهذا الطابق فى كل باخرة، ملتقى العشاق.

وأمضى الليل كلـه وعيناه «لم تـذوقـا النوم» وفى يـده الساعـة يتعجل عقاربها لتعدو بسرعة قطار الاكسبريس.

وقبل الموعـد المحدد بثلث سـاعة كـان واقفا فى المكـان المعهود وفى يـده وردة حمراء.. وعليه سيماء رودلف فالنتينو تماما.

وأقبلت الساعة الثـامنة ولم تقبل ست الحسن والجمال.. وانتظر خمس دقـــائق .. وعشرا.. وخمس عشرة .. وعشرين .. وخمســـا وعشرين .. ولم تحضر الفتـاة، وعاد إلى زمـلائه يتعثـر فى خفى حنين. فاقبلـوا يـواسونـه ويؤكدون له أن هذا هو حال الدنيا.

وهـز رأسه وقـال إنه كـان حسن الظن «با لميعـاد الانجليزى» كميعـاد مضبوط يضرب بدقته المثل.

فأكدوا لـه أن الفكرة التى لـديه عن المواعيـد الانجليزيـة فى غير محلها، بدليل أن الانجليز يعدون المصريين منذ ستين عاما بالجلاء.. وهم لايزالون فى مصر!

وفى اليوم التـالى علم بالفاجعـة التى يشيب من هولها الـولدان، ذلك أن الانجليزية الحسناء، حضرت فعلا فى الموعد المضروب بشهادة ثلاثة شهود عدول، ولكن حـدث التباس طـريف، ذلك أن الوقت على البـاخرة يـؤخر كل يوم نصف سـاعة، لأن الباخـرة تسير من الشرق إلى الغرب، وعلى ذلك ففى كل يوم يؤخـر الركاب ساعاتهم نصف ساعة، ولما كـان لا يعرف شيئا عن هذه النظرية ـ لأنها كانت المرة الأولى التى يسـافر فيها إلى أوربا ـ فقد ترك سـاعته تتقـدم السـاعات الأخـرى.. ومن هنـا حضر إلى الموعد قبل الـزمن المحدد.. وانصرف كذلك قبل الزمن المحدد.

ورفضت الفتـــاة بـإبــاء وشمم أن تقتنع أن دون جـــوان يجهل علم الجغـرافيـا وخطوط الطـول والعـرض.. ولعنت لـه سنسفيل جـدوده من الفراعنة إلى البطالسة إلى الاغريق.. ولسـوء الحظ كانت الفتاة أستاذة يشار إليها بالبنان فى علم التاريخ.

وأغمى عليه من هول الصدمة، ولم يفق إلا فى ميناء شربورج.

ووقف فى ميناء شربورج الفرنسية يـرقب بإعجاب وسرور الباخرة التى سيعبر عليها المحيط الاطلنطى إلى أمريكا.

ولم يكن فى حـاجة، هـذه المرة، لأن يقـرأ عِدّيَّـة يس ثـلاث مرات، وآيـة الكرسى سبع مرات، ثم يغمض عينيه قبل دخـول الباخرة، ذلك لأنه منذ أن رآها اطمأن، فقـد كانت الباخـرة أكبر من فنادق سميراميس، وميـناهاوس، وشبرد، لـو وقفت الثلاثـة صفـا واحدا، وكـانت أشبـه بإحـدى ناطحـات السحاب منها بباخرة تشق عباب المحيط.

ولو قارنت الباخرة الكحيانة التى أقلته من مصر إلى أوربا بـهذه الباخرة العظيمة لـوجدت النسبة بينهما كالنسبـة بين رأس الدبوس ورأس الـرجاء الصالح.

وحمد الله ـ عنـدئذ ـ لأنــه سوف يقضـى الرحلـة فى هدوء وراحـة بال.

وكان أول آثـار شهامته وشجـاعته وجرأتـه ـ وهى صفات نـزلت عليه من السماء لما رأى ضخامة البـاخرة ـ كان أول هذه الآثـار أن ألقى من النافذة صندوق أدويـة دوار البحـر، وحـزام النجاة الـذى اشـــتراه فى الطـريق إذ ما حاجته إلى استعمال كل هذا فى باخرة تكاد تكون ـ فى نظره هو ـ أكبر من ميناء شربورج نفسه ؟

وفى المساء ارتدى بدلة الأسموكن، استعدادا لتناول طعام العشاء.

واتخذ مجلســه فى حجرة الطعـام الأنيقة، وبـدأ يتحدث إلى الـجرســون، بالفرنسية عما يريد.. وعما لا يريد.

ويظهر أن فـرنسيته كانت عاليـة جدا من النوع الذى لا يتحـدث به إلا أعضـاء المجمع اللغـوى فى بـاريس ـ لأن الجرسـون أحضر لــه طبقـا من الضفادع يحيط به بعض السحالى والثعابين.

وانحنى الخادم بين يـديـه بكل احترام قـائلا: إن هـذا الطبق هـو لفتح الشهية.

قال لـه وهو يبعـد جسمه عن الطبق خشية أن يلـدغه ثعبـان: إن كانت الضفادع والسحالى والثعابين تفتح الشهية فما الذى يقفلها ؟

ولكن النكتة لم تعجب الجرسـون ـ العضـو فى جمعية الحشرات ـــ لأنه

حمل الطبق وانصرف بعد أن ألقى على صاحبنا نظرة كلها احتقار.

ثم احضر الجرسـون قطعـة من اللحم حاول صـاحبنـا أن يستعمل فى تقطيعهـا الشـوكـة والسكينة، ولكن قطعـة اللحم لم تخضع لتـوسـلاتـه ولم تشفق على عصـافير بطنه التى كـانت تـزقـزق فى ألحـان مـؤثـرة كألحان أم كلثوم.

وكان بجـانبه ضابط كبير فى الجيش الأمريكى، وكـان الضـابط يتمنطق بحزام يتـدلى منه سيف كبير. فـاقترب من الضابـط الهمام ورجاه أن يعيره سيفه.

وظن الضابط الهمام أن صـاحبنا يدعـوه إلى المبارزة، ولكنه أفهمـه أنه يريد السيف لاستعماله فقط فى تمزيق قطعة اللحـم.

فأفهمـه الضـابط الأمريكـى أن ما أمامـه ليس قطعة لحم بل عبـارة عن قطعة عظام مغطاة بالصلصة، وأن كل مـا يجب أن يفعله هو أن يدلى لسانه ثم يلحس به الصلصة، كما تفعل الكلاب!

فشكر صـاحبنا الضـابط الهمام على ما أفـاد وأجاد، فى المعلـومات وفى التشبيهات!!

وهنا جاءه الجرسون يسأله ماذا يطلب بعد ذلك؟

فطلب جرسونا آخر.

واستطاع الجرسون الجديد أن يفهمه.. ولا عجب فهو لا يعرف إلا اللغة اليابانية، التى لا يعرف صاحبنا منها شيئا.

وبينما هو يأمل طبقا من سمـك المايونيز إذا به يرى البـاخرة تهتز ذات اليمين بشـدة، وذات اليسار بعنف، وإذا بـه وبالكـرسى الذى جلس عليـه يتـدحـرجـان.. ثم يسقط مـن على الكـرسى.. ويسير بسرعـة منتظمـة.. ـ يسمونها فى الميكـانيكا ق ث ث ـ ويتدحـرج على أرض الحجرة ـ البـاركيه ـ إلى أن يجد نفسه بين ذراعى امرأة.

ولم يرض أن يفتح عينيه ـــ حتى لا ينتهى هذا العناق اللذيـذ ـ وتصنّع الاغماء. ولكنه مـا لبث أن سمع المرأة تتكلم، وإذا بصوتها يشبه صـوصـوة الصراصير.

وفتح نصف عينه اليسرى ليرى وجـه هذه المرأة التى هـو بين ذراعيها، وإذا بوجهها ـ ويا للهول ـ أشد مفعولا من محلول النوشادر. كانت عجوزا فى الخمسين من عمـرها، وكـانت إحدى عينيهـا عوراء، وأمـا العين الأخرى فحولاء.

ولم يكن فى فمهـا إلا سن واحـدة، لعلهـا نصب تذكـارى أقيم لـذكـرى الأسنان الـراحلة. وكان أنفهـا مدوحسا ـــ أكبر من مجموع أنـوف يوسف وهبى وسيرانـو دى برجراك، وبـديعة مصـــابنى، وحبيب جامـاتى وشفيق جبرا!

وتمالك نفسه ولم يغم عليـه، وقام من وقعتـه السوداء يعرج فى طـريقه إلى المائدة.

وبينما هو ذاهب إلى مقعده لمح حسناء وهى تضحك ضـحكة ساخرة.

وقبل أن يحاول الانتقـام اهتزت البـاخـرة هزة قـويـة.. وإذا بالسيـدة الحسناء تقع من كرسيها، وتتدحـرج على الأرض بسرعة هائلة، ثم تصطدم بجرسون يحمل طبقا كبيرا من الصلصة.

وإذا بالخادم يقع فـوق الحسناء.. ويقع معه طبق الصلصـة، ويستقر على رأسها فى هيئة قبعة.. موضة.

وإذا بـالصلصة تقع على ثـوب السهـرة الأبيض الذى كـانت تـرتديـه الحسناء فيصبح لونه بنفسجيا مسخسخا.

وهنـا لم يستطع أن يقـاوم إغـراء التشفى والانتقـام فضحك ضـحكـة استمرت حوالى ثلاث دقائق أو تزيد.

وإذا بباقى ركـاب الباخرة يضـحكـون أيضا.. وأقبل الشبـان على الفتاة وفى أيديهم أرغفة العيـش يغمسون منها، ويقولـون إنها تشبه صلصة لحم الخنزير!

OOO

وانصرفت الفتاة بعد أن ألقت على صاحبنا نظرة.. احترام.

والواقـع أن الباخـرة لا بد قد أصـابتها (عين) لأنها نـزلت عن وقـارها وهـدوئها، وبـدأت تتراقص ذات اليمين وذات الشمال، كبنات البلـد عندمـا

يسرن فى شارع الموسكى أو بين الصورين.

وبــدأت أجسـام الـــراكبين ومعــداتهم أيضــا تــرقـص الكـونجــا والشــارلستون. حتى اضطـر ضباط البـاخـرة إلى أن يربطـوا الركـاب إلى الكـراسي التى يجلســون عليهـــا. ويـربطـوا الكـراسى فى أرض الحـجـرة بسلاسل من نحاس.

أما الأطباق الصينى فقد استبـدلت بأطباق ثقيلة تستطيع أن تثبت أمام العاصفـة، ولكنهم نسوا أن يحضروا له أطعمـة ثقيلة أيضــا، ذلك لأنه كلما اهتزت البـاخرة، قفزت قطعة اللحم أو العيش على الأرض.. وتـركت الأطباق بيضاء من غير سوء.

وكانت أربعة أيام سوداء لم يذق فيها طعم النوم والأحلام، وطعم الأكل أيضـــا، وهو ــــ والشهادة لله ــــ لا يضرب عن تنــاول الطعام إلا لأمــر جلل، وحادث خطير.

ولكنه تحمل كل هذه المصاعب بكل شجاعة وشهامة وإقدام متعزياً بأن سلفه كريستوف كولومبس عندما اكتشف أمريكا لاقى ما يلاقيه.

○○○

وفى مساء اليـوم الرابع هدأ البحـــر، واستطاع أن يغــادر الفراش، ويفك قيود جسمه، المثبت فى الفراش بالأربطة والأحزمة.

وصعد إلى ظهر البــاخرة، وجلس يستمع إلى الراديو، وكــان ذلك فى أثناء الحرب الحبشيــة الايطاليــة، وكان الــراديو يــذيع أخبار الحرب من رومـــا، وكيف أن موســوليني أمر رجال الغــواصات الايطــالية بالاستعــداد لتدمير السفن غير الايطاليـة، وكيف أن عالما إيطاليـا خبيثا اخترع طوربيدا يــدمر أكبر باخرة فى ثلاث دقائق !

ثم عاد إلى غرفته لينام، وهو يحلم بمـوسوليني وهيلاسلاسى، وما كاد يرقد على الفراش حتى سمع طرقا على الباب، وخادم القمرة يصيح :

ـــ غواصة إيطالية .

يا نهار أسود !

ووقف صـاحبنا يلقى قصيدة عصماء يـرثى بها شبابـه الغض، وميعة الصبا.

○○○

ولكنـه رأى أن الـوقت أثمن من أن يضيع فى تفـاصيل تشييع الجنـازة والرثاء وحفلة التأبين.

وهنا خطرت بباله فكرة جهنمية.

إنه يستطيـع السباحة فلماذا لا يقفـز من نافـذة الباخـرة قبل أن يصل إليها الطوربيد.. ؟

وفجأة رأى بطنه ينحشر فى النافذة، وعبثا استطاع الدخول أو الخروج.

وراح يلعن هؤلاء المغفلين الذين بنوا البـاخرة ونسوا أن أبناء آدم ليسوا كلهم من الصنف الذى يقال فيه نحيف القـوام، وغصن البان، بل فيه أيضا سمين القوام، وتخين البنيـان. ودخل الخادم إلى الغرفة فوجـد نصفه الأعلى فى المحيط الأطلسى، ونصفه الآخـر داخل الباخرة، وأطل الخادم من نـافذة أخرى ليسأله ماذا يعمل ؟

قـال صاحبنـا : إننى أحـاول القفز إلى المحيـط الأطلسى ولكن النافـذة الملعونـة لا تتسع لجسمى، فسألـه ببرود : إذا كنت تريـد الانتحار فلـدينا طريقة أسهل ؟

فقال لهذا المغفل : إننى أريد أن أنجو قبل أن تقترب الغواصة.

وضحك الخادم وقـال : إن الغواصة كـانت تمر بجـانب الباخـرة، وإنه أراد أن يقدم له خدمة كى يتفرج عليها قبل أن تختفى.. فأخبره بذلك !

وهنا سحب جسمـه من النافذة وهـو يحمد الله على ضيقها .. فلـولا هذا الضيق لكان الآن ضيفا على الحيتان والتماسيح .

○○○

وكـان بعد ذلك كلما ذكـر المحيط تـرتعد فـرائصـه، وكان يظنـه دائما صاخبا غاضبا، يزمجر تارة، ويـرتعد طورا، وسافر بعد ذلك فى المحيط عدة مرات، ولكنـه رآه فى رحلة الصيف يختلف عن رحلـة الشتـاء.. ففى الصيف كان المحيط يقهقه ويضحك ويبتسم والباخرة تدغدغ الأمواج وهى تسير.

وصحيح أن الباخرة كـانت تتراقص فى بعض الأحيان كراقصـة الرومبا فى كباريـه الكيت كات، وصـحيح أن بعض الـركاب لازم الفراش وفى معـدته ثورة كثـورة إسبانيا يقوم فيهـا المصران الأعور بما كان يقوم بـه الجنرال فرانكو فى ميـدان القتال، وصحيح أن بعضـهم نثر أمام الركاب مـا فى كنانة بطنـه وأصبح فى ميدان القـرف متسـع للجميع، وصـحيح أن البعض الآخـر حل زبونا فوق العادة وضيفا مـزمنا على دورة المياه وقضى الرحلة يخاصر «السيفون»، كما كان يخاصر المجنون ليلاه ! ولكن كانت هذه حالات فردية لم يشعر بها إلا العجائز والكـراكيب الذين يشعرون بالدوار عنـدما تصفر الباخرة.. وقبل أن تتحرك من الميناء.

والبواخر التى تعبر المحيط كالمدن العائمـة. ولقد رأى صاحبنا فى إحدى البواخر التى ركبها ستة عشر باراً.

وكان فى الباخرة حوضـــان للسباحة، احدهما فى الهواء الطلق والثانى فى الـداخل، وكـان فيها كبـاريـه وسبع صـالات للرقص وثـلاث فـرق كبيرة للجازبند، وصالتان للسينما تعرضان فى كل يوم فيلما جديدا.

ولا تظن أن البـاخـرة التى ركبهـا صـاحبنـا كـانت كـوين مـارى أو نورماندى، وإنما كانت الباخرة «ركس» ثالثة بواخر العالم فى الترتيب.

ولم يـر صـاحبنـا سفينة نـوح التى كـان فيها من كل صنف زوجـان، ولكنه اعتقد أنها لم تكن أكبر من هذه الباخرة .. ماعدا أن الركاب فى الباخرة ركس لم يكن بينهم سيدنا نوح .

ففى هذه الباخرة قابل جميـع الملل والأشكال والأجناس، وكان يظن انه المصرى الوحيد على ظهر الباخرة، ولكنه اكتشف انه يشاركه فى هذا الشرف مصريان أحـدهما يذهب إلى نيويـورك للبحث عن زوجته التى سافـرت منذ عامين إلى أمـريكا لقضاء الصيف ولم تعـد إلى مصر، والثانى فى طـريقه إلى هوليوود لمنافسة كلارك جيبل وجارى كوبر وشارل بواييه.

وفى رحلة الصيف تبدو الراكبات على ظهر البـاخرة فى بيجامات مدهشة وتتفنن كل راكبـة فى اختيار الألـوان والأشكـال والموديلات لمنـافسة بقيـة الراكبات.

وأجمل بيجامـا رآها، كانت تغطى جسم فتـاة أمريكية حسنـاء ينسدل شعـرها الأسـود الفـاحم على وجهها الخمـرى الفتـان كما ينسدل ستـار الماضى على ذكريات بديعـة، وكانت ذات أنف ليس من حجم النبقة على كل حال وإن كان أقرب كثيرا للكمثرى أو الخيـارة أو شقة البطيخ.. ولكنه كان أنفا رومانيا، وكانت ذات شفتين يسيل منهما الشهـد، وكانت البيجاما التى ترتديها على هيئة مجمـوعة من طوابع البريد، فقد كـان مطرزا عليها صورة لجميع طوابع البريد فى العالم .. حتى مصر.

ولقد كـانت هذه الفتـاة محط الأنظار ممـا جعله يعتقـد ان أغلب ركاب الباخرة كانوا من هواة جمع طوابع البريد.

وأسرع إليـه صديقـه المصرى ـ كـلارك جيبل نمـرة ٢ ـ وطلب منـه أن يقدمه للفتاة ليختم هو الطابع ما دام يدعى حسن السير والسلوك.

وفى مسـاء نفس اليـوم كان يسير على ظهر البـاخرة فـوجد صديقـه قد التصق بالفتاة وكأنه هو الآخر طابع بريد.

وفى بـواخـــر الصيف يسير الشبـان فى الصبـاح على ظهـر البـــاخـرة بالبنطلونات القصيرة المسماة «شـورت» وأغلبهم يسير بصدور عارية كما يسير الشبان فى الاسكندرية على البـلاج. أما صاحبنا فكان يرتـدى بنطلونا طويلا حرصا على استمرار حسن العلاقات بين مصر وبلاد العم سام.

والركاب يقضـون الوقت على ظهر الباخـرة عند الظهر فى لعب التنس ـ وهناك اثنا عشر ملعبا للتنس ـــ أو فى التفرج على سباق الخيل.. وطبيعى أن ما على ظهـر الباخـرة ليست خيولا حقيقيـة، بل هى من الخشب.. ومع ذلك يراهن عليها الركاب بنقود حقيقية.. لا من الخشب كما كان ينتظر صاحبنا.

وفى المســاء تملأ مـوسيقـى الـرقص كل مكـان، ويتخـــاصر الـركـاب ويرقصـون على أنغام الجاز وهى تعـزف «حاسب على حبيبتك. حاسب على زوجتك». وهى الانشودة التى انتشرت يوما فى بـلاد العم سام، والواقع انه يجب على ظهر الباخرة أن يحاسب الراكب على زوجته وحبيبته.

وبعد الـرقص تذهب الفتيات إلى البار ليشربن فى صحـة أى مغفل يدفع الحساب. والفتـاة الأمريكية من أكثـر فتيات العالم إدمانـا للخمر ، كثيرات

يستطعن أن يشربن عشرين كأسـا مـن الـويسكى ثم يبقين مع ذلك فـوق كراسى البار العالية يداعبن «البارمان» بينما تكون حضرتك تحت الكرسى تحاول عبثا أن تحصى «الحساب».

وللباخرة جـريدة تصدر يـوميـا فى عـدة صفحات بحجم صفحـات المجلات، وهى توزع مجانا، وتحوى أخبـار العالم، ولكنها لا تحوى أخبار الركاب وإلا لصدرت فى نحو مجلدين.

وفى أعلى الباخـرة يوجد سطح كبير صفـت فيه المقاعـد والأرائك بنظام عجيب، وتنطفىء فيـه الأنوار، ويسـود الظلام، ويـزدحم بالعشـاق، حتى تتثاءب شهرزاد الصباح، وتسكت عن الكلام المباح !

ooo

٣ العجائب فى بلاد العجائب

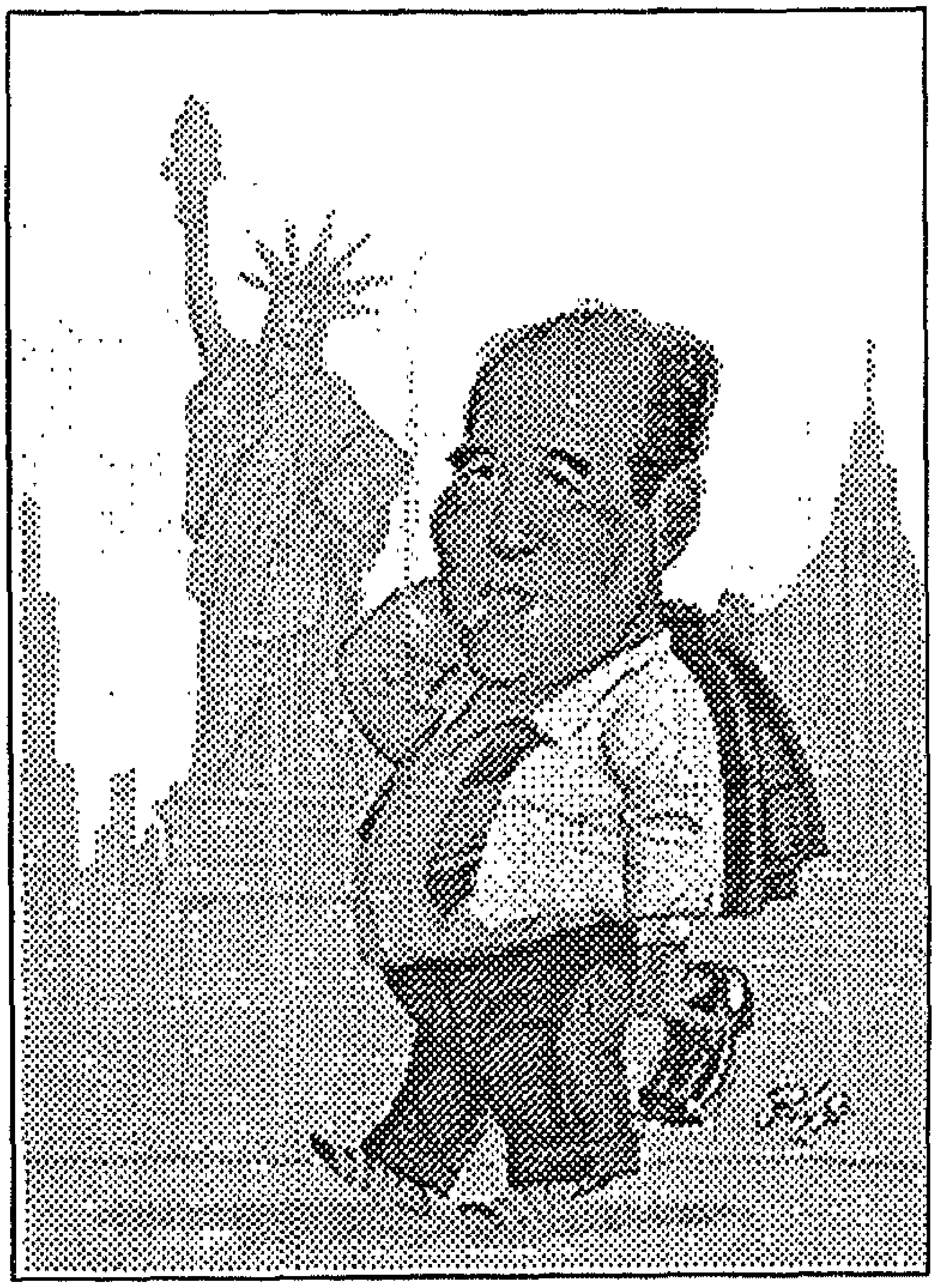

٣

الغلاء فى أمريكا :

عنـدما وصل صـاحبنـا إلى نيويـورك لم يكن فيهـا جريتـا جاربـو أو مارلين ديتريش أو كـاى فرانسيس كما كـان يتوقع، ولعل السر فى ذلك أن هـوليـوود على المحيط الباسيفيكى، بينما نيويورك على المحيط الأطلسى.

وكانت الباخرة قد تأخرت عن موعدها بسبب عاصفة قليلة الذوق هبت فى منتصف الليل دون أن تعبأ براحة الركاب والمسافرين.

وصعـد طبيب الحجـر الصحى للكشف على المسـافرين، وكـانت عينـا صاحبنا حمراوين من تأثير السهر الطويل.

وزغر له الطبيب.. ثم اقترب من عينيه وحملق فيهما قائلا: تراخوما.

— يا نهار أسود.. تراخوما!؟

واقترب منه صـديق أمريكى يخبره أن التراخـوما هـو مرض حبيبى فى العيون، ويطمئنه بأن كل ما سوف يحدث هو حـرمانه من أمريكا، وعودته على نفس الباخرة إلى أوروبا.

وكانت صدمة قاسية ـــ فهو بشهادة الجميع ـ قد يسقط فى أى امتحان ولو كـان امتحان الشهـادة الابتدائيـة، ولكن الأمر المتفق عليـه أن الكشف

الطبي هو الامتحان الوحيد الذى نجح فيه دائما دون ملحق ولا دور ثان.

ولقد كان الكل يفزع من قوة عينيه.. فهو مثلا يستطيع أن يقف على بعد أربعة أمتار ويقرأ ما تكتب، وخصوصا لو أنك كنت تكتب خطابا غراميا لمجهولة حسناء وإذا جلس قبالتك يستطيع أن يقرأ أية ورقة من الظهر.. مهما كان الضوء ضعيفا.

كل هذه الأشياء تدل على سلامة بصره.. وتدل على أنه قد يستطيع أن يمرض بأى مرض ـ حتى فقر الدم ـ إلا أن يمرض بالتراخوما. وتقدم صاحبنا إلى الطبيب يؤكد له أن حمرة عينيه من تأثير السهر، ويظهر أن الطبيب كان سهران هو الآخر لأنه صرح له فى الحال بدخول بلاد العم سام.

ولم يلفت نظره فى نيويورك ناطحات السحاب فإن طول قامته الهيفاء ـ وإن كان البعض يسميها (الهايفة)ـ يكاد يجعل الفرق بينه وبين أية ناطحة بضعة أشبار.

ولم يلفته جمال النساء، فالجمال فى نيويورك يبدو ـ لأول وهلة ـ عاديا أو أقل من العادى. حتى لقد اعتقد صاحبنا أن السبب هو أن السينما استولت على كل الفتيات الجميلات.

وقيل له إن نيويورك متقدمة عن الشرق مائة عام، فلم ير شيئا يثبت هذا التقدم.. بل بدت له مصر متقدمة عن أمريكا.. فعندما تكون الساعة فى مصر العاشرة مساء تكون فى أمريكا الساعة الثالثة بعد الظهر..

وكان الأمر الأول الذى لفت نظره فى أمريكا شدة الغلاء الذى يجعل من أغنى أغنياء مصر صعلوكا يُشار إليه بالبنان.. فليتصور القارئ أن الريال فى أمريكا ـ ويسمونه دولارا ـ كان يقوم فى بلاد العم سام قبل الحرب بمهمة القرش صاغ فى بلاد كنانة الله فى أرضه.

وكانت «أول واقعة سوداء» وقع فيها.. عندما دخل مطعما عليه سيماء «عزيز قوم ذل» ولقد اختار ذلك المطعم المهجور دون مطاعم نيويورك كلها لأنه مطعم متواضع وفى شارع مقفر، فى حى قديم.. ذلك لأنه كان يحسب أن المطاعم المزدحمة بالزبائن أغلى من المطاعم التى تشبه الطلل البالى.

وطلب طبق مكرونة.

واكتفى بذلك فلم يطلب لحما ولا فراخا ولا حلوى.. ولا سلاطة. وحتى عندما جاءه الخادم يسأله إذا كان يريد ملحا وفلفلا، أجاب: لا. خشية أن يكون للملح والفلفل ثمن خاص فى بلاد الدولار.

وجاءه طبق المكرونة فأكله هنيئا.. ثم طلب الحساب.

وإذا بالرجل يطلب منه ريالا ونصف ريال.. يعنى ثلاثين قرشا. وكاد يقع من هول الصدمة.

ولكن الجرسون أسعفه، وكان رجلا شهما فلم يضف ثمن (الإسعاف) إلى قائمة الحساب.

وخرج صاحبنا وهو يتحسر على مكرونة بار اللواء، أيام كان أصحابه يحتجون على بنايوتى الجرسون لأنه يطلب ثلاثة قروش ثمنا لطبق المكرونة، ويهدده الصحفيون بنشر مقالات فى هذا الموضوع، يحملونه فيها مسئولية كراهية المصريين للطليان.

وأيام كان صاحبنا يؤيدهم فى احتجاجهم هذا.. ثم يطلب واحد سلاطة، بعد أن يتأكد من أن (السلاطة) مجانا!

وفى المساء أخبره صديق أن الطيور أرخص من اللحم، فشكره على هذه النصيحة الخالصة فإنه يحب الطيور، كما يحب الاستاذ الصاوى باريس، وإن كان حبه لباريس مقصورا على صنف الكتاكيت.

ودخل مطعم فوكس، وهو مطعم متواضع يشبه مطعم لوكاندة الملوك والأمراء فى سيدنا الحسين.. حيث ثمن الغداء الكامل ثلاثة قروش صاغ.. يدخل فيها طبعا بقشيش المعلم دقدق.. القائم بمهمة المترودوتيل.

واقترب منه جرسون كحيان وسأله ماذا يطلب، فطلب نصف حمامة. ذلك انه ظن ـ ما دامت الفراخ ارخص من الحمام ـ فلا بد أن يكون نصف الحمامة أرخص من الفراخ، واللحم.

وأحضر الجرسون نصف حمامة، تدل كل الدلائل على أنها حمامة مكسورة الجناح، وانها حمامة موضة، لا تحب الدهن واللحم، وتؤثر أن تخسس نفسها «بالريجيم»، كما تفعل بنات الذوات فى القاهرة.

وأكلهـا هو فى نصف دقيقـة.. وتقـدم الجرسون يسـأله: فـاذا يطلب؟. فطلب الحساب طبعا.

وإذا بثمن نصف الحمامة وما حولها من بطاطس ريال..

ذلك أن جـوز الحمام فى بلاد العم سـام كان ٤٠ قـرشا فى الوقـت الذى كان ثمنه فى مصر خمسة قروش!

وبذلك يكون ثمن نصف الحمامـة عشرة قروش، ثم يضاف إليها عشرة قروش أخرى، ثم قطعة البطاطس والثمانى بسلات.

وكان أحد ركـاب الباخرة التى أقلتـه إلى أمريكا قد اعطـاه عنوان خياط رخيص. وذهب إليه، فإذا لديـه بعض العمال، يوصون على صنع ثيابهم فى هذا المحل المتـواضع، فاطمأن، وشكر الفـرصـة السعيدة التى هدتـه إلى هذا المحل الرخيص.

وتقدم إلى الخياط الرخيص يسأله كم تتكلف بدلة له.

فقاس طوله وعـرضه وارتفاعه وسمكه ، ثم قام بعـدة عمليات حسابية وقال ٢٠٠ ريال.

وظن صـاحبنـا أن الرجـل فهم انه يـرغب فى شراء المحل كلـه ـــ بسبب ضعفه فى اللغة الانجليزية ـ فقال لـه: إننى أريد أن أفصل بدلة واحدة، فهز الرجل رأسه ثم قال: ٢٠٠ ريال.

وخرج يشكو الدوار.. أربعون جنيهـا ثمن بدلة «نص نص» عند ترزى غلبان لا تـرزى معروف، فى الوقت الذى كـان ثمن بدلة محترمة فى القـاهرة خمسـة جنيهـات. وخـرج صـاحبنـا يسأل عن عنـوان مستعمـرة العـراة بنيويورك.

ولكن البدل الجاهـزة رخيصة نوعـا ما، فقد تستطيع شراء بـدلة بعشرة جنيهات أو بعشرين.

وهناك أشياء رخيصة جدا فصفيحـة البنزين ثمنها عشرة قروش صاغ وصفيحة الغاز ثمنها قرش صاغ.

وكنت تستطيع أن تشترى سيارة باكار بمائة جنيه.

أما بقيـة حاجـات المعيشة فإن أسعارهـا لا يتصورهـا العقل.. فمرتب

الطباخ العادى مثلا هو ثلاثـون جنيها فى الشهر خلاف ما يسرقه من اللحم والخضار.

وسـائق السيارة العـادى جـدا لا يقبل مرتبـا أقل من خمسـة وعشرين جنيهـا وهو يقبلـه منك ثم يلوى بـوزه كأنه قبل هـذا المبلغ التافـه ورضى بالعمل عندك على سبيل الاحسان وفعل الخير.

وأجرة أقل حجرة فى سطوح الـدور الخامس والأربعين من عمارة قديمة فى حى مهجـور فى نيويـورك ــ إيجار هذه الحجـرة خمسة عشر جنيهـا فى الشهر.

وصاحبنا يـذكر انه كان يتغدى بعـد ذلك مع مستر هنرى والاس وزير الزراعة فى ذلك الحين ، ونـائب رئيس الجمهورية فيما بعد ، فقـال صاحبنا انه يلاحظ أن أسعار الحياة فى أمـريكا غالية. فإذا بمستر والاس يقول : إن الفلاح الأمريكى فى حالة مؤلمة.. تصور أن الفلاح العادى لا يكسب أكثر من ثلاثة دولارات فى اليوم! تصور انـه لا يستطيع شراء سيارة لنفسه.. تصور أن ربع الفـلاحين فى أمـريكـا ليس عنـدهم آلة راديـو.. تصـور أن الفـلاح الأمريكى لا يستطيع الذهاب إلى السينما أكثر من مرة فى الأسبوع!

ثم سكت مستر والاس وقـال: سأحـارب طـول حيـاتى لأجعل الفـلاح الأمريكى رجلا آدميا!

وسمع هذا الكلام من مستر والاس، وقال له:

ــ وفلاحنا المصرى لا يكسـب أكثر من ثلاثة قـروش فى اليوم إذا وجد عملا! تصور انه لا يستطيع شراء حمار. تصور انه لا يأكل اللحم إلا مرة فى العام.. تصور أننا فى مصر ننفق على الجاموسة أكثر مما ننفق على الفلاح!

فسأله مستر والاس: ولماذا لاتنشـئون فى مصـر حـزبا للفلاحين.. لماذا لا يكون عندكم «إبراهام لنكولن» جديد يحرر الفلاحين العبيد؟

قال: ما زلنا نبحث عن لنكولن مصرى..

قال مستر والاس: عندما تجده ارسل لى صورته!

ولم يرسل صـاحبنا الصـورة إلى مستر والاس بعد.. ولعله لم يـرسلها قبل عدة أعوام!.

عمارة الامبراطورية :

عندمـا وقف صاحبنا منذ سنـوات فوق قمة الأهـرام ظن أنه أتى بما لم يستطعـه الأوائل والأواخر، وأن هـذا هـو آخر ارتقـاع سـوف يرتفع إليـه، خاصة أنه كان يخاف من الطيارات كما يخاف الأطفال من العفاريت.

ولا عجب فقد كـان ارتفاعه عن سطح الأرض بمقدار ٤٥١ قـدماً خلاف الفكة من البوصات والسنتيمترات، ثم عندمـا وقف فوق برج إيفل بباريس، وارتفاعه ٥١٢ قـدماً، ظن أنه فتح عكا، ورفع قامتـه الهيفاء إلى أعلى مغتبطا فخورا بالـرغم من رجاء زميله الذى توسل إليـه أن يحنى رأسه قليلا، حتى لا يصطدم بالقمر والكواكب والنجوم.

ولكن بعـد أن صعد فـوق قمة بنـاء الامبراطـورية فى أمـريكا آمن بأنـه عندما صعد إلى قمة الأهرام كان كالواقف على الأرض سواء بسواء!

هى عمارة يبلغ ارتفـاعهـا ١٢٥٠ قدمـا ، وفيهـا ١٠٣ طوابـق ما عـدا البدروم والسطوح.

وطبعا لم يصعـد إلى الطابق الثالث بعد المائة على (درجـات السلم) فإنه لو فعل ذلك لكان هذا أقرب طريق لأن تصعد روحه إلى السمـاء.

ولما كانت البلاد محتاجة إلى شخصه الضعيف فى ذلك الحين، فقد آثر أن يستعمل المصعـد، فحملـه مصعد من الـدور الأول إلى الـدور الثمانين، ثم استبـدل المصعـد بمصعـد آخـر حملـه من الـدور الثمانين إلى السـادس والثمانين ثم بعد ذلك استبدل هذا بمصعـد ثالث حمله إلى الدور رقم ١٠٢، ثم صعد على السلالم، إلى الدور رقم ١٠٣.

ووقف فى شرفـةالـدور ١٠٣ يحملـق فى مخلـوقـات الله التى تسير فى الشـارع الـرابع والثلاثين بنيـويـورك فما رأى أحـداً، فاستعمل نظـارتـه المعظمة فتبين المخلوقات الآدمية فى حجم النمل أو البراغيث.

وأخذ يحملق فى الأبنية المجـاورة فإذا بها فى حجم علب السجائر أو علب الكبريت، مع أن أقل بناء يزيد ارتفاعه على عشرين طابقا.

وكان الجو فى الطابق الأول حارا مثل ليـالى القاهرة فى يونيو، ولكن الجو فى الطابق نمـرة ١٠٣ كان بـاردا حتى اضطر وهـو يرتعش إلى أن يـرتدى

معطفه ويكبس القبعة فى رأسه حتى وصلت إلى أذنه.

وأمسكه زميله من يده وقال إنه سيقدمه إلى «بواب العمارة» وإن كان من اللازم أن يطلب منه أن يحدد لهما موعدا قبل حضورهما.

وشمخ صاحبنا بأنفه وادعى أن زميله يجهل أقدار الرجال، وقال إنه لم يتعود أن يستأذن فى مقابلة بوابى العمارات، واستشهد بأنه كان يقابل عم محمد بواب عمارة سيف الدين وهو من هو - البواب وليس سيف الدين - دون موعد سابق وبلا استئذان.

ولكن زميله قال: إن بواب عمارة «بناء الامبراطورية » أهم قليلا من عم محمد البواب.. عند الأمريكان على الأقل.

وتقدَّمه صديقه إلى شقة أنيقة فيها حوالى مائة فتاة يكتبن على الآلة الكاتبة فسأل صاحبنا زميله دهشا عمن يَكُنَّ هؤلاء.

وأجاب زميله إنهن موظفات عند سكرتير بواب العمارة.

وتشرفا بدخول حجرة سكرتير بواب العمارة، وإذا بها غرفة ضخمة فخمة، لا تقل ضخامتها عن حجرة رئيس الوزراء فى مصر!

ولما عرف سكرتير البواب شخصية صاحبنا، سمح له بمقابلة سعادة البواب.

وكان بواب العمارة هو مستر ألفريد سميث حاكم مدينة نيويورك سابقا - وكان مرشحا فى وقت من الأوقات لرياسة الجمهورية ولكنه فشل فى الانتخابات. ويتقاضى جنابه مرتّباً قدره عشرة آلاف دولار فى الشهر الواحد، وهو مرتب يحسده عليه ولا شك عم محمد البواب.

وكان مستر سميث يجلس خلف مكتب كبير وقد أسند ظهره إلى الجدار ووضع قدميه فى وجه صاحبنا دون مراعاة للإتيكيت والبروتوكول.

قال المستر سميث بعد أن حيا صاحبنا:

— لقد حققنا نحن فكرة الفراعنة، إن خوفو عندما بنى الهرم الأكبر فى الجيزة كان يقصد أن يشيد أضخم بناء فى العالم ليموت فيه. ولكننا نحن بنينا أضخم بناء فى العالم لنعيش فيه. ثم ضحك وقال:

— غير انـه ليس لـدينـا اى أمل فى ان يعيـش هـذا البنـاء كما عـاشت الاهرامات.

وأشار مستر آل سميث إلى صورة الأهرام المعلقة فى صدر الغرفة وقال:

— ولكننـا نحن كنا أسرع مـن قدمـاء المصريين، لقـد بنوا أهـرامهم فى عشرين عاما، ونحن بنينا أهرامنا فى عام واحد، فلقد فرغنا من وضع أساس البناء فى مـارس سنة ١٩٣٠، وانتهى الدور الثـالث بعد المائة فى مايـو سنة ١٩٣١.

— وكم عاملاً استخدمتم فى هذا البناء؟

— كنا نستخدم ما لا يقل عن ٢٥٠٠ عـامل كل يوم، ووصل هذا الرقم فى وقت من الأوقات إلى أربعة آلاف عامل.

— سمعت ان هناك فكرة لزيادة عدد الطوابق فهل هذا صحيح!

— ليس لدينـا فكرة عن ذلك فى الـوقت الحاضر، ولكن يمكننا أن نـزيد عشرين طابقـاً على هذا الارتفـاع إذا حاول أحد منـافستنا فى بنـاء آخر بهذا الارتفاع.

ثم نفخ مستر سميث دخـان السيجار الفـاخر الـذى يمسكه بأطـراف اصابعه وقال:

— لقد زرت باريس وصعدت فوق برج إيفل، وزرت روما وصعدت إلى كنيسة سـانت بطرس، ولكن لم أذهـب إلى مصر، وارجو أن أوفق لـزيارتها لاصعد فوق قمة الأهرام.

○○○

ثم صحبهما سكرتير بواب العمارة إلى مشاهـدة بعض أجزاء منها، وقد دهش صاحبنا إذ علم ان فيها ٦٣ مصعـدا، وخمسين مطعما وثلاثة مكاتب للتلغـراف، ومكتبين للبريـد، وقسما للبـوليس أكبر عشر مـرات من قسم عابدين، وقسما للمطافىء، وتليفونا عموميا فيه ٧٥٠ عاملة.

ومن المدهشات ايضا انه يسـكن فى هذه العمارة مائـة ألف نفـس، أى ما يزيـد على سكان مدينة بورسعيد، وكل شىء يتصـوره العقل موجود فى هذه العمارة، من دور السينما والكباريهات، والمعـارض، ومحطات الإذاعة،

ولكنه لم يجد شيئين اثنين وهما: كنيسة يعقد فيهـا إكليل الزواج، ومحكمة ترفع فيها قضايا الطلاق.

ولما سأل مستر سميث عن السبب فى عـدم وجودهما فى العمارة قـال إن أصحاب العمارة يعتقدون أن الزواج والطلاق ليسا من لوازم الحياة!

ولعلك تحب أن تسأل : هل أغمى على صاحبنـا وهو فى الدور رقم ١٠٣ أو لا؟ وهل خانته شجاعته وهو يطل من السماء على نيويورك فأخذ يصيح «نزلونى.. ياهوه» كما يفعل راكب الطيارة لأول مرة عندما يرى نفسه معلقا بين الأرض والسماء؟

والواقع انـه لم يشعر بخـوف وذعر وهـو واقف فوق السحـاب، ولكنه أحس بقلبه فى حذائه والمصعد يحمله ثمانين طابقا.

ولقد وضعت محافظة نيويورك قانـونا تحرم فيه زيادة سرعة المصاعد على ٧٠٠ قدم فى الدقيقة، وإن كان رأى بعينيه مصعدا يسير بسرعة ١٢٠٠ قدم فى الدقيقة.

○○○

ومن أجمل المنـاظر التى رآهـا فى حيـاته، منظـر نيويـورك فى منتصف الليل، عندما أطل عليها من الـدور ١٠٣ فى عمارة الامبراطورية. لقد شعر فى تلك اللحظة. عندما رأى الأنوار تعلو الابنيـة وناطحات السحـاب، كأنه ينظر من سمائه إلى سماء اخرى مملوءة بالكواكب والنجوم.

وقد كان صاحبنا ينتظـر فى الماضى بفارغ الصبر ليلة القدر ليطلب من الله أن يملك عمارة إيموبيليا. أما الآن، وبعد أن شاهد عمارة الامبراطورية فى نيـويـورك، وطوابقهـا الضـخمـة، ومبـانيهـا الفخمـة، وشققها العـامـرة، ومطاعمها الفـاخرة.. وقبل كل شىء عاملات التليفـون اللائى يبلغ عددهن سبعمائة وخمسين ليس فيهن واحدة فوق الثلاثين.

بعد كل هذا قرر تعديل الطلبات.

فابتـداء من ذلك اليوم والأيام التاليـة كان يطلب من الله ان يملك عمارة الامبراطورية فى نيـويورك أو يشتغل فيها بوابا.. أو حتى مسـاعدا لسكرتير البواب.

أعظم محل تجارى فى الدنيا :

والتقى صاحبنا فى نيويورك بمواطن له، يحسن أن نسميه لخمة افندى، لأنه فعلا لخمة وافندى..

وقد كان - أى لخمة افندى - يرفض أن يصدق أن صديقه أجهل من دابة - أو أجهل منه على الأصح - بشوارع وحوارى نيويورك، وأن الشارع الوحيد الذى يعرفه جيدا ويحفظه عن ظهر قلب هو شارع برودواى.

ولكن لخمة افندى كان يعتقد أن صاحبنا حجة يشار إليه بالأصابع الخمس فى نيويورك، وأنه يعرف أمريكا أحسن مما يعرفها مستر روزفلت.

الم تمض عليه ثلاثة اسابيع فى هذه البلاد؟

ومن هنا جذبه لخمة افندى من يده، وطلب إليه أن يصحبه إلى السوق. وافهمه صاحبنا أنه لا يوجد فى أمريكا - على مايعلم - سوق للكانتو يستطيع الإنسان أن يشترى منه ماثقل حمله وخف ثمنه من الروبابيكيا والأشياء المهملة! وعندئذ شمخ لخمة افندى بأنفه إلى السماء حتى كاد يصل إلى الدور رقم ١٠٢ فى عمارة الامبراطورية ثم القى عليه نظرة احتقار وقال إنه يريد أن يشترى هدية لحسناء بمناسبة عيد الميلاد.. ولخمة أفندى، على فكرة، يحاول عبثا أن يقوم بدور الشاطر حسن أمام ست الحسن والجمال. وهى فتاة أمريكية شقراء يريد أن يمثل لخمة أفندى نفس الفصل الذى مثله المجنون مع ليلاه وعطيل مع ديدمونته ومارك أنطونى مع كليوباترا وروميو مع جولييت.. ومسز سمبسون مع دوق وندسور.

وعلى ناصية شارع ٣٤ وشارع برودواى يوجد محل «ميسى» أكبر محل تجارى فى العالم على الإطلاق. وهو يتكون من أحد عشر طابقا خلاف البدرومات، ولكن مساحته واسعة جدا لدرجة أنك تضل إذا لم تكن معك خريطة ترشدك إلى طريق الخروج.

ويدخل هذا المحل يوميا أكثر من نصف مليون زبون والمحل يدعى أنه يبيع الحاجات بسعر أرخص ستة فى المائة من أى محل تجارى فى نيويورك.

وقد تدهش إذا علمت أنه باع فى سنة ١٩٣٥ بمقدار خمسة وتسعين

مليون دولار أى تسعة عشر مليونا من الجنيهات أى نصف إيرادات الحكومة المصرية فى ذلك الحين.

وفى هذا المحل تجد كل شىء فى الدنيا يصح أن يباع. فهو محل لبيع الملابس ومحل خردوات وبقال وعطار وجزار وفكهانى وسوق خضار وكهربائى وبه عيادات للأطباء ومكتب محام يرفع لك ماتشاء من القضايا. وصيدلى لتحضير الأدوية، وحانوتى للقيام بالمهمة إذا عجز عن القيام بها الصيدلى أو الطبيب!

وفى هذا المحل بنك يبيع ويشترى الأسهم والسندات، ومكتب معمارى للمقاولات والرسومات. وشركة للسياحة تبيع لك تذاكر السكة الحديد.. يمكنك وأنت فى هذا المحل تشترى كل شىء فى العالم.

وفوق كل هذا يوجد بالمحل مكتب تلغراف ومكتب بريد ومطعم تتناول فيه العشاء والغداء، وقهاوى تستطيع أن تستمع فيها إلى موسيقى الجاز وأنت تشرب الشاى.

ثم يوجد فى هذا المحل مكتب يمكنه أن يشترى لك بالتلغراف أى شىء فى العالم، فتستطيع مثلا أن تشترى فيلا من الهند، أو بطيخة من يافا، أو صينية بقلاوة من بيروت، أو طبق عاشوراء من سيدنا الحسين، تستطيع هذا كله وأنت جالس على أحد الكراسى المريحة فى محل ميسى فى نيويورك.

وللمحل المذكور مندوبون فى جميع أنحاء الدنيا مهمتهم تلقى هذه التلغرافات وإرسال البضاعة إلى نيويورك فى الحال. فيصل إليك فى أسبوعين طبق العاشوراء وقد لحس منه المندوب العزيز لحستين.. ودخل صاحبنا ومعه لخمة أفندى إلى المحل وذهبا إلى قسم بيع الجواهر والمصوغات.

واكتشف لخمة افندى عقدا من الماس «ويرا» قال البائع إن ثمنه سبعون ريالا يعنى أربعة عشر جنيها.

وكثيرا ما هزأ صاحبنا من التجار المصريين ولعن جدودهم لأنه ليست لهم (كلمة واحدة) وانهم يحبون المساومة والفصال، ولكن يظهر أن العم سام من سلالة فرعون، فقد تأخر لخمة أفندى خطوتين وطلب من صاحبنا

أن يستعمل ما يعرفه من المبادىء الاقتصادية لأنه ادعى مرة فى إحدى المناقشات انه درس فى كلية الحقوق مبادىء علم الاقتصاد.

هذا كثير.. لا.. يكفى ٣٠ دولاراً .. أبدا .. لا يكفى .. يكفى، لا يكفى! وأخيرا تم الاتفاق والتراضى على تنزيل خمسين فى المائة. وهكذا نزلت القيمة إلى سبعة جنيهات.

وأغمض لخمة افندى عينيه ثم دفع المبلغ وتسلم العقد وهو يقول إن أهله فى مصر لو عرفوا انه اشترى هدية لفتاة بسبعة جنيهات لحجروا عليه أو طلبوا إدخاله فى مستشفى المجاذيب.

وخرج صاحبنا ولخمة افندى يحملان العقد، وكان لخمة افندى يعتقد انه سيدخل إلى بيت الفتاة ويقول لها إنه وإن كان الأخير زمانه لآتٍ بما لم يستطعه الأوائل.. ثم يقدم لها العقد، أى ما لم يأت به الأوائل.

وأفهم صاحبنا صديقه بأن الفتاة ليست مغرمة بشعر أبى العلاء وأن من مصلحة الطرفين الابتعاد عن الشعر والخيال.

وراحا يخمنان كيف تقابل الفتاة صديقها الشاطر حسن حينما ترى العقد الذى يبلغ ثمنه سبعة جنيهات.

واتفقا على أن الفتاة ستعانق لخمة أفندى وتقول له (ثانك يو) يا حبيبى ثم تقبله.. ولكن الخلاف كان عن طول القبلة. كان صاحبنا يصر على أنها ستستمر خمس دقائق، وصديقنا يصر على أنها لن تقل عن ربع ساعة.. وأنها ستقول له: أشكرك ياحبة الفؤاد .

وقال صاحبنا لصديقه لخمة أفندى : إن كلمة «حبة الفؤاد» غير موجودة فى لغة شكسبير وراحا يأسفان على فقر لغة الانجليز فى الألفاظ والمترادفات واقترح صاحبنا أن يشترى ساعة كرونومتر ليعرف طول القبلة بالمضبوط ولكن لخمة أفندى ــ وهو رجل سيىء الظن ــ قال له إنه عندما تطول القبلة خمس دقائق فعلى صاحبنا أن ينسحب من المكان .

وذهبا إلى بيت الفتاة فى الدور رقم ٨٠ بعمارة روكفلر وطرقا الباب وفتحت ودخل لخمة أفندى ودخل صاحبنا فى كعب حذائه وقدم لها هدية عيد الميلاد.

وفتحت الفتاة الصندوق الذى به العقد وتفرجت عليه ثم قالت لصديقه «ثانك يو» يعنى شكرا.

«ثانك يو» حاف! وليس معها يا معبدى، ولا يا دارلنج، ولا حبة العين والفؤاد، ولا حبة أى شىء آخر.

وأخرج صاحبنا ساعته ليعد نبض لخمة افندى فقد شعر ان نبضه قد كف عن السير.

وأنقذت الفتاة الموقف فاعتذرت بأنها مرتبطة بميعاد سابق.. وهى ترجمة مؤدبة لجملة «تفضلا بدون مطرود!».

وحاول لخمة أفندى ان يستعيد العقد وهنا نظر إليه صاحبنا نظرة فهمها لخمة افندى لأنه لبيب بالإشارة يفهم!

وخرجا من الباب على أن ينزلا ولكن لخمة أفندى صعد إلى الدور رقم ٩٠ ووقف يطل من النافذة وقد ازدحمت فى حنجرته عدة أبيات من الشعر الرخيص وكلها عبارة عن لعن الفتاة وأبيها وأخيها ـ وباقى الأسماء الخمسة ـ وكل من ساهم فى إخراجها إلى هذا العالم المنكود وختم القصيدة بأنه ـ مرة أخرى ـ وإن كان الأخير زمانه لآت بما لم يستطعه الأوائل.. وهو الانتحار.

وقال صاحبنا للخمة أفندى إنه ليس لديه مانع من انتحاره لأنه لو كان مكانه لفعل نفس الشىء. وراح لحظة يستعرض الموقف ويتذكر الجنيهات السبعة، ثم يتذكر انه حقيقة مدعو معه لتناول العشاء، وانه لبى الدعوة، وأن وعد الحر دين عليه، وأن إخلاف الوعد ليس من شيم الرجال.

ومن هنا أجل لخمة أفندى تنفيذ فكرة الانتحار إلى مابعد العشاء.

نصف ساعة فى بيت مسز سمبسون :

لم يدق الباب حسب الأصول والبروتوكول ولم يتقدم الخادم خطوتين ويتأخر خطوتين ليعلن ان فلانا يا مولاى بالباب فيكح مولاى ـ الذى هو صاحبنا ـ ويقول : دعه يتفضل يا غلام . لم يحدث هذا بل سمع باب غرفته ينفتح دون «احم» او «دستور» كأن الرجل دائن او محضر او شخص عزيز . وكان نائما فى فراشه يحلم بكواكب السينما ، حلم الجائع

بسوق العيش ، وذلك عقب سهرة قضاها بين الكتب وا المراجع والقواميس .

وأحس بيد تزغده ، وكان الزغد قويا ، حتى انه شعر ان اليد لا بد ان تكون يد كارنيرا أو سيد نصير، لا يد جريتا جاربو أو كاى فرانسيس.

وفتح إحدى عينيه فإذا بخمسة من زملائه طلبة الجامعة الأمريكان وقد وقفوا حول فراشه شاهرين المسدسات، يأمرونه أن يتلهى ويقوم.

وقبل صاحبنا طبعا أن يتلهى.. ولكن..؟! كيف يقوم وقد سابت ركبتاه؟. وتلخلخت مفاصله؟ ورقصت ساقاه السوينج من الفزع والذعر والرعب والخوف؟

وذلك أنه ظن أن أصدقاءه عصابة من خلفاء آل كابونى وديلنجر، وأنهم يبحثون عن مليونير فأخطأوا العنوان ودخلوا حجرته كما كان هو يخطىء مثلا فيدخل مطعم الشعب بينما يريد العشاء فى الكونتيننتال.

وقال له أصحابه إنهم قرروا خطفه ليذهبوا به إلى بيت مسز سمبسون.

وأكد لهم أنه ليس الملك إدوارد ولا الدوق أوف وندسور وأنه لا يرغب مطلقا فى مشاهدة مسز سمبسون، لا لعداء شخصى أو لسوء تفاهم لا سمح الله بل لأن قلبه رقيق.. ومن الجوى يذوب.

فطمأنوه بأنه لن يشاهد مسز سمبسون، بل سوف يشاهد بيتها فقط لا غير.

وفى مدينة بلتيمور التى لا تبعد ساعة عن واشنطون يوجد البيت الذى ولدت فيه مسز سمبسون وعاشت فيه.

وهو بيت صغير مكون من دورين فى شارع متواضع، وبيوت بلتيمور كلها ذات لون أحمر ولها سلالم بيضاء.

ولعل اللون الأحمر هو راية الخطر، والسلالم البيضاء علامة السلام! وعرف أن ذلك من تقاليد المدينة، وأن الأهالى يتنافسون فى تنظيف درجات السلالم، وطلائها باللون الأبيض كلما اتسخت من أقدام الداخلين والخارجين.

وأرادوا أن يدخلوا ليتفرجوا على بيت مسز سمبسون من الداخل،فقيل لهم إن ثمن تذكرة الدخول خمسة ريالات.. إذ أن المنزل تحول إلى متحف

يحج إليه الأمـريكان من كل مكـان ليروا بيت المرأة التى تساوى القبلـة من شفتيها أكبر عرش فى الوجود.

ولما كان وزمـلاؤه الخمسة فى آخر الشهـر فقد خطـر لعبقرى منهم أن يدعى أن صـاحبنا المصرى أمير هنـدى، وأنه يـرغب فى شراء البيت لنقله إلى قصره فى بغـداد، مع أن بغـداد فى العراق وليسـت فى الهند كما هـو معلـوم، ولكن الأمريكان لحسن الحظ ضعفاء فى علم الجغرافيا وتقويم البلدان!

وطلب أصـدقـاؤه منه أن يطلق على نفســه اسما شرقيـا فأسمى نفســه الأمير «أوف مفيش» أو ما ترجمته «الأمير غلبان»!

وما إن سمع أصحـاب البيت بموكب صـاحب السمو الملكى الأمير أوف مفيش ومهراجا الهند والسند وماوراء خط الاستواء حتى فتحوا له ولأفراد حاشيته الأبواب.

ودخل وتفرج مجانا على مايدفع فيـه الآخرون خمسة جنيهات ـ بواقع جنيه لكل رأس ـ ولم ير فى الواقـع شيئا غير عادى فى بيت مسز سمبسون، كان الـدور الأول يتألف من أربع حجرات فيهـا من الأثاث الفـاخر الشىء الكثير مما يدل على أن مسز سمبسون كانت من بنات الذوات!

وعلى حوائط الغرفة علقت عدة صور لمسز سمبسون فى أوضاع مختلفة ومن بينها صورة لها وقد ارتدت مـلابس سنة ١٩١٤ ذات الاكمام الطويلة والياقة العالية وبدت أشبه بزجاجة الويسكى منها بسيدة حسناء.

وفى الدور العلوى رأى غرف النوم العادية وفيها الغرفة التى ولدت فيها وفتحت عينيها لأول مرة. وكتب أصحاب البيت على هـذه الغرفة (هنا ولدت أعظم امرأة فى التاريخ).

وفى بلتيمور قـابل الكـوماندور ويتقـريد سبنسر الضـابط فى البحـرية الأمريكية، وهو أول زوج لمسز سمبســون، فألفاه رجلا فى حوالى الخمسين من عمـره، بدين الجسم، فيـه خشونـة البحارة، وقلة أدبهم! رغـم علمه أن صاحبنـا هو الأمير «أوف مفيش» ومهراجـا الهند والسند ومـاوراء البحار وتحت خط الاستواء.

وجلسا يتحدثان طبعاً عن مسز سمبسون.. وهل هناك فى بلتيمور وقتئذ موضوع سواها ؟

وقال له الرجل : إنه لم يعرف فى حياته سيدة مدهشة مثل هذه المرأة «إنها جذابة.. فاتنة.. ذكية، تستحق الحب والعبادة.. لقد كانت زوجتى مدة ثمانية أعوام وافترقنا منذ اثنتى عشرة سنة وإننى أؤكد لك انه مهما حدث لها فى المستقبل فهى فى عينى دائما تستحق كل الحب وكل الاحترام».

وقال مستر سبنسر إن إدوارد رأى مسز سمبسون فى المرة الأولى فى ٧ أبريل سنة ١٩٢٠ لما كانت زوجته هو.

وكان إدوارد — البرنس أوف ويلز فى ذلك الوقت - يزور أمريكا، وقد شاهد مسز سمبسون فى حفلة راقصة أقيمت فى النادى البحرى بكوروندو.

وأسند مستر سبنسر رأسه إلى الجدار ومرّ بيده على رأسه وكأنه يمسح الغبار عن الذكريات السعيدة وقال:

— إننى أذكر فى ذلك اليوم أن البرنس أوف ويلز كان قد أشار بإصبعه إلينا وسأل أحد من كانوا معه عمن نكون.. ولم نعلق — زوجتى وأنا - على هذا الحادث لأن أحداً منا لم يكن يظن أن زوجتى سوف تكون يوما معبودة امبراطور أكبر امبراطورية فى العالم.

وتركهم الرجل وهو يقول إنه سعيد لأنه عاش مع مسز سمبسون ثمانية أعوام وهى فى ريعان الشباب دون أن يخسر شيئا بينما أراد رجل آخر أن يعيش معها وهى فى الأربعين من عمرها فاضطر إلى أن يدفع لذلك ثمنا غاليا هو أكبر عرش وأعظم تاج وأغلى صولجان.

وبنات مدينة بلتيمور «مغرورات» فكل فتاة منهن تعد حكاية مسز سمبسون أرفع شرف نالته بنات بلتيمور.. وأن أية واحدة منهن كانت يمكن ان تكون بطلة القصة الخالدة.. وقد أصبح معروفا فى أمريكا الآن أن بنات بلتيمور مشهورات بالفتنة والإغراء. خاصة أن حادث مسز سمبسون ليس هو الأول، فقد حدث فى سنة ١٨٠٣ أن أحب جيروم بونابارت شقيق نابليون بونابارت فتاة من بلتيمور اسمها «بتى بترسون» وتزوج بها وأراد أن يجعل منها ملكة لولا أن نابليون لعب فى ذلك الوقت

نفس الـدور الذى لعبـه مستر بلدوين.. ولكن نـابليون نجح واستطـاع ان يفـرق بين الزوجين الحبيبين. ومن هنـا ظنت كل فتاة فى بلتيمـور انها مثل مسز سمبسـون.. وانه لا ينقصها لترفع رأس بلتيمـور عالياً سـوى واحد من أصحاب السمو أو الجلالة.

نصف ساعة مع ابن كلب :

وسمعهم صـاحبنـا يتنـادرون بحكايـات عن رجل مصرى قـدم منـذ سنوات إلى معرض شيكاغو وأحضر معه حمارا من النوع الحصـاوى.

وكان الـرجل يعرض على الأطفـال والفتيات الأمريكيـات ركوب الحمار فيدور بهم فى جوانب المعرض مقابل خمسة قروش للرأس الواحد.

وحدث ذات يـوم أن هدد الحمار بالإضراب عن العمل، ولعلـه كان يطلب تحسين حـالته وزيـادة مقطـوعية البرسيم! أو لعلـه كـان قد مل معـرض شيكاغـو وأهل شيكاغـو، وأراد أن يروح عن نفسه فى بلـد جديـد من بلاد أمريكا العديدة.

ويظهر أن الرجل صهين عن إجابة مطلب الحمار ولم يراع مزاجه.. ومن هنا جلس الحمار على الأرض وأبى فى عناد ان يتحرك أو يقوم.

وقال الرجـل «شـى» و«حا» و«فز» و«انجر» و«قوم» وغيرهـا من أفعال الأمر التى لم يتعرض لها بعد المجمع اللغوى!

ولكن الحمار بدا كأنه لا يفهم هو الآخر هذه الكلمات العامية واستمسك بـرأيـه وأصر على الإضراب التـام، وانهال الـرجل على الحمار بـالعصـا والشلاليت.

وبينما هو كذلك أمسكتـه سيدة أمريكية ونـادت رجال البوليس وطلبت إليهم القبض على المجرم الأثيم.

ونشرت الصحف هـذا الحادث الجلل بـالخط العـريض فى نفس المكـان الذى يخصص الآن لكبار الشخصيات، ولأهم الأنباء.

وفى اليـوم التـالى قـدم البـوليس الـرجل إلى المحكمـة التى اكتظت بالحاضرين والقادمين من البلاد المجاورة.

وسأله القاضى عما إذا كان قد ضرب الحمار.

ودهش الرجل من تدخل الحكومة والجماهير فى مسألة شخصية بينه وبين حماره، وبعد أن أعلن أن الحمار من رعايا الحكومة المصرية وليس من رعايا حكومة العم سام، اعترف بأنه ضرب الحمار لأنه عصاه ورفض المسير، وقال إن هذا حماره وله حق أن يضربه ويضرب أباه أيضا.

وأفهمه القاضى بواسطة مترجم انه ليس حرا فى ضرب حماره، وأن هناك جمعية تحافظ على الحيوانات من أمثاله قساة القلوب غلاظ الأكباد، وحكم عليه بغرامة عشرة جنيهات وسط تصفيق الحاضرين.

ودفع صاحب الحمار الغرامة والتفت إلى الحمار يقول:

— يا ابن الإيه. ماكنتش أعرف إن لك قرايب كتير.. هنا!

وتذكر صاحبنا هذه الحكاية عندما ذهب إلى بلد بالقرب من مدينة بلتيمور لزيارة أحد أصحاب الملايين، ولم يكن صاحب الملايين المذكور رجلا ولاامرأة، بل كان كلبا «بولدج».

وذلك أن صاحب ملايين يدعى «هوايت» توفى منذ أعوام وترك لكلبه «بوبى» ثروة قدرها خمسة ملايين ريال.

واشترط فى وصيته أن يقيم صاحب الفخامة «بوبى» فى قصره الكبير وأن يتولى خدمته خدم القصر وحشمه وأن يكون للكلب سكرتير خاص.

وأصبح الكلب يقيم حفلات كوكتيل وحفلات شاى وحفلات راقصة، وطبعاً لم يدع صاحبنا إلى هذه الحفلات لأنها كانت مقصورة على كلاب العم سام.

وحدث مرة أن أصيب الكلب بتوعك فى المزاج ألزمه الفراش، وحضر أكبر أطباء أمريكا لعيادة الكلب المليونير، واستحضروا دواء خصيصا من ألمانيا بالطيارة.وتكلفت «خستكة» الثرى الأمثل الذى هو الكلب خمسة آلاف جنيه.

ودخل صاحبنا القصر الهائل الذى يسكنه الكلب العزيز، فإذا به لا يقل فخامة ولا روعة عن أى قصر من قصور الأساطير، وفتح له الباب خادم ارتدى الملابس الرسمية وانحنى للضيف فى أدب وخشوع. وطلب الضيف مقابلة السكرتير فقاده الخادم إلى فتاة رشيقة حلوة فقدم نفسه إليها

بالتهويش المعهود، وأخبرها أنه حضر من مصر خصيصا إلى أمريكا لمقابلة صاحب العظمة بوبى الأول سلطان الكلاب.

وأخبرته السكرتيرة أنها آسفة جدا لأن بوبى ركب السيارة البكار فى طريقه إلى نزهة قصيرة وأنها لا تعرف متى يعود.

وعرضت عليه أن يتشرف بمقابلة «لورد».

ولورد هذا هو ولى عهد بوبى.. ولولادته حكاية يجب أن يسجلها التاريخ.

ذلك أن الأب «بوبى» أعجب بكلبة اسمها «شيكو» وتدلَّه فى غرامها، ولكن شيكو لم تكن من الأسر النبيلة، ومن هنا عارض المشرفون على الكلب بوبى فى اتصاله بها وحظروا عليه البصبصة وتلعيب الحواجب وإرسال سلامات الشعر من الشبابيك. ولكن كل هذا لم يؤثر فى بوبى العاشق فأضرب عن الطعام وهدد بالنزول عن عرش الكلاب، ومن هنا دعيت الآنسة «شيكو» إلى القصر وسمح لها بالمثول بين يدى بوبى وعقدت الخطبة وتم الزفاف فى الحال. وكان «لورد» أول نتيجة مباشرة لهذا الزفاف الموفق السعيد. وهذه القصة وتفاصيلها وحواشيها كانت مذكورة على كل لسان لأنها من مقتضيات الغنى والثراء، ولو كانا فى دولة الكلاب.

ومثل صاحبنا بين يدى «لورد» وكان حضرته جالسا فى ركن من الحديقة الواسعة وأمامه طبق من العظام. وما كاد الكلب يرى صاحبنا حتى هبهب فى وجهه مرحبا، فشكره باسم الصحافة المصرية على هذا اللطف والإيناس!

وكان لورد المذكور كلبا ضعيفا هزيلا على الرغم من انه فى شرخ الشباب، أحمر الشعر، ليس فى عينيه أى شبه بعينى جريتا جاربو أو كاى فرانسيس.

وقالت له السكرتيرة ان لورد المذكور ضعيف الصحة جدا، وان الأطباء يئسوا من تقويته، وأنه تقرر استحضار طبيب فرنسى إخصائى فى أمراض الكلاب لعيادته.

فسأل صاحبنا السكرتيرة عما إذا كان «لورد» سعيدا فى حياته!

فاجابت بالنفى وأنه كثيرا ما يهرب من القصر ويعثر عليه جالساً فى صندوق للزبالة أو واقفا مع كلبة من بنات الإيه.

وفهم أن لورد لا يرث الكلب بوبى بعد وفاته لأن أصحابه أوصوا بأن ينتقل المال بعد وفاة الكلب بوبى إلى المدارس والمستشفيات.

وفجأة وقفت سيارة كبيرة أمام القصر، ونزل منها كلب أبيض ومعه ثلاثة رجال عرف أن أحدهم طبيب يلازم حضرة الكلب باستمرار ويتقاضى مرتبا عن ذلك قدره مائة جنيه.. واقترب صاحبنا من الكلب بوبى يحييه لعل وعسى أن يكتب له قرشين أو يهجم عليه بعضة فيرفع قضية تعويض. لكن يظهر ان بوبى كان ابن أصل او ابن كلب لانه اكتفى بالنباح!!

وبعد أن رأى القصر المدهش ، والحجرة الهائلة، والأثاث الفاخر، والحديقة الغناء، حدث نفسه بأن كثيرين يتمنون لو كانوا كلابا وأولاد كلاب أيضا..

مدينة اللطافة حيث تنفق النساء على الرجال :

وساله صديقه «الواعى» :

— الا تعرف أن فى أمريكا مدينة تدعى «ويست بوينت» وأن من تقاليد هذه المدينة أن تنفق النساء على الرجال.

وانعقد لسانه من الدهشة ـ وما أكثر ما ينعقد لسانه لأهون سبب ـ ثم ضرب بيده على رأسه وهو يقول:

— يا لى من مغفل!

ولم يقل صديقه البارد «لا سمح الله» أو «العفو» أو حتى «ليحيا التواضع» كلا.. لم يقل البارد شيئا من هذا ـ لأن الأمريكان لا يعرفون الكذب او المجاملات ـ بل وضع يده فى يده مهنئا لأنه فى آخر الأمر ـ قد فهم نفسه على حقيقتها ـ وراح يذكره انه حاول منذ أن عرفه أن يقنعه أنه مغفل وأنه يرفض التسليم والاقتناع.

حقا إنه مغفل ! كيف لم يسمع عن هذه المدينة من قبل، وهو يجوع ستة أيام كل اسبوع!

لـو أنه سمع عن هـذه المدينة مـن قبل لوفـر على نفسه الجلـد والسقط وأوراق البنكنوت التى أنفقها فى مدينتـى واشنطون ونيويورك وغيرهما من المدن حيث النـاس لم تتمـدين بعـد، وحيث لا زال الـرجـال ينفقـون على النسـاء!وتعلق بـذراع صديقـه المنقذ الأعظم وقال لـه : هيا نطير إلى مـدينة اللطافة أو نسافر إليها بأول قطار.

ولكن صديقه أفهمه بأن ذهابـه معه لن يجديه نفعا.. إذ كيف يستفيدان من مدينة اللطافة وهما الاثنان خناشير بالخط العريض؟

وهكذا وافقه مـرة أخرى على أنه مغفل، وأن خيرا له أن تـرافقه فى السفر إحدى بنات حواء.

وراح يسعى إلى صديقة حسناء وسألها أن تذهب معه إلى مدينة اللطافة المشار إليها.

وقـال لها على سبيل الإغراء انها سـوف تذهب بسيـارته ذات السلنـدر الواحد والـ ١٥ حصاناً.

والفتـاة الأمـريكيـة تحب المغـامـرة وركـوب الأهـوال. ولهذا لم تمانع صديقته فى أن تركب السيارة على هـذا الاعتبار، واصطحب الفتاة إلى منزلها لتخبر أهلها.. ولم تقل الفتـاة انها سوف تذهب إلى الخياطـة، أو إلى صديقة لها أو إلى السينما، أو لتقـرأ الفاتحة فى الإمـام الشـافعى، كما تفعل فتياتنـا المصريات، اللاتى يعشن فى دنيا من الكذب والنفاق، لم تفعل الفتاة شيئا من هذا، بـل أخبرت أمها أنها تريـد زياة مـدينة ويست بـوينت، وأنها ستركب سيارة صاحبنا، لأن المضطر يركب الصعب من الأمور.

وكان قـد أعد لـلأمر عـدته، فأخـذ معه زجـاجة أوتير وأخـرى نشادر وطاسـة الخضة، خوفـاً من أن يغمى على الأم من هول مفاجأة سفـر ابنتها مع شاب غريب، ولكن السيدة ابتسمت ورجت لابنتها وله سفرا سعيداً بعد أن ألقت عليه نظـرة فاحصـة لعلها فهمت منهـا أن ليس فى خلقة صـاحبنا ما يشجـع ابنتها على عصيان الله، بل لعـل العكس هو المنتظر.. فـإن وجهه يدفع اية كافرة عابثة إلى التشعلق بالصراط المستقيم.

وانطلقت السيارة، وبعد ساعتين أشارت الصديقة إلى مدينة فى الطريق،

فهتف ممنيا نفسه: هنا مدينة اللطافة حيث الرجال يعيشون على حساب النساء.

وأوقف سيارته ـ وسيارته تقف بسهولة غريبة و إنما الصعوبة الكبرى هى عندما تقوم ـ أوقف سيارته وسأل أحد المارة عن أفخم فندق هناك.

وماذا يهمه ما دام لن يدفع شيئا، وما دامت صديقته سوف تتكفل بالدفع، وجلسا إلى مائدة فى «فندق أمبير» وطلب ما خف وزنه وغلا ثمنه من شمبانيا وحمام وكافيار.. وأغلى ما فى أمريكا هو هذه الأشياء الثلاثة. وجاء وقت دفع الحساب.

وإذا بالجرسون عديم المروءة والإنسانية يقدم له هو ـ الرجل الذى لا شك فيه ـ يقدم له فاتورة الحساب.

فسأل صاحبنا الجرسون بدهشة:

— ألسنا نحن الآن فى ويست بوينت مدينة اللطافة؟

وهز الجرسون رأسه آسفا وقال:

— كلا ياسيدى .. إنها هى البلدة التى بجوارنا.

ونظر صاحبنا إلى قائمة الحساب فإذا بها ثلاثون ريالاً ، أى ستة جنيهات.. ودفع المبلغ بعد ان استعمل طبعا زجاجة النشادر وزجاجة الأوتير وطاسة الخضة التى كان قد أحضرها لأم صديقته الحسناء.

وذهبا بالسيارة إلى المدينة المجاورة، ولم يقبل أن يدخل أى فندق أو لوكاندة قبل ان يحصل على إقرار كتابى من عمدة البلدة بأنهما فى مدينة اللطافة.

ومدينة ويست بوينت مدينة طريفة، فيها المدرسة الحربية الأمريكية، والإقبال على هذه المدرسة عظيم.. إنه مثل إقبالنا على الاشتغال بالوظائف الحكومية سواء بسواء.

ويكفى ان تعلم أن عدد الذين يتقدمون كل عام لدخول هذه المدرسة يبلغ مائة ضعف العدد المطلوب.

والفتاة الأمريكية تعبد ضباط الجيش، والسعيدة هى التى تجد زوجا من ضباط الجيش أو على الأقل طلبة المدرسة الحربية الأمريكية.

وطلبة المدرسة الحربية لا يتقاضون مرتبات أثناء دراستهم ولا تسمح لهم المدرسة بالحصول على نقود من أهليهم.

ولهذا فإن الفتيات يحضرن من جميع أنحاء أمريكا ويقمن فى هذه المدينة ويتولين الصرف والإنفاق على الطلبة الضباط.

ولهذا أيضا، اشتهرت هذه المدينة بأنها المدينة التى ينفق فيها النساء على الرجال، فإذا جلست مع فتاة وطلبتما عشاء تقدم الجرسون بالفاتورة إلى الآنسة التى معك وليس إليك ، كما فعل الجرسون المغفل الذى سبقت الإشارة إليه، وإذا ركبت تاكسى مع فتاة حاسب السائق الفتاة ولم يحاسبك أنت. وهذا عرف متفق عليه لا يستطيع أى رجل أن ينقضه أو يعتدى على قدسيته فيدفع حسابه وحساب المرأة التى معه حتى ولو كان من أصحاب الملايين.

وتساءل صاحبنا : لماذا لاتنشىء وزارة حربيتنا مدينة للطافة حول المدرسة الحربية أو مدرسة البوليس؟! ثم أفاق من غشيته وسحب سؤاله!!

لصوص أمريكا :

وما لبث أنْ عرف أن الانسان لكى يكون عظيماً فى أمريكا يجب أن يكون واحدا من ثلاثة: إما رئيسا للجمهورية، أو نجما سينمائيا، أو رئيسا لإحدى العصابات!

أما إذا كان وزيرا، أو وكيلاً للوزارة؟ أو عضوا فى مجلس النواب، فإن أحدا لا يهتم به، أو يقول أنت فين!

ويسافر وزير الحربية، ويموت وكيل الخارجية، ويدهس الترام أعضاء مجلس النواب، فتنشر الصحف أخبارهم فى ذيل عمود فى صفحة متأخرة، كما تنشر صحفنا خبر ترقية محمد أفندى كعب الغزال كاتب محكمة أخميم الشرعية إلى الدرجة الثامنة حرف (ج)، أو النجاح الباهر الذى صادف نجل وكيل بوستة أبو كبير وكيف نال الشهادة الابتدائية ولم يتجاوز سن العشرين!

ولكن إذا انحرفت صحة آل كابونى، أو إذا أخذ شربة زيت خروع قامت الدنيا وقعدت، وصدرت نشرات طبية تُذاع فى الصحف بالخط العريض،

فتذكر بـالضبط عدد المرات التى عطس فيها آل كابـوني، وعدد المرات التى قيل له فيها «يرحمكم الله».

وإذا حدث أن ازدادت «خستكة» آل كـابونى أصدرت الصحف الملاحق عن حـالة المجـرم الكبير.. وأوفدت مندوبيهـا بالطيـارات للاستقســار عن صـحته!

وكان قبل أن يـذهب إلى أمريكـا يقرأ فى الصحف، ويشـاهد فى السينما حكايات وروايات عن لصوص أمريكـا العظام، وكان يتوقع فى كل دقيقة أن يقابله لص فى الطريق ويصوب إليـه مسدساً ويقول: « ارفع يديك » فيرفع يديه فى الهواء.

سار صاحبنا فى شوارع نيويورك وواشنطون وشيكاغو.

ولكن أحـدا لم يقطع عليه الطـريق، ولم يتقـدم إليـه لص ليلوى رقبتـه ويأخذ كل ما فى جيبه، وهو ـ أى ما فى جيبه ـ لا يزيد عادة على نصف ريال.

لم يحدث شيء من هذا لحسن الحظ ـ حظ اللصوص طبعا ـ وليس هذا لاستتباب الأمن العام، ولا لأن اللصوص كـانوا فى اجازة، ولكن لأن لصوص أمـريكـا قـوم بعيـدو النظـر، يعـرفـون المفلسين وأصحـاب الملايين من سيماهم.. وسيماه هـو لا تخدع أحـدا من اللصـوص.. ثم إن اللصـوص فى أمريكا يؤمنون بالحكمة القائلة «إذا سرقت فاسرق جملا» ولم يكن صاحبنا جملا بين رجال المال ولا حتى «معزة» والحمـد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه.

ولقد كـان ـ بينـه وبين نفسه ـ متضايقـا من لصوص أمـريكا الـذين لا يعرفون أقـدار الرجال وكان يمنى النفـس باليوم السعيد الـذى يفاجئه فيـه «لص» مغفل ويطلق رصـاصتين فى الهواء، ثم يعلم بعـد ذلك أن العين بصيرة، واليد قصيرة، وأن السويداء ليس فيها فلوس.

وأخيرا.. وفى يوم ممطـر سـارت سيـارته وهى تتـوكأ على أربع عجلات، اثنتان منها فـاضيتان ـ كأولاد الذوات فى مصر ـ واثنتان منهـا فاضيتان ـ كأولاد الذوات فى مصر أيضاً..

وفى منتصف الطريق استوقفه رجل طويل عريض، وحدجه بنظرة هائلة

سابت لها اقدامه، وسابت معهما عجلة القيادة والفرملة والدبرياج والعجلتان المنفوختان.

وكان الرجل يبدو عليه انه لص خطير، ولم يكن فى حاجة إلى أن يشهر مسدسه فى وجه صاحبنا فقد أخافه وجهه الكئيب أكثر مما يخيفه جيش جرار.

قال له الرجل وهو ينظر إليه شزرا:

— هل معك نقود؟

وفتح صاحبنا فمه ليتكلم، ولكن لسانه امتنع.. وأحس بشىء يسيل من وجهه فقال لنفسه: لا بد انها الدماء تسيل، أو لأن الرجل أطلق عليه رصاص دمدم الذى ليس له صوت.. فأغمض عينيه وقرأ الشهادتين، باللغات الثلاث التى يعرفها، وأدرك أخيرا أن الذى سال لم يكن دما ـ فقد هرب دمه طبعا ـ وإنما كان عرقا..

وعاد الرجل يشخط فيه من جديد ويقول له: هل معك نقود؟

وأخرج ما فى جيبه وغطى وجهه بيده لا هلعا ولا خوفا من التهديد والوعيد، ولكن كسوفا من الرجل، فقد كان كل ما معه لا يزيد على ريالين.

وكان اللص ظريفا فأخرج من جيبه ريالا وأعطاه لصاحبنا واحتفظ بالريال الباقى على سبيل التذكار!

واللصوص فى أمريكا يعيشون كأصحاب الملايين، وهم مبجلون ولا يجرؤ صحفى واحد أن يلقبهم بلقب «المجرم الأثيم» و«القاتل السفاك» و«اللص الدنىء».. وإلا انتقلت الجريدة بكامل محرريها ومندوبيها ومخبريها إلى قرافة المجاورين فرع نيويورك.

وحدث مرة ان كان صاحبنا فى كلوب القطن Coton Club فى برودواى وهو ناد ليلى وكباريه، وكل ممثليه من الزنوج، ويتردد عليه أصحاب الملايين.

وفجأة دخل رجل طويل يرتدى ثوبا أنيقاً ويسير بتؤدة ويتكلم بهدوء ويبتسم ابتسامة حلوة كابتسامة العذراء البتول.

وإذا بكل الفتيات ينظرن إليه بلهفة ورغبة وشوق، كما ينظر العابد إلى

المحراب، أو المفلس لورقة من ذات المائة جنيه.

وسأل صاحبنا : من يكون هـذا المنافس الخطير؟ والتفتت إليه زميلة فى دهشة وهى تقول:

— ألا تعرف عميد ذوات نيويورك؟

قال : فأنا لست من أولاد الذوات!

قالت : إنه «المعلم جو» رئيس أكبر عصابة لصوص فى نيويورك.

قـــال : تشرفنـا .. وإن لم يـــزدنى شرفـــا بأن «يسرقنى» أو يقطع علىّ الطريق.

فزغرت له الفتاة وقالت :

— إنه رجل محترم لا يسرق إلا أصحاب الملايين.

○○○

وعندما يموت زعيم اللصوص تلبس نيـويورك الحداد وكان المرحوم هو «فقيــد الـوطن» و«الخطب الجلـل» و«المصـاب الفــادح» و«رجل المروءة والإحسان».

وحـدث مـرة أن قتل أحد رؤســاء العصـابـات واسمه «فـرانكى بـال» فوضعوه فى نعش تكلف ثلاثة آلاف جنيه، وكان طول جنازته خمسة أميال.

وسارت خلف النعش ثمان وثـلاثون سيارة بين رولزرويس وبـاكار.. وكانت كلها مملوءة بالأزهار والرياحين.

وقالت الصحف ان ثمن الزهور التى قدمها أصدقاء الفقيد تقدر بسبعة وثلاثين ألف ريال!

وتضايق صاحبنا عندما عـرف بحال اللصوص فى أمريكا وقال لنفسه، عنـدنـا فى مصر يمـوت اللص الشهير فـلا يبلغ طـول جنـازتـه خمسـة سنتيمترات ـ بعـد طرح مساحـة النعش والعربة الكـارو التى تحمل نساء الحى والندابـات ـ ويدفن كما يـدفن الخاملون ثم تأتى المحافظـة بعد ذلك وتصر على أن المحكوم عليهم بالإعدام لاتشيع جنـازتهم ويدفنون خلسة فى الظـلام. إننا فى بلـد لاتقدر العظماء وأصحـاب المواهب من المصريين، ثم ان مستـوى اللصوص فى مصر ليس على مـا يرام — ولـولا الاختلاسـات التى

يقوم بها بعض الكبار، ويقع فيهـا كل الصـغار.. لأصبح اللصوص فى مصر وليس لهم فى الهيئة الاجتماعية مركز ولا مقام.

وفكر صـاحبنا فى أن يقترح على الحكـومة أن تطلب من أمـريكا خبيرا فى اللصوص ، أسوة بخبير تربية الفيران، وخبير الصلصة، وخبير زراعة البلح الأمهـات.. ومهمـة هـذا الخبير أن يعلم لصـوصنـا الطـرق الحديثـة فى اللصـوصية جـريـا على السياسـة الجديـدة فى رفع مسـتـوى الصناعـات والفنون.

أما أن يسرق اللص ريـالا أو رغيف خبز أو جامـوسة فإنه حـال لم يعد يتناسب مع مركز مصر الجديد، بعد عقد المعاهدة وإلغاء الامتيازات!

وقد حدث أخيرا ان ارتفع مستوى اللصـوص بارتفاع مستوى المعيشة، وكان المفهوم انه بعد أن سرق ثلاثة شبان فرع البنك الأهلى بمصر الجديدة أن اللصوص قد تقدموا، ولكن ظهر بعـد ذلك أن الثلاثة كانوا متخرجين من مستشفى المجاذيب!

الألقاب فى أمريكا :

والفتاة الأمريكية لا يجذبها المال، ولايستهويها الجمال.

فالمال فى أمريكا بالملايين.

والجمال فى بلاد العم سام يزحم كل مكان.

ولكن الذى يستهوى الفتاة الأمريكية هو الشاب صاحب الألقاب.

كن أميراً.. أو نبيلاً.. أو لورداً.. أو سيراً تجد الفتيات الأمريكيات يقضين الوقت بين ذراعيك راكعات ساجدات.

وصـاحبنا لم يكن أميرا أو نبيـلا ولا حتى « بيكـاً » وقد حـاول ان يقنع بنـات العـم سـام أن لقب «أفنـدى» من الألقـاب الهائلـة فى مصر، ولكن الخبيثـات شمخن بأنـوفهن واحتقـرن اللقب المجيـد، ولهذا لم ير أمـامـه راكعات ساجدات، وإن كان هو الـذى تولى عملية الركوع والسـجود. ولأول مرة شعر بـالحسد والغيرة من سلطان دارفور الذى يتخـذ له محلا مختارا فى الحى الحسينى بـالقاهـرة ولا يطمع فى أكثر من «بـراد» شاى من قهـوة الفيشاوى.. لو أن هـذا العبيط ذهب إلى نيويورك أو هـوليود لاستطاع أن

يغرق جمهور القاهرة جميعا فى براد.. من الشمبانيا.

وعرف فى أمريكا ثلاثة أمراء مفلسين اسمهم الأمراء «مديفانى» وهم من أمراء بلد فى أوربا لا تزيد مساحته على مساحة كفر البلاص، أو حارة السكر والليمون، ولا تستطيع أن تراه على الخريطة إلا بالميكروسكوب، وإذا رأيته فإن مساحته لا تزيد على حجم رأس الدبوس.

ولكن هؤلاء الأمراء الثلاثة عرفوا كيف يقيمون أمريكا، ويقعدونها، وما زالت أمريكا قائمة واقفة من أجلهم حتى الآن.

وقد استطاع كل واحد منهم أن يتزوج واحدة من صاحبات الملايين، لا لجمالهم الفتان ولا دمهم الشربات، ولكن لأن كل واحد منهم يحمل لقب صاحب السمو الأمير، وكل فتاة تتزوجهم تكون أميرة تستطيع أن تفاخر بنات أمتها بأن عروقها يجرى فيها الدم الأزرق البهتان.

وحدث منذ عشر سنوات ان حضر إلى واشنطون طالب مصرى من أسرة كبيرة معروفة.. ودخل فى إحدى الجامعات وادعى حضرته انه أمير، وأطلق على نفسه لقب « سمو الأمير ».

وأخذت المفوضية تكذب هذه الاشاعة وتؤكد انه ليس أميرا ولا نبيلا وكل ما هنالك انه واحد من الأربعة عشر مليونا من رعايا الملك فؤاد، ولكن بنات العم سام الغبيات أصررن على أنه أمير ابن أمير.

وعاد الشاب من أمريكا دون أن يحصل على شهادة واحدة، ولكنه حصل على «وقت طيب» فى صحبة عشرات البنات الأمريكيات، ورفع رأس مصر عاليا فى ميدان الغرام حتى أصبح - أى رأس مصر - أعلى من ناطحات السحاب.

○○○

وظهر فى إحدى مدن أمريكا رجل من الحواة ادعى أنه أمير مصرى آخر.

وفتح الرجل سيركاً نال نجاحاً كبيرا، لا لأن به العابا بهلوانية أو وحوشا مفترسة، بل لأن الفتيات الأمريكيات أصبحن يترددن عليه وكل واحدة تطمع فى أن تتزوج من الرجل وتصبح دوقة أوف بولاق أو برنسيس منفلوط.

وقد كذبت المفوضية المصرية أن الرجل أمير وأذاعت هذا على الناس. ولكن بنات أمريكا لايصدقن المفوضيات ولا السفارات ولا القنصليات. وقابل صاحبنا مرة أمريكيا يدعى مستر لويد جريم وقد كان في وقت من الأوقات سكرتيرا للرئيس هاردنج رئيس الجمهورية الأمريكية الأسبق.

وسأله الرجل ـ لما عرف أنه مصرى ـ هل هو أمير؟

وأجاب صاحبنا انه ليس أميرا.. وان الدم اللبنى المسخسخ الذى يراه فيه هو من آثار بوكس تناوله من زميل له على سبيل المداعبة والهزار.

وضحك الرجل وقال: لو زعمت انك أمير مصرى لما صدقتك فقد جاء أمريكا قبلك أمير نصاب وضحك على كل من فيها، حتى على رئيس الجمهورية، ثم راح يقص هذه الحكاية:

ـــ كان ذلك في عام ١٩٢٠.

حضر إلى أمريكا أحد النصابين، وأقام بها عامين بين العائلات الكبرى وأصحاب الملايين الذين كانوا يفسحون له بيوتهم، ويدعونه إلى المجتمعات، ويقيمون من أجله السهرات وهم يحسبونه أميرا مصريا، فقد كانت بطاقته مكتوبا عليها بالحروف المذهبة باللغة الانجليزية «صاحب السمو الملكى الأمير زدر سينو محمد سعيد» ورسم فوقها شعاره الملكى وهو تاج مصرى وفوقه هلال وثلاثة نجوم.

وكان محمد سعيد هذا معبود نيويورك، وفتيات نيويورك، وحسان نيويورك، وكانت تتهافت عليه الأمهات اللاتى يردن أن يرفعن بناتهن إلى سماء الإمارة، والفتيات المليونيرات اللائى يحلمن أن يصبحن إلى جانب غِناهن الفاحش صاحبات سمو ملكى.

وكان الأمير محمد سعيد يبالغ فيقول: إن تاريخ سنسفيل جدوده يرجع إلى أيام الفراعنة، ويستطيع أن يكر أسماء أجداده من سنة ٤٠٠٠ قبل مولد المسيح..

وكان يقول إنه ولى عهد مصر، وأمير تركستان، وقريب ملك إسبانيا، وابن عم فيصل ملك العراق، وقريب مصطفى كمال، وكأنه «قاسم مشترك أعظم» بين الملوك والأمراء.

وكان شابا طويل القامة، نحيل الجسم، أسمر اللون، له عينان فيهما كل ما في الشرق من سحر وسر.

وكان محمد سعيد يروى قصصا تثير النفوس وتأخذ بمجامع القلوب فيحكي عن جواريه وقصوره قصصا كالتى في روايات ألف ليلة.

وكان يقول : إن له قصرا في القاهرة فيه ألف غرفة خلاف الحمّامات والصالات وغرف الفراخ.

وانه يملك ٢٥ الف جواد أصيل، و٢٥ ألف جمل أصيل، ونصف مليون معزة وخروف، وكان يدعى أن لديه ٣٥ سيارة.

وفي أحد الأيام أرسل خطابا ـ وكان ذلك في سنة ١٩٢٢ ـ إلى الرئيس هاردنج رئيس الجمهورية الأمريكية يخبره فيه أنه سيشرفه بالزيارة في القصر الأبيض.

وسر المستر هاردنج، ورقصت زوجة مستر هاردنج من الفرح، لهذا الشرف العظيم.

وقال الأمريكي إنه كان سكرتيرا للرئيس هاردنج، ولاحظ انه هو وزوجته لم يناما الليل.

وحضر الأمير محمد سعيد في الصباح وزار الرئيس هاردنج، وكان في استقباله مستر هيوز وزير الخارجية في ذلك الوقت ورئيس المحكمة العليا فيما بعد ودستة ونصف دستة من الوزراء والكبراء.

ومكث الأمير محمد سعيد في حضرة رئيس الجمهورية نصف ساعة، وأطرف ما قاله للرئيس وقتئذ إن والده العظيم أهدى له ٢٥ فتاة حسناء لما بلغ الرابعة عشرة من عمره. ولم يستطع الرئيس هاردنج أن يقلع عين هذا الأمير الدجال بفتاة واحدة على سبيل الهدية .

ونشرت الصحف الأمريكية هذا التصريح الخطير بالخطوط العريضة وقالت تحتها: What Aman «يا له من رجل جبار».

ولم يكن لمصر في ذلك الوقت مفوضية تدافع عن سمعتها، وكذلك لم يكن للعراق ولا تركستان مفوضيات تضبط هذا النصاب.

ولكن سفارة تركيا في واشنطون علمت بالخبر وأبلغت البوليس.

وسمع «الأمير» بالخبر قبل أن يصل إلى البوليس وفر إلى لندن.

ثم ثبت بعد ذلك أن هذا الرجل كان قومسيونجيا لخائط ملابس صغير فى حى «تشيبايد» فى لندن، ثم أخنى عليه الدهر وسافر إلى أمريكا واشتغل قومسيونجيا أيضا.. ثم عاد الدهر وأخنى عليه من جديد فاشتغل أميرا.. إلى أن وصل خبره إلى البوليس.

كيف تستقبل أمريكا الملوك والعظماء :

أما أن أمريكا بلد ديموقراطى فمسالة بديهية لا شك فيها مثل ١+١=٢ ومثل الأرض كروية، ومثل الحلم سيد الأخلاق، ولكن لديموقراطيتها مفارقات غريبة فأهلها يعبدون الألقاب ويجرون بالمشوار فى ركاب الملوك والأمراء ، ويتباهون بأنهم يعرفون الكونت فلان والماركيز علان.

ويذكر صاحبنا أنه دعى ذات ليلة لحضور مأدبة عشاء، وكانت تجلس إلى جانبه فتاة، ابنة مليونير.. وكان جلوسها بجانبه بحكم الصدفة.. والصدفة كما تعلمون عمياء.

ولو كانت الفتاة عاقلة وأرادت المباهاة لذكرت اسم والدها المليونير الذى لشيكاته فى أمريكا قيمة الورق البنكنوت، أو صوبت إليه ابتسامة حلوة تنهزم أمامها ابتسامة «الجيوكندا» لأن الجيوكندا لم يكن لديها قطعا هاتان الشفتان اللتان كأنما أذيب فيهما عصير التوت، وصاحبنا يحب التوت ويتلذذ بعصيره، أو كان حسبها أن تلقي نظرة تائهة بعينيها الفاتنتين ليقول الناس إنها من سلالة هاروت وماروت إن لم تكن هاروت وماروت بأنفسهما!

ولكن الفتاة تناست كل هذه النعم وراحت تثبت له أن جدها السابع عشر كان متزوجاً من شقيقة ابنة خالة بنت عم دوقة لوكسمبرج.. وولاية لوكسمبرج لا تزيد مساحتها فى خريطة أوروبا على حجم البرغوث!

فالأمريكيون حريصون على أن يثبتوا أن سنسفيل جدودهم يتصل بأسر يجرى فيها الدم الأزرق أو أى دم عكر بعيد عن اللون الأحمر.

وعلم أنه بلغ من قوة سحر الألقاب فى أمريكا أن بعض الأمراء الروس المطرودين من روسيا سافروا إلى أمريكا وهم لا يحملون من حطام الدنيا

وبنكنوتها سوى شهادة ميلاد تثبت انهم من سلالة أسرة القيصر. فتزوجوا من أغنى سيدات أمريكا.

وليس فى هؤلاء سحر حلال أو سحر حرام، وليس فيهم جاذبية تلتقط الفتيات وهن على بعد ثلاثة أميال منهم.. ولكن كل قيمتهم انهم امراء وزوجاتهم يصبحن اميرات.. ودرجة أمير لها فى أمريكا مقام محظوظ فى كادر النساء.

وكانت نيويورك فى وقت من الأوقات مشهورة بطريقتها الجذابة فى استقبال الضيوف، وكان عمدتها رجلا اسمه «جيمى ووكر» وكان يحب الفرفشة والسرور.

وكان هذا العمدة يهتم باستقبال ضيوف نيويورك أعظم استقبال، ولم يكن يحفل كثيرا بمركز الضيف فى الهيئة الاجتماعية فكان يستقبل امبراطور اليابان كما يستقبل ابنة الجزار التى استطاعت ان تعبر بحر المانش.

وكان العمدة يرتدى دائما بدلة البونجور، ويتأبط ذراع الضيف ويمر به فى شوارع المدينة وسط الجموع الهاتفة المصفقة التى تلقى على الزائر من ناطحات السحاب الورود والرياحين واحيانا دفاتر التليفون.. إذا ما اشتد الاعجاب، حتى يصل الموكب إلى «سيتى هول» وهناك يلقى العمدة خطبة يرحب فيها بالضيف الكريم، ثم تنتهى الحفلة بأن يتقدم العمدة من الزائر فيصافحه إذا كان رجلا أو امراة عجوزاً ويقبله أو يعانقه إذا كانت فتاة ــ وتطول أو تقصر القبلة حسب نسبة جمال الزائرة الكريمة ــ وكان العمدة يسمى هذه القبلة « تحية نيويورك ».

ومن يومها صارت هذه العبارة «مثلا» فإذا التقى شاب بفتاة وأراد أن يقبلها وارادت هى أن تصفعه صاح فيها «هذه هى تحية نيويورك» ولكنها لم تكن تحفل بأن تقابل تحية نيويورك بتحية من حوش بردق أو عشش الترجمان.

وكان اعظم استقبال شهدته نيويورك استقبال الطيار «لندبرج» الذى عبر المحيط الأطلسى بطائرته.

وكاد الطيار يموت اختناقا من شدة تزاحم الجماهير حوله وتقطيعها لثيابه كي يحتفظوا بها عندهم «تذكارا» لذلك اليوم السعيد. ويقول الذين كانوا على مقربة من «لندبرج» وقتئذ إنه وصل إلى الفندق الذى أقام فيه بدون جاكتة ولا بنطلون، ولولا الجهد الذى بذله بوليس نيويورك لأصر الشعب المعجب بلندبرج على ان يحتفظ بالقميص وباقى الملابس الداخلية الأخرى.

ومن الاستقبالات الفخمة التى شاهدتها أمريكا استقبال السباحة «جيترو دادريل»وهى فتاة أمريكية استطاعت أن تعبر المانش سباحة.

وأعدت مدينة نيويورك بواخر خاصة لاستقبالها فى عرض البحر وهى قادمة من انجلترا، واطلقت المدافع تحية لها. واصطف الجيش على طول الطريق ووقف على رصيف الميناء ١٥ ألفا من المستقبلين يلوحون لها بالمناديل.

ومنحت المصالح أجازة لموظفيها ليشتركوا فى استقبال البطلة العالمية وخصصت الصحف الصفحة الأولى لصور استقبالها وراحت الفتيات يقلدن البطلة فى طريقة ملابسها، وفى تصفيف شعرها مع انها لم تكن إلا ابنة جزار بسيط، ولكن الأمريكيين يعبدون الالقاب.. حتى الالقاب التى تمنح فى المسابقات، ولهذا فإن لأمريكا ملكة لكل شىء، ملكة للجمال، وملكة للرشاقة، وملكة للدم الخفيف، وملكة للسيقان، وملكة للعيون.

وكانت مهزلة المهازل يوم استقبال الملكة مارى ملكة رومانيا ووالدة الملك كارول.

فقد نظمت نيويورك استقبالها على طريقة مسرحية تشهد للحكومة ببراعة الإخراج :

ولكن حدثت بضعة اخطاء لم يكن الذنب فيها على المخرج بقدر ما كان على الكومبارس والمتفرجين.

فقد اعلنت محافظة نيويورك أن استقبال الملكة يكون بالبونجور فذهب كثيرون لاستقبالها بملابس السموكن والفراك مع انها وصلت فى الصباح.

وأقيمت لها حفلة استقبال ووقف المحافظ يناديها بيا صاحبة السمو الامبراطورى .

وصاح أحد الحاضرين الواعين يقول :

— إن رومانيا ليست امبراطورية.. ولهذا يكون لقبها صاحبة السمو الملكى .

وكان ان دعاها المحافظ بيا صاحبة السمو الملكى ، مع ان لقب الملكة مارى المعروف هو صاحبة الجلالة !

وبينما كان موكب الملكة يسير فى شوارع نيويورك كان الناس يصيحون بألفاظ على سبيل الدعابة لا تليق بمقام الملوك. وقد حدث أن كانت جلالتها تمر فى شوارع برودواى فصاحت سيدة أمريكية فيها :

— هالو، مارى .

وتقدم بعض الصحفيين يسألون الملكة أسئلة سخيفة لا يمكن لسيدة أن تجيب عنها ، مثل هل تحبين زوجك؟ ولماذا تزوجت برجل يكبرك بسنوات؟ وأيهما تفضلين الجمهورية أم الملكية؟ وهل الرجال الأمريكيون أظرف أم الرجال الرومانيون..؟ ولو لم تتزوجى من ملك رومانيا فأى كواكب السينما تفضلين أن يكون زوجك؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الباردة الوقحة.

ولما زار الدوق أوف وندسور أمريكا ـ البرنس أوف ويلز وقتئذ ـ استقبله الأمريكيون استقبالا عظيما، فقد كان ، وهو ولى العهد، محبوبا من الأمريكيين ولكن هذا لم يمنع حدوث بضع حوادث سخيفة.

دخل سموه ذات ليلة إلى الفندق فوجد ثلاث فتيات نائمات فى فراشه. ضحك سموه وقال :

— لماذا جئتم هنا ؟

— إن أمريكا تفتح ذراعيها لانجلترا .

وأخرجهن سموه من الغرفة بعد أن سمح لكل واحدة منهن بشرف تقبيله فى شفتيه .

وابلغ البرنس أوف ويلز الخبر لمحافظ نيويورك .

ودهش المحافظ من دخول الفتيات غرفة ولى العهد مع أنها فى حراسة ثلاثة ضباط من خيرة ضباط البوليس الأمريكى.

وبعد التحقيق ظهر أن الفتيات الثلاث هن زوجات الضباط الثلاثة!

فى بيت واشنطون محرر أمريكا :

وقصد صاحبنا فى سيارة صديق له إلى مدينة مونت فرنون التى تبعد عن واشنطون مسافة ساعة بالسيارة العادية. ومسافة ثلاث ساعات بسيارة الصديق العرجاء .

وسيارة الصديق هذه يصح أن تكون نموذجا لتطبيق نظرية تطور السيارات ، فقد قيل انها كانت عربة كارو فيما مضى من الزمان ثم تطورت واصبحت (حنطورا) ثم (أوتوموبيلا) وكل جزء فيها له صوت، المقاعد، والديركسيون، والفرملة ، والكبوت، والعجلات إلا شيئين لم يكن لهما صوت وهما : الكلاكسون والنفير !

وسارت السيارة الهوينى — وهى أقصى سرعتها — وزغده صاحب السيارة وقال:

— الا تعرف أن فى سيارتى راديو ؟

قال: كلا ولكنى أعرف أن فى السيارة محطة إذاعة.

ولم يفهم صديقه النكتة — لأن ذكاءه محدود — ومر بيده على عدة مفاتيح ؛ فانبعثت أصوات مفروض انها طرب وغناء. ولكنها كانت ممزوجة بخشخشة السيارة وزقزقة العجلات.

والطرق الزراعية فى امريكا مرصوفة كلها وليس بها «مطبات» ولا «أتربة» ولا «عفار» ولا مسامير تخرق كاوتش العجلات. فهى لا تقل اناقة ووجاهة عن شارع الملكة نازلى فى القاهرة وشارع الكورنيش فى الاسكندرية. والأشجار مغروسة على جانبى الطريق بذوق فنان وخيال شاعر، وليست مبعثرة هنا وهناك بلا ذوق ولا ترتيب ولا اناقة كما نشهد فى أكبر الميادين فى الشرق. والحشائش الخضراء تتدرج على جانبى الطريق وكأنها الإطار الجميل قد أحاط بصورة حسناء .

وكان صاحبنا شخصا حاول طول حياته أن يحب الطبيعة وأن يكون

شاعرا يلهمه الخيال والجمال، ويتحدث عن النسيم العليل وعن السماء الزرقاء، ففشل فشلا تتحدث به الركبان.

ولكنه بدأ من تلك اللحظة يعجب بالطبيعة، وبدأ يتعلم أن يطيل النظر إليها ويقول «الله»!!

وكانت السيارة تمر بهما وهى تسير بسرعة المجانين. وكانت سيارتهما تسير بسرعة العقلاء، بل لولا دوران الكرة الأرضية لظننا انها تسير بسرعة البلهاء أو لا تسير مطلقا.

وعلى جانبى الطريق الزراعى كان يرى بعض السيارات واقفة وكل سيارة تحمل عاشقين يتناجيان فى ضوء النهار، ويرتشفان القبلات التى تحدث عنها عمر بن أبى ربيعة وأبو نواس.

ولم يشهد فلاحا يبحلق للسيارة أو يقول «إحم» أو «انزلى عنه» أو «سيب النعجة يا خروف». كما كان يحدث عندما كانت تقف أيّة سيارة فى طريق المطرية أو فى سكة حلوان.

ولم يشهد جنديا أو صبيا يتقدم للسيارة ويطلب من راكبها «البقشيش» ثمنا لصهينته وإغضائه الطرف عما يدور.

لم يشهد شيئا من هذا لأن الأمريكان يحترمون الغرام ويحترمون المغرمين.. أما فى بلد صاحبنا فواقعتها سوداء، وخبرها أسود، من تحب، ولو حبا شريفا. من النوع الذى كان بين ليلى ومجنونها.

ووصلت بهما السيارة إلى قرية فرنون حيث كان يسكن جورج واشنطون الذى حرر أمريكا من ظلمة الاستعباد والاستعمار.

ودفعا خمسة قروش ودخلا إلى البيت الذى كان يسكنه واشنطون، وكانت تحيط به حديقة كبيرة تبلغ مساحتها خمسة افدنة، وفى وسطها فيلا صغيرة بيضاء مبنية من الخشب البديع. وكان البيت بسيطا وأنيقا، وكان الأثاث متروكا على حالته التى كان عليها فى عهد صاحبه، وكان أول ما لاحظه أن عدد غرف النوم فى المنزل كثيرة جدا بالرغم من أن واشنطون لم يكن له أولاد.

وفسر صديقه الأمريكى ذلك ــ بأن جورج واشنطون كان زئر نساء.

ودخل الحجرة التى كان يجتمع فيها واشنطون بزعماء الثورة، والغرفة التى مات فيها، والغرفة التى كان يقيم فيها صديقه لافاييت أحد زعماء الثورة فى فرنسا وأحد الذين ساعدوا على استقلال أمريكا .

وكل حجرة معلق عليها (يافطة) عما حدث بها من الحوادث الجسام، وكل مقعد مكتوب عليه اسماء العظماء الذين جلسوا عليه.

والزائرون ممنوعون من لمس المقاعد التاريخية. بل من دخول بعض الحجرات وقد وضع على بابها المفتوح حبل من النحاس فيقف الزائر على بابها ويحدق من بعيد، وبعد خطوات رأى قبر جورج واشنطون الذى ما زال يحج إليه الأمريكان كل يوم، وإن كان قد مضى على وفاته عشرات الأعوام .

الصحافة العجيبة فى بلاد العجائب :

وما وطئت قدماه أرض كريستوف كولمبس حتى اشترى خمس صحف يومية، وقد تستطيع أن تحمل خمس صحف يومية فى مصر، أما الصحف اليومية الأمريكية فهى تصدر يوميا بين الستين والمائة صفحة، ولهذا لا يستطيع حمل خمس صحف إلا أبطال الربع !

وكانت الحرب الحبشية الإيطالية فى ذلك الوقت على أشدها، فرأى فى صدر الصحف جميعا عناوين بارزة تكاد تملأ الصحيفة الأولى عن فوز «النمور».

وظن هو أن النمور هؤلاء هم فرقة من الجيش الحبشى يرأسها الرئيس كاسا أو الرئيس سيوم .

وهز صديقه المصرى رأسه وقال له إن النمور هم فرقة فاشيستية من جيش الطليان.

وقرأ المقال، وإذا فرقة النمور التى فازت هى فرقة من فرق لعبة البيس بول .

أما أخبار الحرب الحبشية الايطالية فقد نشرتها الصحف بالحروف الصغيرة التى تنشر بها رسائل مكاتبنا الكمشوشى فى جريدة الأهرام.

والقارىء المصرى العادى أول ما يقرأ فى الصحيفة. أخبار الوفيات حتى

ولو لم يكن حانوتيا أو طبيبا، وبعض القراء يقرأ أسعار البورصة ليتعرف ما هو النزول وما هو الصعود، حتى وإن كان كل ما يملكه من حطام الدنيا هو ربع فدان بور محجوز عليه لسبعة بنوك.

اما للقارىء الأمريكى العادى فأول ما يقرأ فى الصحيفة صحيفة الفكاهات ونوادر ميكى ماوس وبتى بوب.

وكذلك يهتم الأمريكان بالألعاب الرياضية حتى ان الناقد الرياضى يعد أغلى الكتّاب أجراً فى بلاد العم سام.

وتعرف بالكاتب الأمريكى «وينشل» وكان يكتب يوميا نصف عمود من فضائح الطبقة الراقية فى ٣٢ جريدة أمريكية تصدر كل صباح.

وذهب معه إلى نادٍ ليلى فى نيويورك، فدهش لأنه يدفع ثمن تذكرة الدخول بينما النقاد وأنصاف وأرباع النقاد فى مصر يدخلون الصالات والمسارح مجانا باسم صاحبة الجلالة الصحافة ومعهم شلة من الأصدقاء.. ويشربون مجانا فى بعض الأحيان..

ولما سأل «وينشل» عن ذلك قال له: إن النقاد الأمريكان المحترمين يرفضون أن يدخلوا المسارح ودور السينما مجانا ويعتبرون هذا رشوة لا يجوز لأحد الصحفيين المحترمين أن يقبلها.

ودخل مع «وينشل» فى تلك الليلة ستة من الأندية الليلية التى يغشاها أصحاب الملايين، ولاحظ انه فى كل مرة يشترى من كل مكان يدخله علبة سجاير البحار.. ولا يشرب منها سوى سيجارتين ثم يلقيها فى سلة المهملات.

وأخبره «وينشل» ان بائعات السجاير فى الكباريهات يقمن له بوظيفة مندوبات فيكتبن فى ورقة أهم حوادث الليلة ويضعنها فى علبة سجاير البحار.. ويجمع وينشل هذه الأوراق ليكتب فى آخر الليل المقال..

بينما يدهش القراء كيف استطاع أن يجمع كل هذه المعلومات ولم يمكث أكثر من خمس دقائق فى كل كباريه!

وبجانب الصحف اليومية المحترمة توجد صحف صفراء فمثلا تنشر الجريدة الخبر الآتى:

«أنجبت مسز سميث ولدا أطلقوا عليه جاك سميث.. ونحن ندهش لماذا لا يسمونه جاك كلر»!

والمعنى مفهوم طبعا وفى بطن مسز سميث.. ومستر كلر المشار إليهما.

ويغضب والد الغلام ويرفع قضية ضد الجريدة فتعيد الجريدة نشر الخبر فى برواز وتضيف إليه أن مستر سميث رفع قضية.. ثم تنشر الخبر فى اليوم التالى وتقول انه وكل عنه المحامى فلانا، وتعيد نشره فى اليوم الرابع وتذكر انها وكلت عنها المحامى علانا، وهكذا يستمر نشر الخبر لأتفه المناسبات، حتى بمناسبة سفر محامى المدعى فتذكر الجريدة انها ترجو للمحامى الهناء فى الحل والترحال.

وقبل نظر القضية بيوم تنشر الجريدة فى برواز أيضا انها تود من صميم قلبها لو تحكم المحكمة ضدها لأنها تود ألا تصادف المستر جاك سميث عقبات فى مستقبله بعد نشر الخبر المذكور.

ويحكم القاضى طبعا حكما شديدا بالغرامة فتنشر الجريدة فى اليوم التالى قائلة: يذكر القراء اننا قلنا كيت وكيت.. وقد حكمت المحكمة برياسة القاضى فلان على هذه الجريدة بغرامة كذا ألف ريال.. وبهذه المناسبة انتقل القاضى فلان من حى بولاق إلى حى الزمالك.. ومعنى هذا بالعربى الفصيح ان القاضى الذى حكم ضد الجريدة ارتشى من الخصوم.

ومن هنا يرى العقلاء الذين تهاجمهم هذه الصحف الصفراء أن يسكتوا ويبلعوا ما يقال فيهم، إذ أن رفع قضية معناه مهاجمتهم لمدة شهر كل صباح وكل مساء!

OOO

وقدمه صديق إلى مستر وليام راندولف هيرست ملك الصحافة العظيم. وكان مستر هيرست يملك ٣٥ صحيفة يومية منتشرة خلاف المجلات، ويملك إلى جانبها خمسين مليونا من الجنيهات، ومع أن صحف هيرست مقروءة إلا انه مكروه وقد أخبره أن كراهة الناس له هى رأس ماله الوحيد.

وسأله صاحبنا عن أمله فى الحياة فابتسم وقال: «إننى أخلق آمالى كل صباح وأحققها فى كل مساء». ولكن الواقع أن هيرست كان له أمل واحد هو أن ينال وظيفة حكومية أو منصبا كبيرا. ولقد رشح نفسه عدة مرات ليكون محافظا أو حتى عمدة نيويورك فكان يفشل فشلا ذريعا.. والعجيب أن خصوم هيرست كانوا قراء صحف هيرست! ويتفق هذا مع المنطق. فأنت قد تستطيب أن تسمع من رجل تعرفه الأخبار والنوادر وتحب أن تستمع إليه دائما وتبحث عنه إذا لم تجده، ولكنك فى الوقت نفسه لا تثق به.

وسأله هيرست عن الصحافة فى مصر وعن مرتبات الصحفيين.. وكذب صاحبنا طبعا فلم يخبره أن بعض الصحفيين فى مصر كان يقبض مرتبه على هيئة اقساط أقلها شلن وأكثرها نصف ريال .

وأخبره هيرست انه قرأ مرة مقالا بديعا لمحرر صغير فأرسل له شيكا بألف جنيه! فرد عليه قائلا: تماما، كما يفعلون فى مصر !

وسأل صاحبنا مستر هيرست عما إذا كان قد كوَّن ثروته الهائلة هذه من الصحافة فأخبره ان والده مات وترك له عشرة ملايين من الجنيهات لاغير.. وهز مستر هيرست رأسه احتقارا لهذا المبلغ التافه وقال له :

— ما قيمة عشرة ملايين جنيه..

وهز صاحبنا رأسه أيضا أسفا على هيرست الذى لم يترك له سوى عشرة ملايين جنيه .

وحدثه مستر هيرست بأن بين محرريه محرراً اسمه جويز يكتب فى جرائده عمودا ويتقاضى من أجل ذلك عشرين ألف جنيه فى العام.

وشاء جويز فى العام السابق أن يسافر إلى أوروبا للاستراحة من عناء الأعمال ورخص له هيرست بالإجازة على ان يبعث مقالة كل يوم بالتلغراف وكان نقل المقالة الواحدة بالتلغراف يكلف مستر هيرست أربعين جنيها .

كرباج ورا يا أوسطى :

وذات ليلة كان عقرب الدقائق يعدو وراء عقرب الساعات كما يجرى المجنون وراء ليلاه، أو كما يلهث عسكرى الدورية وراء بائع الخيار، ثم أمسك عقرب الدقائق بعقرب الساعات، وتعانقا كعاشقين غفل عنهما

بوليس الآداب، ثم طرقعت قبلات العقربين فدقت الساعة اثنتى عشرة دقة مسجلة انتصاف الليل وكأنها نداء مؤذن الحب ينادى «حى على الغرام».

وخرج صاحبنا من الفندق وفى يده اليمنى معطفه السميك وفى يده اليسرى كاعب حسناء.

قال للكاعب الحسناء :

— على فين ؟

قالت: كما تريد.

ووضع يده فى جيبه فوجد أن فى السويداء نقودا. وعندئذ تأكد أنه فى أول الشهر.. وأول الشهر فى أمريكا يبدأ فى صباح اليوم الأول وينتهى فى صباح اليوم الثانى، أما آخر الشهر فيبدأ من اليوم الثانى إلى يوم ٣١.. وكان المصريون فى أمريكا يسمون أول الشهر يوم يبعثون. أى اليوم الذى يبعث فيه الأهل بالنقود.!

وسأل الفتاة: هل أنت جائعة؟

قالت: لا.. أبدا.

وربت على كتف الفتاة وقال لها هكذا تكون الأخلاق ويكون الإخلاص وتكون بنات البيوتات.

وشكرته الفتاة على حسن ظنه بها وقالت إنها تستطيع أن تصبر عشر دقائق بدون أن تتناول العشاء.

وألقى عليها نظرة احتقار ، وسحب منها أوسمة الأخلاق ونياشين الإخلاص وقلادة بنات البيوتات.

وقال : يا بنت المركوب لنتناول العشاء.

وزغرت له الفتاة وقالت :

— ما معنى بنت المركوب .

قال لها: إن أولاد المركوب مثل أولاد البطالسة وأولاد الهكسوس، وأولاد رومانوف، وغيرهم من أسر أرستقراطية حكمت جزيرة مدغشقر قبل الميلاد بمائة سنة واشتهر افرادها بالدم الخفيف .

قالت : يا سلام.. إذن لا تناديني بعد الآن إلا بيا بنت المركوب، ولن أناديك إلا يا ابن المركوب !!

وسار فى الشارع رقم ٤٢ للبحث عن مطعم يليق بأبناء المراكيب. ووقف أمام المطعم الأوتوماتيكى. وهو مطعم مثل التليفون الأوتوماتيكى لا لأنه خلا من النترال بل لأن كل ما فيه يسير بالكهرباء.

تدفع القرش فيخرج لك رغيف عيش، وتدفع عشرة قروش فيخرج لك كتف فرخة وهو متكىء على ثلاث بسلات وثلاث لوبيات.. وتضغط على زر فيخرج لك شوكة وسكينة ومعلقة وفوطة مجانا لوجه الله الكريم. (وعرض عليها صاحبنا أن تكتفى بالضغط على الزر الأخير فرفضت بمنتهى الإباء).

وتضع أربعة قروش فى ثقب خاص فيخرج لك طبق الحلوى وقد تربعت عليه قطعة الكريم كما تتربع سيداتنا فوق الشلت.

وليس مكتوبا على المحل أن الشكك ممنوع والزعل مرفوع والاجر على الله، لا لأن اصحاب المحلات فى أمريكا يراعون إحساسات الزبون، ولكن لأن الأزرار الكهربائية ـ عديمة الإحساس ـ لا تشتغل إلا بالنقود.. والنقود حتى للآلات هى المحركات وهى الوقود.

وبحكم العادة أراد صاحبنا أن يغالط الآلة الميكانيكية، فحاول أن يأخذ طبقين بدلا من طبق واحد، ولكن الآلة قبضت على يده. ولم تخرج إلا بعد أن دفع أربعة قروش أخرى وخرج يلعن عصر المدنية الحديثة والكهرباء الذى عبث بكل القواعد والتقاليد.. وقاعدة الخطف من بين هذه القواعد والتقاليد.

○○○

وخرجا من هناك .. ولم يكادا يسيران خطوات حتى بدأت صديقته تشكو الجوع من جديد.

قال لها: ألم يكفك الطعام الاوتوماتيكى.

قالت: لقد هضمته أوتوماتيكيا أيضا.

وراح يلقى عليها محاضرة عن «الريجيم» وفوائده وقال لها إن وزن جريتا جاربو ٢٠ كيلو لا غير.

قالت له: يا كذاب. هذا وزن ميكى ماوس.

قال :ومـا له.. ميكى ماوس نجم سينمائى قد الـدنيا وانت طايلـة يابنت المركوب!

ooo

ومشيا الهوينى إلى راديو سيتى ودخلا إلى كباريه « قوس قزح» .

وقـد أطلقوا عليـه هذا الاسم فيما يظهـر لأن وجه الـزبون يصبح بعـد قراءة قائمة الحساب سبعة ألوان.

وجلسا إلى إحدى الموائد يرقبان الراقصات والراقصين.

وعلى بعد خطوات منهما كانت تجلس الـراقصة جنجر روجرز وزميلها فريد استير وشقيقتـه، وقد كانت زميلته فى الرقص ــ قبل جنجر روجرز ـ ثم تزوجـت من لورد انجليزى، وهـو أمر لا يحدث لـراقصاتنـا المصريات للأسف الشديد!

ولم يرقص فـريد استير ولا جنجر روجـرز، بل جلسا يتابعـان الرقص بشغف واهتمام، وبحلق صاحبنا فى جنجـر روجرز كما يقتضى المقام.. أما صديقته فقالت : إن دم جنجر روجرز.. يلطش .. وثقيل.

وقال لها: عمى عينك إنها مثل فتيات الأحلام.

وكانت شقيقـة فريد استير ــ اللادى كفانديش ــ ترتدى ثـوبا أبيض كالثلج.. الثلج لا يذوب لأن اشعـة الشمس إذا تسلطت على ثوبها ذابت.. أو انكسرت امام جمالها الفتان.

وكانت جنجـر روجرز تـرتدى ثوبـا أسود كـالزفت والقطـران.. (وهو تشبيه اقتضته اصول البلاغة لأنه ليس هنـاك ما هو أشد سوادا من الزفت والقطران).

ورقص مع صديقتـه وشعر أن جنجـر روجرز تبتسم إلى ناحيتـه. قال لنفسه: وقعت البنت خلاص.

ولكنـه التفت وراءه فإذا بها تبتسم لقـائد الأوركسترا « رودى فـاليـه» وهـو شـاب فيه من الجاذبيـة الجنسيـة مـا لو قسمت على أهل الـروضـة جميعا ـ حيث يسكن صاحبنا ـ لكفت شبانها أجمعين.

وفهم عندئذ أن الـذى وقع ليست البنت روجـرز.. وإنما صـاحبنا المسكين.

وأدركت شهـرزاد الصبـاح .. وأدركـه معها الجرسـون يحمل قـائمـة الحساب.

ووضع يده على قلبـه فلم يجده، ولكنه وجد مكـانه حافظـة النقود، فلم يحزن لأن النقود في أمريكا بسعر الذهب أما القلوب فبسعر التراب.

وخرجـا يتمشيان معـا في حديقـة سنترال بارك وكـان يريـد أن يوصل الكاعب الحسناء إلى منزلها «كعابى».. ولكن مقصـوفة الرقبة رفضت بإباء وشمم أن تسير على قدميها.. وليكن ما يكون.

وكان أن رأى عـربة «حنطـور» واقفة فقـال لنفسه إن الـدولار الأبيض ينفع في الليلـة السـوداء، وان المسرفين إخـوان الشيـاطين.. وان عـربـات الحنطور أرخص من التاكسيات.

ومن هنا نادى العربجي وطلب أن يوصلهما إلى بيت الفتاة.

وانتهى «المشـوار» ووقفت العـربة ورأى أن يكمل مشـواره إلى الفنـدق مشيا على الأقدام ثم قال له: كام.

قال العربجي: عشرة ريالات.

وضحك صاحبنا وظن أن العربجي يظن انه سكران فقال له:

— أتظننى سكران.. نصف ريال فقط.

وصرخ الرجل في وجهه ونظر إلى الخيول باحتقار وقال:

— هل أنت مجنون؟

فقال صاحبنا:

— لا.. لست مجنـونـا.. ولكنى سأذهب إلى مستشفى المجـاذيب إذا أصررت على المطـالبة بعشرة ريـالات في نصف سـاعـة ثمنها بمصر أربعـة قروش صاغ.

وتدخل عسكرى البوليس وأفهمـه بصراحة أنه مغفل وأن أجرة النصف ساعة في عربـة الحنطور، عشرة دولارات وأن السبب في ذلك أن في نيويورك كلهـا ثلاث عـربـات حنطور.. وأن هـذه العربـات لا يـركبها إلا أصحـاب

الملايين، وأن عليه فى المرة التالية أن يحضر حنطورا معه من مصر ليركبه بعشرة قروش أو بقرش واحد، وبلع صاحبنا ريقه وعزى نفسه بأنه كان صاحب ملايين لمدة نصف ساعة فقط لا غير.

ودفع المبلغ، ثم تشعلق وراء عربة الحنطور كما يفعل فى مصر أولاد الإيه حتى أو صلته إلى حيث يريد.

ولم يصح أهل نيويورك «كرباج ورا يا أوسطى » لأن أهل نيويورك قوم مؤدبون يحرصون على عواطف المفلسين الذين كانوا لمدة نصف ساعة من أصحاب الملايين !

○○○

■ أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة ■

٤ النساء في أمريكا

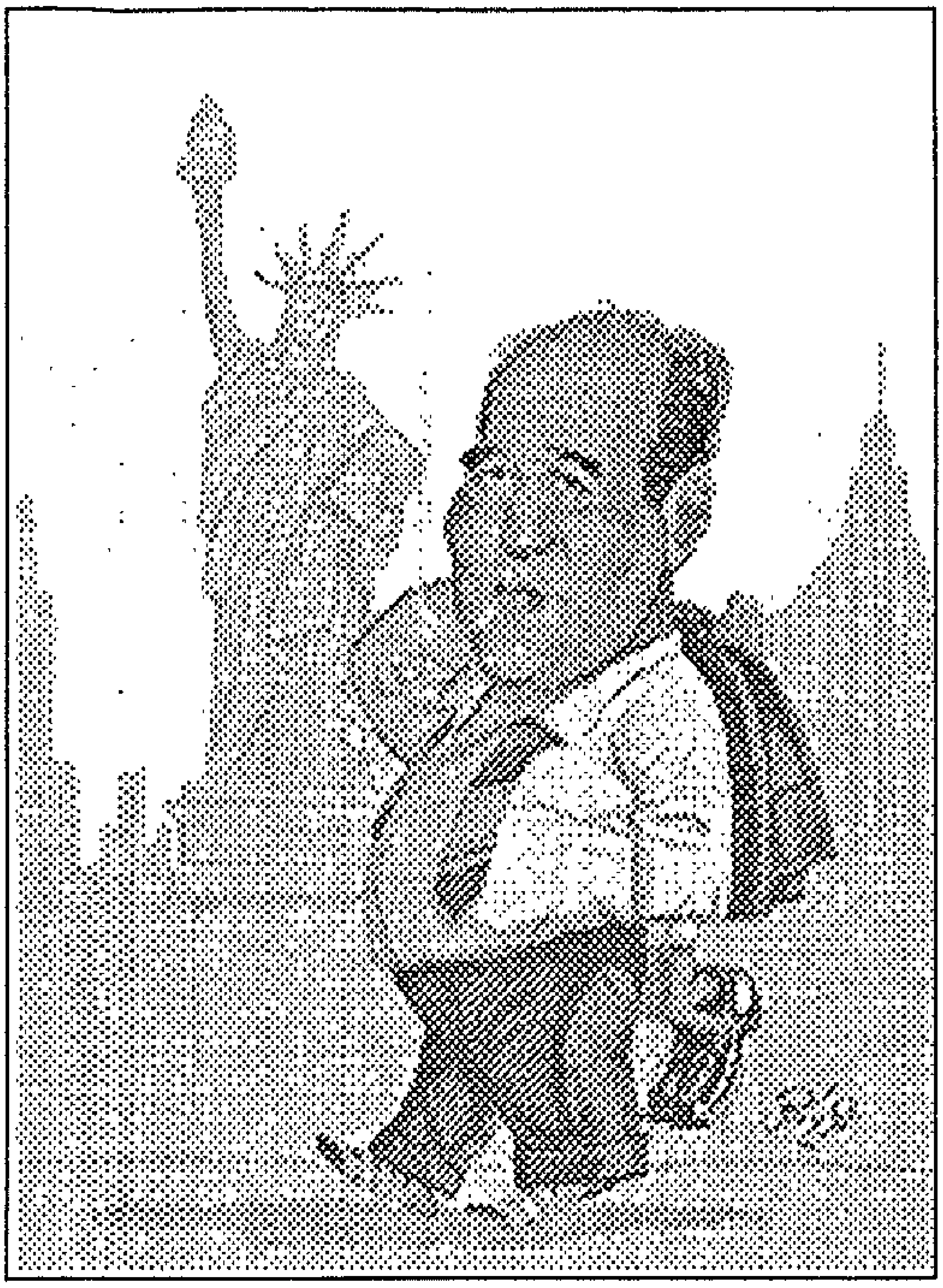

■ أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة ■

٤

امرأة لكل خمسة رجال :

لما كان فى باريس قالت له سيدة إنها تخشى أن لا تعجبه أمريكا .

قال : كيف ؟

قالت : إن النساء فيها قليلات.. لكل امرأة خمسة رجال ..

وضايقته هذه الحقيقة لدرجة أنه فكر فى ألا يذهب إلى أمريكا أبدا ، صحيح انه لم يسافر إلى بلاد العم سام لأنه «دون جوان»، وصحيح أن سبب سفره الوحيد هو إطالة رقبة مصر فى عالم العلوم وسهر الليالى فى طلب المعالى بمعناها القديم لا الحديث .

ولكن أن تخلو أمريكا من النساء حتى يصبح نصيبه هو خمس امرأة فقط لا غير فهذا أمر جلل ومصيبة فادحة دونها مصائب العالم أجمعين .

وربَّتَ صديق له على كتفه وطلب منه أن يتشجع ويحمد الله على أنه لم يسافر للدراسة فى نجد أو فى الحجاز .

وحمد الله حقا، وركب الباخرة راضيا بخمس امرأة، ذلك أن خمس الشيء أحسن من لا شيء .

وعلى ظهر الباخرة بدأت مغامراته فى شخص حسناء .

وكانت الفتاة أمريكية ذات جمال ودلال، وفى عينيها إغراء يحتم حضور وابور المطافىء، وفى شفتيها ما يؤيد رأيه بأن الخمر ليس فى الكئوس فقط بل فى الشفاه كذلك، وكانت الفتاة جميلة جدا حتى جعلته يقنع بخمسها فقط ، وإن كان فى الواقع قد تمنى الحصول على بقية الاخماس الأربعة .

وسألها : أحقا أن للمرأة الواحدة عندكم خمسة رجال ؟

فقالت : نعم

فسألها هل يستطيع أن يعرف الأربعة الشركاء الآخرين ؟

قالت : طبعا .

وهنا نادت الفتاة شابا وهمست فى أذنه قائلة : إن هذا هو الخمس الأول. ثم قدمته له .. حضرته زوجى .

وتشرف بحضرة الخمس الأول .

ولما وصلت الباخرة إلى نيويورك قالت له الفتاة: إنها تود أن تقابله دائما. ستة أيام كل شهر . (ويظهر أنها نسيت أن فى بعض الشهور ٣١يوما) .

وقالت له : إنها تقيم فى مدينة لوس أنجلوس .

فسألها : وكم تبعد لوس أنجلوس عن نيويورك ؟

قالت : إنها قريبة جدا.. بالقطار خمسة أيام وبالطيارة ٢٤ساعة.

ثم قالت : لا تنس أن تحضر فى الميعاد.. هل تعدنى.. قال : وعد شرف !

وكان صاحبنا مدهوشا لأن الزوج الفاضل ـ أو الخمس الأول على الأصح ـ كان واقفا معهما أثناء هذه المفاوضات. وكان يخفف عليه مسألة السفر وفداحة الأسعار .

ooo

وفى يوم وصوله إلى نيويورك قرأ فى الصحف أن رجلا أمريكيا قتل ابنته لأنها تأخرت إلى الساعة الثانية صباحا مع شاب من أبناء الجيران .

وأن فتاة أخرى قتلت أباها لأنه منعها من الذهاب إلى الميعاد .

ودهش أن يحدث هذا فى الدنيا الجديدة.. ولكن ما لبث أن قرأ فى الصحف مقالات رنانة طنانة تدافع عن الفتاة التى قتلت أباها لأن أباها

منعها من الذهاب إلى الميعاد.. وفى يـوم وليلة جمعت لها صحيفة (الهيرالد) أربعمائة جنيـه واتهمت والـدها المجنى عليه بأنـه متـوحش ومجرم أثيم، بينما الرجل الذى قتل ابنته اعتبرته المحكمة مجرما من الدرجة الأولى.

ولم يلبث أن عـرف أن الأمريكيـة الحقيقيـة ليست هى التى قابلهـا على الباخرة وليست الفتاة التى قتلت أباها.

إنها شـخص آخـر يختلـف عما قـرأ عنـه أو سمع بـه أو رآه فى أفـلام السينما.

ثم لاحظ أن للغزل فى أمريكـا قواعد محترمة وبروتوكـولاً معترفاً به من الجنس الخشن، والجنس اللطيـف، فـلا يجوز مثـلا أن تـركـب سيـارتك الخاصة لمعاكسـة الفتيات أو أن تقف أمام محطة الأوتـوبيس وتفتح الباب للفتـاة الـواقفـة فى المحطـة لتـوصيلهـا.. كما يفعل الشبـان فى القـاهـرة والإسكندرية.

ولا يجوز مثـلا أن تجلس فى السينما وبجانبك فتـاة فتقرب قـدميك من قدميها ثم ساقك من ساقها.. وهكذا حتى تشتبك الأيدى والعيون.

ولا يجوز أن تقف فى نافـذة المنزل تغـازل ابنة الجيران، فترسل لها من نافذتك القبلات فى الهواء.

لو فعلت لحسبتك الفتيات الأمريكيات مجنونا.

فـالغزل فى أمـريكـا لايحتاج إلى تلعيب الحواجـب، وترقيص العيـون، والتعبير بالإشارات. كلا. إن التقاليـد هناك هى أن تتقدم إلى الفتاة مباشرة وتقول لها هالو.. فتقول لك هالو.

فتسـألها إن كـانت فاضيـة لتـذهب معك إلى السينما أو لتناول العشـاء فتجيب بالقبول أو الرفض.

وإذا قـالت لا فمعناهـا لا .. فلا يجوز لك أن تجرى وراءهـا. كما يفعل صـاحبنا فى بـلاده. لايجوز لك أن تتمحك فيهـا بعـد ذلك وتكشـف لها عن لـوعة قلبك وتفتت كبـدك، وليس لها أيضـا أن تتنـاول حضرتك بالتقـريع والتهزىء ولعن أبى خاشك.

إن الفتاة تقول لك بصراحة انها مرتبطـة بموعد آخر.. أو أنها لا تريد أن

تذهب معك وأنها آسفة جدا .

والفتاة فى أمـريكا تتمتع بحرية واسعـة ، فهى تقابل صديقهـا فى بيتها أمام والدها وأمها .

ومن محاسن الفتـاة الأمـريكيـة أنها صريحة للغـايـة لا تحب الكـذب والنفـاق ، فإذا كانت تحبك قـالت لك إنها تحبك . وإذا كانت تحب شخصـا غيرك صارحتك بحبها لسواك .

وتمنى صـاحبنا لـو أن فتياتنـا المصريـات يقلدن الأمـريكيات فى هـذه الصراحـة . فهـو يعـرف فتيات شرقيـات يحببن عشرة رجـال فى آن واحـد ويـدعين لكل واحد منهم أنـه هو المحبـوب الـوحيد . وتـؤكد الفتـاة لهؤلاء العشرة المغفلين أنهم يسكنون قلبهـا . كأن قلبهـا هذا عمارة إيمـوبيليا ذات الستة عشر طابقا .

ولكن الفتـاة الأمـريكيـة إذا أحبت أخلصت ، وصـحيح أن البعض منهن يظن أن الإخلاص نوع من الرق والعبودية. وأن أمريكا ألغت الرق من زمن طويل فيجب أن يلغى الإخـلاص للرجال الآن . ولكن هـذا الرأى تدعـو إليه بضع فتيات مهـووسات ، من الـلاتى يطلق عليهن اسم الطبقة الـراقية ، أو الطبقة المهووسة بعبارة أصح .

ولعل هـذا هو سبب فشل أغلب الـزيجات الأمريكـانية بين هـذه الطبقة حتى انه يوجد فى أمريكـا شركات للتأمين تقبل أن تؤمن على كل شىء ماعدا السعادة الزوجية بين هذه الطبقة .

ولقد تألفت جمعيات كبيرة لوقف تيار الإباحية الارستقراطية عند حدها ولكنـه لاحظ أن هـذه الجمعيات غير مـؤمنـة بأغـراضها خصـوصـا وأن أعضاءهـا عبارة عن النساء الدميمات الشكل والعجـائز اللاتى لا يستطعن الاستفادة من نظام تعدد العشاق !

الدرس الأول فى الرقص :

وصاحبنا لا يـزال يذكر تلك الليلة فى نيـويورك بعد وصولـه إلى أمريكا مباشرة حينما ذهب إلى إحدى الحفلات الســاهرة الحمراء وعزفت الموسيقى رقصة الرومبا المدهشة .

وبدأ كل شاب يخاصر فتـاته ، وعلى نغمات الجازباند الصـاخبة الثائرة

يتمايل الكل ذات اليمين وذات الشمال .

ورقص الجميع إلا هـو وسيدة عجـوز تدل أسنـانها الذهبيـة وتجاعيد وجههـا التى تشبه جبـال الحبشة على أنها ولـدت فى عصر ما قبل الـرقص أو أنها على الأقل عاصرت كريستوف كولمبس وراقصت جورج واشنطون، وخاصرت إبـراهام لنكـولن . ولعلهـا لهذا لم تر داعيـا للنزول إلى مخاصرة الصعاليك .

وأقبلت نحوه فتاة شابة حسناء فى صوتها إغراء ماى وست ، وفى عينيها جمال ديانـا دربن، وفى جسمها الأبيض رشـاقة بتى جـريبل، أقبلت الفتاة تسـأله سـاخرة :

هل أنت مشلول ؟

قال : كلا.

قالت : إذاً لماذا لاترقص ؟

قال : لعشرين سبباً .

قالت : وما هى ؟

قال : أولا لأننى لا أعرف الرقص

فضحكت وقالت يكفينى هذا .

وتركتـه الفتاة لحظـة ثم عادت ووراءهـا دستة ونصف مـن السيدات وأشـارت إليه وهى تقول : هذا هو الشـاب الذى لا يعرف الرقص.

وأخرجت كل سيدة منظارهـا وراحت تبحلق فى المخلوق الغريب ، وكأنه الأهرام أو أبو الهول ... أو أحدى عجائب الدنيا السبع .

وتقدمت فتاة وسألته : أصحيح أنك لا ترقص ؟

— كلا .

— وهل تدخن ؟

— كلا .

— وهل تشرب الخمر ؟

— كلا .

وانتظـر طبعا أن يتلقـى ما يليق بتقـواه من الإعجـاب والاحترام ، ولكن الفتيـات ألقين عليه نظـرة هـزء وانصرفن عنه إلى غيره مـن الشبان الـذين يرقصون ويدخنون ويشربون .

وهكذا رأى أن يتعلم الرقص ـ احترامـا لرأس مصر الذى يجب أن يرفعه عاليا.

وذهب إلى مدرسة للرقص .

وقابلـه عميد الجامعة وسألـه عن الشهادات التى لـديه ، فقال إن لـديه شهادة البكالوريا وشهادة بحسن السير والسلوك .

ولكن عميد الجامعـة سأله عن الشهادات التى حصل عليهـا فى الرقص فأجابـه بأنه «أمى» فى هذه المسـائل ولم يسبق له أن هز كتفيه هـزة واحدة أو ثنى قوامه الغريب أو مال بغصنه الرطيب .

فأمر بإرساله إلى القسم الابتدائى .

وهكذا عاد شاب طويل عريض مثلـه إلى الدراسة من جديد فى سنة أولى تحضيرى .

وإذا بأكبر زملائه يبلغ العاشرة من العمر .

وكانت المعلمة فتاة قصيرة القامة أطول من ركبته بثلاثة مليمترات .

ولما بدأ يخاصرهـا رأى أنه لا بد له لكى يصل إلى خصرهـا أن يركع على الأرض ، أو ينحنى كالقوس !

أما هى فكانت لاتستطيع أن تصل إلى خصره لتحيطه بذراعها .

ومن هنا كانت تتشعلق فى ركبته .. أو فوقها قليلا .

وكانت مسـاحة الفصل لا تزيـد على عدة أشبار مربعـة تكفى لأن يدور فيها حول نفسه عدة مرات ، وعزفت الموسيقى وبدأ الدرس .

واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة .. ثلاثة .. ثلاثة .. ثلاثة ..

وراح يهز وسطه ذات اليمين وذات اليسار، وداس طبعا ثلاث مرات على قدم المعلمة الحسناء حتى سال على جوانبه الدم .

ووقف صـاحبنـا يجفف العـرق وهو لا يعـرف لماذا سخسخت الفتـاة وتعطلت لغة الكلام .

وظن - أن هذا ولا بد جزء من الـرقصة الجديدة ، ولكن علامات الارتباك التى تبينها على وجه مدير الجامعة دلّت على أن المسألة لم تكن رقصا فقط .

وأخيرا أفاقت وقالت إنها سخسخت من شدة إعجابها بالتلميذ الجديد .

أمـا هو فقـد سخسخ . ذلك أن المعجبـة كـان لها أنف شفيق جبر وعين مدام غراب التى كنا نشاهدها فى ميدان السباق .

وكان هذا هو الدرس الأول والأخير .

ذكاء بنت العم سام :

وكان أعظم ما لاحظه أن بنات العـم سام غير ذكيات ، ولم يكن صاحبنا من الأذكيـاء الذيـن يشار إليهم بـالبنـان ، فإن ذكـاءه كان دائما مـوضع مناقشة بين أساتذته فى المدارس الابتدائية وروضة الأطفال .

وما زال يذكر يوم عجز عن حفظ جدول الضرب ، ويوم حدث بينه وبين مدرس الحسـاب خلاف خطير ، فقـد كان المدرس يصر على أن ٣×٥ = ١٥ بينما كان صـاحبنا يصر على أنها تسـاوى ١٤ فقط ، وكان أن أطلق المدرس عليه لقب «حمار» .

وما زال يذكر كـذلك يوم اتهمه مدرس الجغرافيا بأنـه «طور» لأنه عجز عن أن يعرف على الخريطة مكان بوغاز موزنبيق .

ويومها حدث خلاف بين مدرس الحسـاب ومدرس الجغرافيا ، أحدهما يصر على أنـه حمار والثانى يصر على أنـه طـور ، ووقف هـو بينهما يؤكـد لهما - كما فعل جحا - بأنه «بين الاثنين» !

ومن هنا ترى أن ليس لمثله أن يتحدث عن الذكاء .

ولقـد رأى أن مستـوى ذكاء المرأة الأمـريكيـة عـادى جدا ، لكنـه يقـر ويعترف بأن الرجل الأمريكى فى غاية الذكاء ، وكل هذه الاختراعات العظيمة التى نراهـا اليوم من صنع رجـال أمريكيين تكفى لأن تضع الأمـريكى على رأس قائمة الأذكياء.

وصحيح أن كثيرات من الفتيات الأمريكيـات يحملن شـهادات الأستاذية والدكتوراه ولكن ذكاءهن مع ذلك ليس فوق الشبهات أو فوق الشـهادات .

○○○

فقـد قابـل فى إحدى السهـرات الحمـراء سيدة على وجهها مسحـة من الجمال ومسحـة من الـذكـاء ، ودار الحديث عن مصر وعن الصحـراء والأهرام وأبى الهول وغيرها من الأشياء التى نتاجر فيها بلا رأس مال .

وكانت هى تهز رأسها علامة المطلعـة على بواطن الأمور ، أو التى تعرف سلفا كل شىء مما يقول .

ثم التفتت إليه فجأة وسألته :

— فى أى قارة مصر ؟

وبلع ريقه وأراد أن يهزأ بها ، ويسخر من ذكائها فقال :

— فى قارة استراليا .

وهزت العالمة الفـاضلة رأسها علامة أنها تعـرف أيضا أن مصر فى قارة استراليا وأنها كانت فقط تسأله هذا السؤال لتمتحن معلوماته فى الجغرافيا.

وسألته فتاة أمريكية مرة عن لون مياه البحر الأحمر .

فقال : إن لونها عادى .. تماما مثل المحيط الأطلسى .

وابتسمت الفتـاة ابتسامـة ساخـرة بجهلـه العجيب فى علم الجغرافيـا وتقويم البلدان وانجعصـت فى كرسيها ، ثم هزت رأسها كما يفعـل أساتذة الجامعات وقالت :

— إن لونه أحمر .

وتظـاهـر بـالإعجـاب بهذا الاكتشـاف الخطير الـذى دونـه اكتشـاف كريستوف كولمبس لأمريكا وسأل الفتاة :

— فى أى كتاب قرأت هذا ؟

وأغمضت الفتـاة نصف عينها فى نظـرة إغراء جعلت وجهـه يتخذ لـون الأحمر المسخسخ . ثم قالت : هذه مسألة بالعقل .

○○○

وذهب إلى إحدى الحفـلات الأنيقة الساهرة التى أقامهـا قنصل إيران فى نيويورك احتفالا بعيد ميلاد جلالة شاه إيران .

ووقف القنصل مدة ساعة ونصف ساعة يلقى خطابا باللغة الانجليزية الفصحى عن مـآثـر الشاه ، وكيف تـولى العـرش ، ومـا قدمـه للبـلاد من خدمات.

وبعـد أن انتهى من خطبتـه وسط التصفيق والهتـاف بحيـاة الشـاه . وانتهت الآنسة الجالسة بجانبـه من التصفيق مالت الفتاة عليه وهمست فى أذنه تسـاله :

— هل إيران جمهورية أم ملكية ؟

○○○

وأراد صاحب له أن يدعو صديقة إلى حفلـة أقامها بمناسبة عيد ميلاده وحادث الفتاة فى التليفون لدعوتها .

وقالت له إنها آسفة جدا لأنها ستكون فى شيكاغو فى ذلك اليوم بالذات .

وأراد صـديقـه أن يداعبهـا فقـال لها: إننى كنت أود أن تحضرى عيـد ميلادى ، ولكنى أعدك بدعوتك فى حفلة عيد ميلاد أخى التوأم .

فسألته الفتاة بلهفة : وفى أى يوم ستكون هذه الحفلة ؟

ولم يـرد الصديـق أن يفضح ذكاءهـا الـوقـاد ويقول لها إن التـوأمين يولدان فى يـوم واحد ، لأن بنات العم سام يعتقدن أن ذكـاءهن مثل ـ زوجة قيصر ـ فوق الشبهات .

وقالت له آنسة حسنـاء انها قرأت كثيرا عن مصر ثم طلبت منه أن يتكلم باللغة الهيروغليفية .

فقال : ولكنى لا أعرف هذه اللغة .

ونظرت إليه الفتاة من فوق إلى تحت ومـن تحت إلى فوق . وقاست طوله وعرضه بنظراتها الفاحصة .

ثم قالت له :

— إذن أنت لست مصريا ، لأن المصريين يتكلمون اللغة الهيروغليفية .

وعبثا حـاول إقناعهـا بأن مصر تتحدث اللغـة العربيـة ، ولكن الآنسة المطلعة أصرت على أن الهيروغليفية هى اللغة الرسمية فى مصر .

○○○

وقالت لـه فتاة مدهشة إن المصريين يعبـدون الآن العجل أبيس ، وعبثا حـاول إقنـاعها بـأن بعضنا مسلم وبعضنـا مسيحى وبعضنـا من أبنـاء اسرائيل .

عبثا حاول إقناعها لأن الحسناء أصرت على أننا نعبد العجل أبيس وأنها زارت مصر وقضت ساعة مع العجل نفسه .

وكان يتحـدث يوما عن اللغـة العربية ، وكيف أننـا نكتبها من اليمين إلى الشمال فسألته إحدى الفتيات المستمعات :

وهل تقرأونها أيضا من اليمين إلى الشمال ؟

وقالت له سيـدة عجوز إنها مندهشة لما لاحظتـه أثناء زيارتها لمصر من أن الأطفال المصريين يتكلمون اللغة العربية فى سن مبكرة .

ولما قـال لها إن السبب فى ذلك هـو نفـس السبب الـذى يجعل الأطفـال الأمـريكان يتحـدثون الانجليـزية فى سن مبكـرة ، لما قال لها ذلك هـرشت راسـها وفتحت فمها ثغرة إعجابا به وبنظرياته البديعة فى التربية ، واعترفت بأنها واقفة بين يدى سقراط أو أفلاطون .

○○○

٥ الأسرة الأمريكية

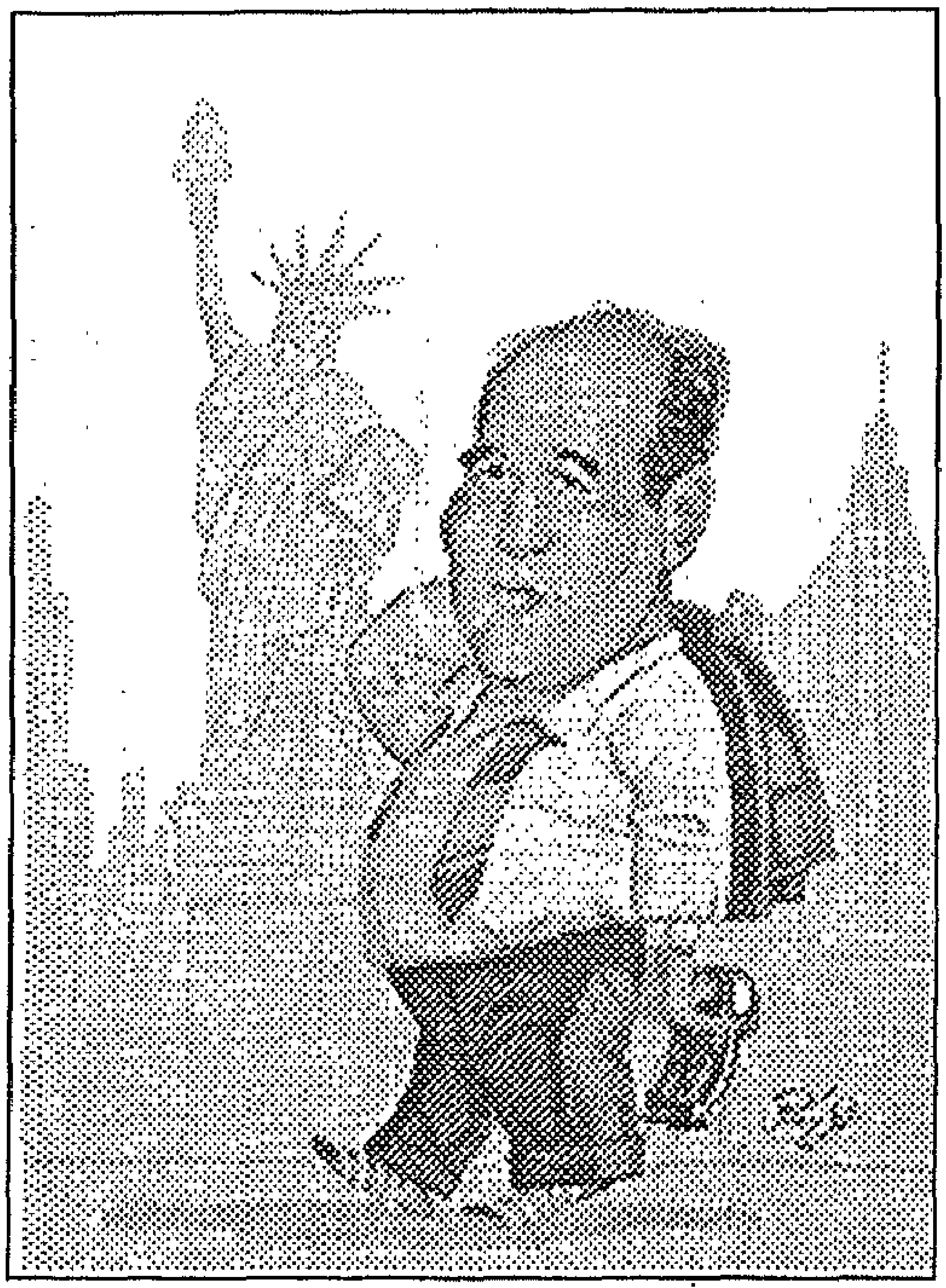

٥

■ الأسرة الأمريكية ■

الرجل الأمريكى :

كان صاحبنا كلما جلس وحده يقول لنفسه : لو كنت فتاة لتزوجت من شاب أمريكى أو من العم سام نفسه ، لو قبل العم سام أن يكون لى زوجا !

فالزوج الأمريكى يعرف كيف يحب زوجته ، وكيف يسعدها ، وكيف يجعلها تعيش فى دنيا من الأمانى والأحلام .

يذكر الزوج يوم عيد ميلاد زوجته ، ويوم رآها أول مرة، ويوم أحبها ، ويوم تزوجها ، ويوم قبلها أول قبلة .. وفى كل يوم من هذه الأيام يقدم لزوجته شيئا تافها هدية منه لها ، هدية قد لا يزيد ثمنها على ريال ،ولكنّ لها معنًى سامياً ، يساوى لدى المرأة الظريفة مليون ريال، أما الأزواج المصريون فإنهم ينسون عادة ذكرى أيام الزواج، والحب ، والنظرة الأولى .. وتمر هذه الأيام دون أن يميزها شىء عن سائر الأيام ، وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يحتفل الزوج بذكرى الزواج.. ولكن بتلاوة آى الذكر الحكيم واستمطار شآبيب الرحمة على عهد العزوبية المأسوف عليه .

والزوج الأمريكى يلاحظ أتفه الأمور فى زوجته ، يلاحظ ثوبها الجديد لأول وهلة ويهنئها على ذوقها السليم ، ويلاحظ ترتيب شعرها الجديد

فيعجب بـه أو ينقده بكيـاسة وذوق ، وهـو يعرف لأول وهلـة ما اشـترتـه زوجته من الأدوات المنزلية، أو من الأثـاث الذى أضافته إلى المنزل الصـغير . أمـا الـزوج الشرقى فيدخل عـادة بيتـه وهـو كـالتائه، لا يـلاحظ شيئـا، ولا يمتدح شيئـا ، ولا يرى شيئـا . وكم من زوجات كثيرات اشـترين أثـوابا مدهشـة وارتدينها وخلعنها دون أن يلتفت إليها الأزواج .

وعندما يخرج الزوج الأمريكى من بيتـه فى الصباح تودعه زوجته بقبلة وتستقبله بقبلة أخرى فى المساء . ولا يحدث هذا بين الشبان فقط بل يحدث بين العجائز والكهول أيضـا .

أما هنا ـ أعنى فى مصر ـ فإن الزوج يغادر المنزل دون أن تعرف زوجته ودون أن يقـول لها صبـاح الخير .. ويعـود فى المسـاء فـلا يحيى زوجتـه ولو من بعيد .

بل لقد لاحظ صاحبنا فى عدة مـآدب عائلية فى مصر أنه إذا حضر الزوج ووجد زوجتـه بين جمع من الأقارب صـافحهم جميعـا واحدا واحدا مـا عدا زوجته فإنـه يمر عليهـا مر الكرام دون أن يقـرئها السـلام أو يقول «انتى فين» .

وان صاحبنـا ليذكـر أن أحد أصـدقائه عـاد من سفر طـويل فى أوربا ، وذهب رأسـا إلى منزل أسرة زوجتـه حيث كانـت تقيم زوجته أثنـاء غيابـه وما كـاد يراهـا جالسـة بين أبيها وأمهـا وأسرتها حتى أخذهـا بين ذراعيه وطبع على شفتيها قبلة اللقاء .

وهنـا ثار الأب واتهم الـزوج بأنـه وقح قليل الحيـاء . ومصمصت الأم شفتيها وقالـت إن أخلاق الزوج لا بد قد خسرت فى بـلاد الكفار ، ووضـعت العمة أصبعها الوسطى فوق حاجبها وقالت :

— يا ندامة .. الرجل سكران ولا إيه ..؟

وهز خال الزوجة رأسـه وأعلن أن الشرف الرفيع قد أهين وأنه لن يسلم إلا إذا أريقت على جوانبه الدماء .

وكلمـة من هنا وكلمـة من هناك . وانضمت الـزوجة إلى أسرتها بـالطبع وكان الطلاق .

وهكذا كان سلام التلاقى فأصبح سلام الوداع .

ولكن الـزوج الأمريكى يفخـر بتقبيل زوجته أمـام الجميع . إنه يقبلهـا ويضمهـا إلى صدره فى سـاعات اللقـاء والـوداع ولو كـان ذلك أمام مئـات الألوف .

والزوج الأمريكى يحترم زوجته خارج المنزل احتراما يستدعى الدهشة والاستغراب ، فهو يـداعبها أثناء الطريـق ، ويخاصرها فى أثناء السير ، وإذا أخطأت أمام الأغراب ، عن جهل أو غبـاء ، لا يحاول أن يكشفها أمام الناس ويهلهلها أمـام الأقارب والأصدقـاء . وإنما يقودها دون أن تشعـر ويشعر الناس إلى الصواب .

أما هنـا فالزوج إذا سار مع زوجتـه فى الطريق فإنه يسير وأمامـه بوز طوله شبران ، وقد علت وجهه تكشيرة هى مـزيج من الغطرسة والكبرياء .. وهو يتقـدم عن زوجته فى أغلـب الأحايين كأنما لا يـريد أن يراه النـاس مع زوجته فى طريق .

وهـو يهزأ منها فى كل منـاسبة ، ويسخـر من جهلها علنـا وعلى رؤوس الأشهاد ، وإذا أخطأت فالويل لها ، وعيشتهـا نكد وحسابها عظيم .. ولا بد من فتح محضر فى الحال ! وصفعا لعبارات العلم والتسامح والخلق الكريم .

وعرف صاحبنـا أمريكيا يغسل كل يوم بنفسه مـلابس طفله الرضيع ، ثم يكنس البيت وذلك قبل أن يذهب إلى عمله كل صباح .

وعرف كثيرين من الأزواج الأمـريكيين يستطيعون أن يقسموا بأنهم لم يذهبوا إلى السينما أو التياترو أو إلى أى نزهة خلوية دون زوجاتهم .

وعرف أن كـل الأزواج الأمريكيين يعترفون لـزوجاتهم بماضيهـم كله ، وبحـوادثهم الغـراميـة كلهـا من «طـاطا لسـلامـو عليكم» مصحـوبـة بالتفاصيل، وترد الزوجة التحية بمثلهـا فتخبر زوجها بتاريخها كله مؤيدا بالوقائع والأرقام .

أما هنا فالزوج لا يقص على زوجته شيئا عن ماضيه إلا أنه قديس .

والزوجـة ترد التحية بأحسن منهـا وتؤكد لـه أنها كانت طول عمـرها ملاكا بأجنحة بيضاء .

وهكذا يغش بعض الأزواج أنفسهم ، ويـوهم بعضهم بعضا ، أن مـلاكا تزوجت من قديس ، بينما الواقع أن شيطانة قد تزوجت من إبليس .

إن الزوج الأمريكى يعـرف جيدا أن للزواج رزايا كما أن لـه مزايا ، ومن هنا استطاع أن يسعد وأن يعيش .

وكان صاحبنا يحسب أن السينما قـد أفسدت عقول الأمريكيين ، ولكنه لم يجدها أكثـر من مظهر حيـاتهم العاديـة ، أما فى مصر فإنها قـد أفسدت عقول الرجال والنساء على حد سواء .

فالفتاة المصريـة تريد أن ترى زوجهـا دائما أنيقا باسما ، وأن تعيش فى شقة كالتى يعيش فيها كلارك جيبـل مع ميرنا لوى ، وأن يصحبها كل يوم إلى الحفلات والسهرات .

فهى ترى وجهـا واحدا للـزواج ، وهو الـوجه البـاسم الضاحك اللـذيذ وتنسى أن هناك وجها آخر .. ثقيلا .

وهى لا تتصور أن الزوج يعود من عمله متعبا .. وأنه حين يستيقظ من النوم وهو راقد إلى جانبها يكون شعر ذقنه طويلا ، وشعر رأسه بلا نظام ، وملابسه عليها بهدلة عمومية لا يعرف تفاصيلها إلا الأزواج .

وهى عندما ترى ذلك تنهار أمانيهـا وأحلامها مثل بيت من الرمال هبت عليه موجة أو اكتسحته الريح .

وهذا هـو ما يحس به الـزوج ، عندما يستيقظ فى الصبـاح يجد زوجته وقد تورمت عيناها، وربطت رأسها المنكوش بمنديل .

بناتنـا وبنـات العم ســام

ولكن ما هو حال المرأة الأمريكية ؟

عندمـا سافـر صاحبنـا إلى أمريكا كـان مصحوبـا بالسلامـة وبألف وخمسمائة وصيـة ونصيحـة بأن يبتعد عـن بنات العم سـام ، كما يبتعـد السليم عن الأجرب . وبأن يغمض عينه كلما غمزت له فتاة ، فإذا رأى عيونا نـاعسة فيهـا سحـر هاروت ومـاروت ، أو حتى هـاروت فقط ، أو إذا رأى شفتين تجذبانه كمغناطيس وعينين تزغلـلانه كمنارة بورسعيد ، أو إذا رأى جسما يتهـادى ــ كـالطـاووس أو ينثنى كغصن من أغصـان اليـاسمين ،

يداعبه النسيم ـ إذا رأى كل هذا فما عليه إلا أن يحوقل ويستعيذ بالله ويقرأ آية الكرسى سبع مرات .

وكان يعتقـد أن فتيات العم سـام يسلبن النفوس بـاللاسلكى ويتملكن القلوب بسرعـة الديزل الذى لا يقـف فى المحطات ، فودعه أصـدقاؤه آسفين بعدمـا أوصوه بأن يدافع عن نفسـه ـ أمام العيون والشفـاه ـ حتى النفس الأخير .

ولكن بنات العـم سام خيبن جميع الآمـال والظنون التى عقدهـا عليهن أصــدقاؤه الأعـزاء ، فالفتـاة الأمريكيـة لا تحب لتعيش ، بل تعيش لتحب ، وهى ترى أن الحب إحدى لذائذ الحيـاة كالتدخين والويسكى . وكما أن كل إنسان يختار نوع سيجارته فالمرأة تختار نوع الرجل الذى تحب .

والبنات فى مصر رخيصــات ـ ولا يتكلف الشـاب لمقابلتهن أكثـر من أن «يتطلع» ساعـة فى الانتظار وأن يـرسل كتابـا مؤثرا مـن محبكم الذى داب وأنتم «لم دريتو بـه» ثم جالون بنزين أو عـربة حنطور إذا كانت المحبـوبة من بنـات الذوات ، أو تذكـرة ترام بستـة مليمات إذا كانت «جـولييت» من بنات الإيه .

ويا سـوء حظ «روميو» الـذى يريـد أن يقابل جـولييت فى أمريكـا لأنه يذهب لمقابلتها أمام أهلها وذويها ، لا فى غفلـة من العيون والرقباء ، ويدخل من الباب .. ولا يقفز من السور كما كان يفعل صاحبنا مع بنت الجيران .

ومع ذلك فلا يصح ولا يجوز لأى روميو محترم أن يدخل بيت جولييت ويده فاضية إلا من السلام ، بل يجب أن يحمل معه طاقة من الأزهار . وإذا علمت أن الوردة فى نيويورك ثمنها نصف ريـال ، وأن أقل طاقة من الأزهار ثمنها جنيه فاعلم أن فى ميدان الإفلاس متسعا للجميع .

ويفتح لك البـاب الأب أو الأم أو الأخ ، ولكنهم لا يستقبلونك بـالهراوات والمقشـات ، كلا . فـأهل البنات فى أمـريكـا مؤدبـون إذ أنهم يستقبلـونك بخمسمائة «وحشتنا» وبستمائة « آنستنا » ثم تأخذ ست الحسن والجمال إلى السينما .. وفى «مشـوار » السينما «تكع» بين أجرة دخـول وتاكسيـات ثلاثة ريالات أى ستين قرشا بعملة لاظ أوغلى .

وبعد ذلك يـدعـو روميـو جـولييت إلى العشـاء ، لأن البروتـوكـول أو الأصول عنـد بنات العم سـام تقضى بأن الشـاب إذا أراد مقابلـة فتاة يجب أن يدعوها إلى العشاء .. ولا مفاوضة إلا بعد العشاء .

والعشاء فى أمريكـا غال وليس لمطاعم الشعب فروع فى نيـويورك ، فإذا أردت أن تتواضع حبتين وتـذهب إلى «مطعم متواضع» فـلا أقل من خمسة ريالات تدفعها بالأصالة عن نفسك، وخمسـة ريالات أخرى تدفعها بالنيابة عن ست الحسن والجمال .

وبعمليـة حسابيـة بسيطة تعـرف أن المقابلـة التى تدفع فيهـا فى مصر خمسة مليمات تتكلف فى أمريكا خمسة جنيهات .

وبنات أمريكا ساحرات وفـاتنات ومدهشات ، يملأن مجالسـهن الأنيقة بحياة يغمرها الضحك والمرح ويحطن أنفسهن بجو من الحبور والسرور .

ولكن البنات المصريـات يفقنهن سحرا وفتنة ، ففى ابتسـامتهن حلاوة كأنها الرحيق، وفى ضحكـاتهن نغم وموسيقى ، بل إن الإنسان يشعـر وهو جالس إلى جانب فتاة مصرية أن الكهرباء والجاذبية تسريان فى كل جزء من أجزاء جسمها.. وصاحبنا يقرّ أن فتاتنا المصرية كاذبة نعم وأنانية نعمين .. وخداعة .. ثلاث نعمات .. ومع كل هـذه النقائض فإنها تفوز على أى فتاة فى العالم فى مسابقة الفتنة والجمال والإغراء .

وتمتاز الفتاة الأمريكية عن الفتاة المصرية بأنها حسنة الذوق فى اختيار الشبان .. إنها لا تحب الرمرمـة كما تفعل بعض بنات اليوم اللاتى لايهمهن أكثر من أن تملأ الواحدة خانات قلبها ، وكأنها تملأ برطمانا للطرشى !

إن بعض الفتيات الشرقيـات تعتبر المثل الأعلى للشباب هـو ذلك الشاب المخنث الـلامع الشعـر، الأبيض الوجـه ، المورد الخدين ، الـذى يخرج من جيبـه كل خمس دقـائق «مشطـا» يسرح بـه شعـره الـذهبى أمـام المرآة ، وينحنى وينثنى ويتقصع ويتمرقع حين يسير .

لكن الفتاة الأمريكية تـريد رجلا كاملا ، فى صوته خشـونة الرجال ، وفى طبيعته رجولة الرجال .

و « الدون جـوان » فى أمريكا فى الـوقت الحاضر هو الرجل القـوى الذى

يضرب صديقته كلما تشاجرا ، والذى يقودها ويملى إرادته عليها .

وهو يـذكر أن ممثلـة سينما معروفـة قالت لـه فى معرض حـديثها عن الـرجـال الذين تعجب بهم : إننـى أشعر فى كثير من الأحيـان أن صفعـات صديقى على وجهى ألذ من بعض القبلات !

وكل فتـاة فى أمريكـا مهما بلغ ثراؤهـا وثروتها تشتغل ، حتى أن ابنـة روزفلت نفسهـا تعمـل فى محل لبيع الفسـاتين ، وكل فتـاة تعلن فى بيتهـا «الاستقلال التام» فهى حـرة فى تنقلاتها ، حرة فى دخولها وخـروجها ، حرة فى الخطابـات التى تتلقاهـا ولا يفتحها الـرقيب ، ولكن إذا أساءت استعمال هذه الحرية فإن الأب أحيانا يعلن الأحكام العرفية فى البيت ، وأحيانا ينتهى الأمر بطردها ، والفتـاة الأمريكية لا تكلف أسرتها شراء أثوابها ، بل تعمل فى وظائف شاقة لتشترى ثوبا جميلا .

ومع أن صاحبنا يعتقـد أن الفتاة المصرية أنيقة فى اختيـار ما تلبسه بل لا يبالغ إذا قال انه يعرف فتيات مصريات يـرتدين ملابسهن بأناقة تفوق أناقـة كثيرات من كواكب السينما .. إلا أن كثيرات منهن يسرفـن فى التواليت بشكل يـدعو إلى الـرثـاء ولو أن الفتـاة المصريـة اقتصدت فى كـذبها .. وفى خداعها.. وفى مساحيقها.. لما كان فى الإمكان أبدع مما كان .

مدرسـة الـزوجـات :

وقد أصبح الزواج فى أمريكـا علما يدرس فى بعض الجامعات مثل الطب والهندسـة والزراعة والكيمياء .. وأنشئت كليـات خاصة لدراسـة هذا الفن الجميل ، وفى بعض الدروس يجلس الطلبة مع الطالبات ، وفى دروس معينة ينفصل الجنسان ولا يختلطان .

وحضر صاحبنا أحد هذه الدروس المخصصـة للفتيات ، وكان موضـوع الـدرس «المفاجـآت» ، وكانت الأستـاذة تشرح للتلميذات : إن فشل الـزواج يعـود إلى ملل الأزواج، وإن عشر سنوات يقضيهـا الزوج فى حيـاة لا تتغير ولا تتبدل تجعل الحياة لا تطـاق، فالزوج فى مثل هذا الملل يكـاد يعرف كل يوم مـا سيأكله ، ومـا ستقولـه زوجته ، ولهذا فيحسن أن تحاول الـزوجة التغيير !

ونصحت الأستـاذة الـزوجات التلميـذات أن يبـدلن ويغيرن فى الحيـاة الزوجية وكـانت تقول لهن : «إن زوجك سيمل عندما يرى أثـاث المنزل هو هو لم يتغير ، الفوتيل فى الركن اليمين ، والكنبة فى الركن اليسار، والمائدة فى الوسط ، والراديو بين الكنبـة والفوتيل ! يجب على الزوجة أن تغير من وقت إلى آخر نظام البيت كى يشعر الزوج أنـه فى بيت جديد! وسيشكو الزوج فى أول الأمر من هذا التغيير، ولكنه لا يلبث أن يحس أنه انتقل من جو إلى جو !

ونبهت الأستاذة التلميـذات أن تفاجىء الزوجـة زوجها عندمـا تقتصد من المصروف الخاص بنفقات البيت دون أن تخبره ، ثم تقـول له ذات ليلة : «سأدعـوك اليوم للسينما على حسـابى » ! أو «إنى أدعـوك لتناول العشـاء معى » أو تقدم له هديـة لمناسبة من المناسبات .. إن هذه المفـاجآت التافهة تشعر الزوج بأن حياته لا تسير على وتيرة واحدة ، ثم إن الزوج الذى اعتاد أن يدفـع دائما يحس بسعادة عنـدما يشعـر أنه مـدعو مـرة فى الشهر على حساب زوجته !

وحضر صـاحبنـا درسا عن «الأشياء التافهـة» ـ ولم يكن هو مـوضوع الدرس! ـــ وإنما كانـت المعلمة تقول للطـالبات إن بعـض المسائل التـافهة تفسد أحيانا الحياة الزوجيـة، وإن زر البنطلون الذى طلب الزوج إصلاحه ونسيت الزوجة ذلك قد يؤدى إلى حـادث طلاق! فقد يكتشف الزوج وهو فى عمله أو وهـو راكب الترام أن زوجته نسيت هذا الطلب البسيط التافـه الذى طلبـه، ويعيش يومـه يقـول لنفسـه: يـالها من زوجـة مهملة! زر بنطلـونى تنساه؟ لماذا تزوجت إذن ؟

ويعـود الزوج إلى بيتـه سـاخطا، وتبـدأ المنـاقشة بين الـزوجين وكثيرا ما تنتهى بمشـادة أو طلاق، فعلى الزوجـة أن تعنى بالأشياء التـافهة التى يطلبها زوجهـا وحذار أن تنساهـا، وعليها أن تسجل أوامر زوجهـا فى ورقة عندها، وكم يشعـر الزوج بسعادة عندما تنحنى الزوجـة أمامه فى الصباح وتقول له «مـاهى أوامر جلالتك اليوم»! إن الرجل يشعـر بشىء من الزهو والسرور ويظن انه ملك حقيقة !

وحضر صـاحبنـا درسا ثـالثا اسمه «العـادات القبيحة» وكـانت المعلمة

تذكر للتلميذات أن بعض الزوجات اعتــادت أن تسأل زوجها بعد فراغه من تناول طعام الافطــار عما يريد أن تطهيه له فى الغـداء! وهذا سؤال سخيف، فالــزوج بعد تناول الطعام لا يكـون فى حالة تسمح له أن يفكـر فى أصناف طعام الغداء وهو متخوم من طعـام الصباح ! وتستحسن المعلمة أن تفرض الزوجـة الأطعمة على زوجهـا ، وليس معنى هـذا أن تعد له الأصنـاف التى لا يحبها ، بل ان تعرف ما يحب وتعده له.

وبهذه المناسبـة يذكر صاحبنــا أنه لاحظ أن أغلب الزوجات فى أمـريكا يطهين الطعام بأنفسهن ولهذا فإن أنظف مــا فى البيوت الأمريكية مطـابخها الجميلة التى تدار بالكهربــاء، حتى إنه فى أغلب البيوت الكبيرة يتناول أفراد الأسرة طعام الافطار فى المطبخ.. فهل يستطيع واحد منا أن يدخل مطبخه فى البلاد الشرقية ليتناول فيه طعام الافطار ؟

والزوجــة الأمريكية تفخـر بأنها تصنع بيدهــا الطعام الذى تقـدمه إلى زوجها، ولا يوجد طهاة فى البيوت، وإذا أرادت جريدة أن تقول عن رجل إنه غنى قالت إن فى بيته طاهيا خاصا !

وتخرج الزوجــة الأمريكية بنفسهــا لشراء اللحم والخضار، وفى أمـريكا يوجد محلات تبيع اللحم والخضـار والفــاكهة واللبن والزبدة والعيش وكل ذلك فى مكان واحد، ومن السهل أن تطلب الــزوجة المحل فى التليفون فتقول أريد كذا وكذا ، ففى خمس دقائق يكون ساعى المحل على باب المطبخ يحمل ما تـريد. ولما كان أغلب الزوجـات فى أمريكا يشغلن وظائف فإن الصنــاعة الأمريكيــة انتجت مأكولات يمكن طهيها بسرعة فى علب مجفـوظة، ففى عشر دقائق تستطيع الــزوجة أن تعد لك طعــامك، ولا يحدث ما يحدث فى الشرق حينما تمكث الزوجة من الصبــاح إلى الساعة الثانية صبــاحا فى المطبخ تعد الطعام، وما تكاد تراها حتى تجد رائحة الملوخية تفوح منها !!

ومن العادات القبيحـة التى يذكر صــاحبنا أنه سمع المعلمة الأمـريكية تشرحها للتلميذات أن تذكر الزوجة لزوجها الخناقات والمتاعب التى حدثت أثناء غيــابه فى عملــه مع أولادها أو جيرانها أو خـدمها.. وقـد قالـت المعلمة يومـها : إن الابتســامة هى السلاح السرى الذى تقهر به الــزوجة زوجها، إن

الـزوج يعود من عملـه متعبا، فـلا يجوز أن تـزيدى متـاعبه بـذكر أنبـاء مضايقاتك وخناقاتك !

ومـمـا أوصت به المعلمـة تلميذاتها أن لا تخلع الـزوجة مـلابسـها أمـام زوجهـا ، يجب أن يكـون بينهما دائما شـىء من التكليف. يجب أن يكـون حقهـا دائما أن تختبىء من زوجهـا عندمـا تـريد أن تتجمل، لأن الانسـان لا يستطيع أن يتلـذذ من تنـاول لحم خروف رآه يـذبح أمـامـه ويطهى فى وجوده.. فـالزوجة يجب أن لا تكشف لـزوجها عن سر جمالها، بل يجب أن تفاجئه به مفاجأة !

وخرج صـاحبنا من مدرسة الـزوجات آسفا، لأنه ليس لـدينا فى الشرق مدارس تعلم الفتيات فن الزواج، وإن كل ما تتعلمـه الفتاة عندنا ما تسمعه من أمهـا أو من أختها الكبرى .. وهكـذا تصبح الفتاة شقيـة إذا كانت أمهـا شقية ، وتدخل حياة جديدة دون أن تدرس سيكولوجية الزواج.

وللزوجة وشئون البيت فى أمريكا دستور واحصائيات، وفى فبراير سنة ١٩٤٤ نشرت مجلة «لـوك» إحدى هـذه الاحصائيـات وفيها أن كـل زوجة أمريكية تغسل بيـدها ٢٨٠, ٢٦ طبق فى العام! وفى أمريكـا مائة ألف زوجة يستعملن الآلات الكهربائية الخاصة بغسيل الصحـون، أما باقى الزوجات فيغسلن الصحون بأيديهن ولا يتـولى هذا العمل الخدم إلا فى بيوت الأغنياء وتغسل الزوجة بيديها ما زنته من ٢٠ إلى ٣٠ رطلا من الملابس كل أسبوع.

وبين الثلاثين مليـون بيت فى أمريكـا يوجد ٢٨,٧٣٨,٢٠٣ بيـوت فيها أجهزة راديـو، ومن الطريف أن شركات الصـابون تذيع فى الراديـو أوبرات صغيرة فى الموعد الـذى اعتادت فيـه الزوجـة الأمريكيـة أن تغسل الغسيل الخاص بمنزلها فتديـر الراديو لتستمع إلى أغانى الأرملـة المرحة مثلا بينما هى تغسل بنطلونـات وقمصان زوجها. وليس فى أمـريكا غسالـة تذهب إلى البيوت لتغسل ملابس الأسرة كما هو الـحال عنـدنا فى الشرق، بل تتولى هذا الشرف الزوجة الأمريكية نفسـها.

ومما يدل على رخاء الأسرة الأمريكية انه كان بها قبل الحرب ٢٢ مليون سيارة أى أن كل أسرة تقريبا كانت تملك سيارة خاصة !

وذكرت الجريـدة أن الزوجة الأمريكيـة ترفو كل عام ٣٤٧ جـوربا وأن أغلب فساتينها وأثواب أولادها من صنع يدها.

ومن مميـزات الــزوجـة الأمـريكيـة انها تبقـى «صغيرة» مع أولادهـا فتـلاعبهم، وتجرى معهم، وتـركب البسكليتـات وتسـابقهم ولا تشعـرهم بالفرق في السن بينها وبينهم.

ومن الإحصائيات الطـريفة أن الزوجة الأمريكيـة تقبل زوجها بمتوسط ١٥٠٠ قبلــة في العــام مهما تقـدمت بها السـن، وانها تقف أمــام المرآة ١٨٢ سـاعـة في العام، وتمضـى ٣٥ ساعـة في العـام عنـد الحلاق، وتلمع أظافرها ٤٥ مرة في العام، وتنظف أسنانها ٥٠٠ مرة !!

ooo

الولـد الأمـريكي :

وتربية الولـد الأمريكى هى مزيج من العلم والحرية، فلا يكـاد يولد ولد حتى تعد له أمه «ألبوما» خاصـا، تضع فيه صورة المولود كل ثلاثة أشهر، ووزنه، ومـلاحظات على ميوله ونـوادره، وما يصاب بـه من المرض، وهكذا يصبح البـومـا تـاريخياً واقعيـاً مفصـلاً لحيـاة الطفل، فإذا مـرض أمكن الطبيب بسرعـة من تقليب صفحـات الألبـوم أن يعـرف حـالتـه الصحيـة والأمـراض التى أصيب بها، وعندمـا يكبر الطفل ويصبح رجلا تهدى هـذا الألبوم إلى خطيبة ابنها.

وقد كانت بعض الأمهات الجاهـلات يعلمن ابناءهن في الشرق أن يشبوا جبناء، كم حـدثونـا ونحن أطفال عن «أبى رجل مسلـوخة» و«البعبع» وكم أغلقنـا أجفـاننا على صـور مـرعبـة من الحوادث المفزعـة، بينما الأمهـات الأمريكيات لايـروين حكايات العفاريت إلا على أن العفـريت مخلوق ظريف لطيف يعبث به الأطفال ويركبون ظهره، وليس مخلوقا بشعا يخشاه الطفل الصغير !

ولم ير صاحبنـا في أمريكا أطفالا يبكون بكثـرة مثل أطفال بلاده، ولعل بكـاءنا الكثير في طفـولتنـا هو الـذى جعل أرواحنـا حزينـة، ولهذا السبب انتشرت أغـانى النـواح والبكـاء بين المطـربين والمطـربـات، وتقـول بعض النظريات القديمة إن البكاء يفيد الطفل ولكن النظريات الحديثة تقضى بأن

البكاء لا يفيد الأطفال إلا إذا كانوا يتألمون حقيقـة ألماً حاداً، وتذكر صاحبنا أن أطفال بلاده يجهلـون ما هو الوطن ؟ ولايعرفـون شيئاً عن الوطن إلا فى المدرسـة، بينما محبـة الـوطن يجب أن تغـرس فى الطفل فى البيت أولاً، وكم سمع صاحبنا طفـلا أمريكيا وهو يستعد للنوم ويضع يـديه على صدره فى حركـة ابتهال ويقول: «اللهم احفظ أمريكـا» وكم رأى طفلا انجليزيـا يركع أمـام فراشـه قبل النوم ليصلى ويقـول: «اللهم احفظ الامبراطوريـة.. وأبى وأمى»! وتساءل صاحبنا لماذا لاتدعـو أمهاتنا أولادهن ليصلوا لمصر قبل أن يذهبـوا إلى فراشهم! إن هذا الـدعاء الصغير يغرس فى نفس الطفل تقـديسا للوطن، وتعيش هـذه القدسية فى قلبه إلى أن يصبح رجلا! وأسـف صاحبنا على أن قصص الأطفـال التى قـرأها فى طفـولتـه لم تكن تحوى أى قصص مسليـة عـن الـوطنيين المصريين الكبـار، وأن الطفل المصرى يشـب وهـو لايعـرف من هو محمـد على وأحمد عرابى ومحمـد عبده ومصطفى كـامل وسعد زغلول ومحمـد فريد، ولو شب الطفل وهو يعرف بطـولتهم فإنه بلا شك سيحاول أن يكون واحداً من هؤلاء!

ooo

وفى أمريكا يشجع الآباء الحب الصغير بين طفل وطفلـة ويذكر صاحبنا أن الـدكتـور والس عميد إحـدى الجامعـات ألقى خطـابـا دعا فيـه الآبـاء والأمهات إلى أن يعلموا الأطفـال «الحب» وأن يشجعوا ابنهم الصغير على أن يحب ابنـة الجيران! وقال العميـد فى ذلك : «إن الطفل إذا أحب طفلـة اعتنى بملابسـه ليظهر أمامها جميـلا، واعتنى بنظافته ليعجبهـا، ولا يمكن إقناع طفل أن يكون نظيفا أو أنيقا إلا إذا عرف انـه بذلك ينال اعجاب الطفلة التى يحبها، وبفضل الحب يُعنى الطفل الصغير بجسمـه وعضلاته حتى يضرب أى طفل آخر يـزاحمه فى فتاته، وبفضل الحب يستذكر دروسـه حتى يكون دائما محل احترام الأستاذ وزملائه التلاميـذ فى الفصل الذى به الفتاة التى يحبها»!

ooo

وكـان صاحبنـا يرى فى دور السينما الأفـلام التى تدور حـول الأسرة

الأمـريكيـة من نوع أفـلام «أسرة هـاردى» التى يمثلهـا الآن ميكى رونى، والتى تظهر حياة الولد الأمريكى، وكـان يظن أن ما يراه مبالغة، ولكنه تبين أن كل ولد أمريكى هو ميكى رونى!

إن الولد الأمـريكى يتمتع بحرية كبيرة، فهو يناقش والده منـاقشة الند للند، ويعتبر الـوالد صديقـا يستشيره فى كل شىء حتى مشاكله الغـرامية! وبعض الأولاد ينـادون آباءهم بـأسمائهم مجردة من الألقاب، ولا يقفـون لتحيتهم إذا دخلـوا الغرفة، ولا يـأنفون من أن يضعـوا ساقـا على ساق فى حضرتهم، ومع أن صـاحبنـا المصرى لا يـزال يفضل طـريقـة الاحترام الشرقية، إلا أنه رأى الولد الأمريكى أكثـر استقلالا، وله شخصية أقوى من شخصية الولد المصرى.

وكثيرا ما كان يرى الأب يرفض أن يعطى ولده مصروفا كافيا. ويشجعه على أن يجد لنفسـه عملا بسيطـا إذا أراد أن يـزيـد إيراده، وأغلـب تلاميذ المدارس الابتـدائيـة يشتغلـون ببيع الجرائد والمجـلات قبل ذهـابهم إلى مدارسهـم، ويكسبون مبالـغ يستطيعون بها أن يـذهبوا إلى السينما أو إلى مباراة فى الكرة دون أن يمدوا أيديهم إلى آبائهم يشحذون أجرة الدخول!

والـولـد الأمـريكى واسع الآمـال، ولعـل السر فى ذلك ان الأغـانى التى يسمعهـا فى طفـولتـه كلها عن المجـد.. وأنـه يجب أن يكـون عظيما! بينما الأغـانى التى لـدينا فى الشرق لاتـزال «نـام.. نام.. وأنـا أدبح لك جـوزين حمام»!

وهكـذا، بينما تكـون أمنية الطفل الأمـريكى أن يكـون مثل واشنطـون أو لنكولن أو روزفلت، نجد أن كل أمنية الطفل المصرى هو أن يأكل جوزين حمام؟!

○○○

٦ أصحاب الملايين

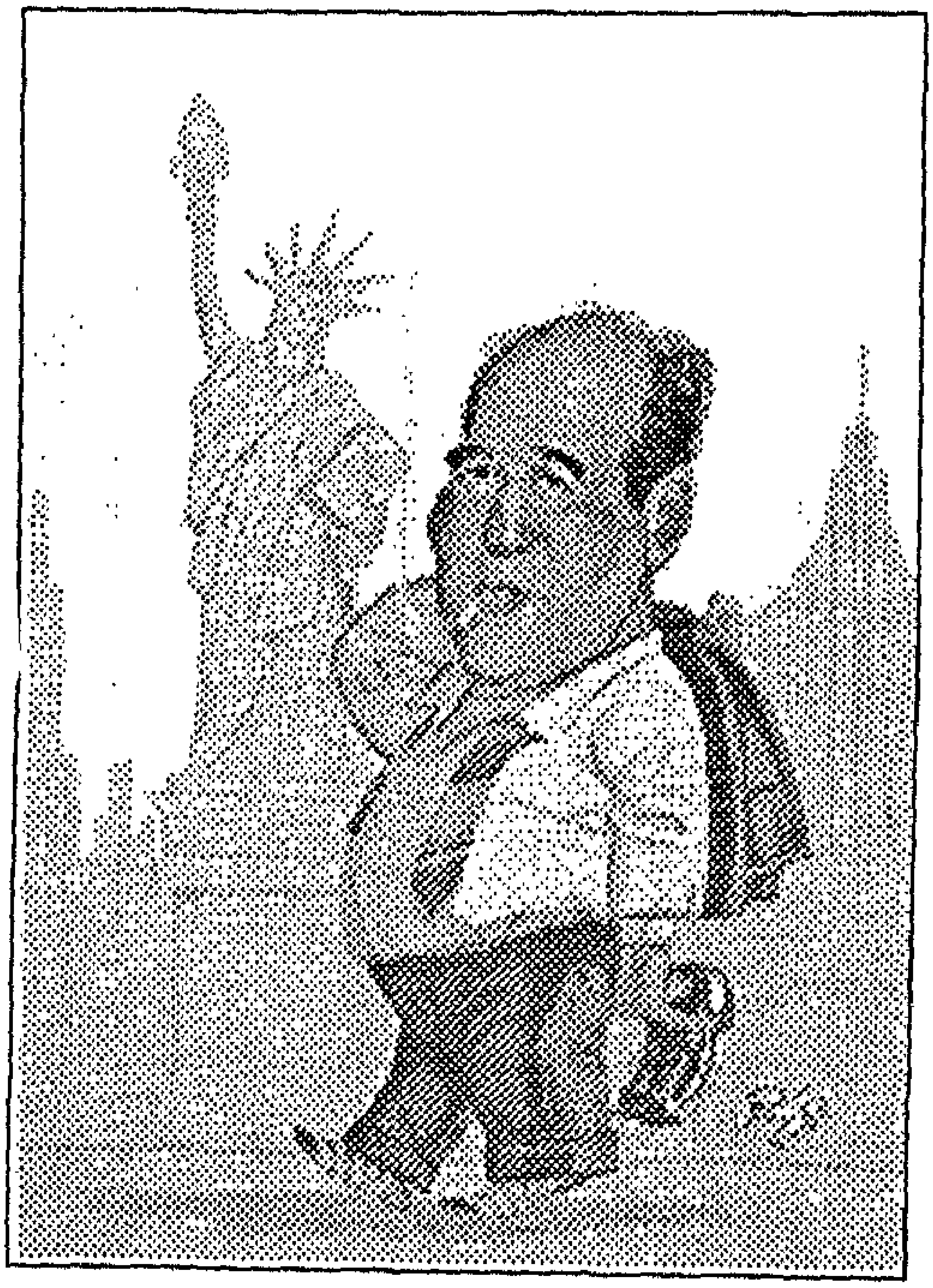

٦

البحث عن صاحبة ملايين :

وكان أصدقاؤه يحسنون به الظن ويظنون أن صاحبات الملايين فى أمريكا طوع بنانه، وأن عددهن فى أمريكا مثل عدد بنات الإيه فى مصر.. وأكثر!

ومن هنا انهالت عليه الخطابات - على شكل عرائض استرحام - من أصدقائه وأقاربه ومعارفه وأنسبائه، ومن أقارب أصدقاء ومعارف انسبائه وكلهم يؤكدون له أن صحته هى غاية القصد والمراد من رب العباد، ثم يقولون إن لهم رجاء بسيطا ويستحلفونه بحق الصداقة والقرابة والمروءة والإنسانية أن ينفذه على العين والرأس.

والطلب البسيط هو البحث عن احدى صاحبات الملايين التى ترضى بزواج القريب أو الصديق أو النسيب، ثم يحمله صاحب الخطاب دائماً مسئولية فشل المشروع أمام الله والوطن والتاريخ.

وكان بعض أصدقائه يذكر فى عرائضه - من باب وتحدثوا بنعمة الله - يذكر شيئاً عن مغامراته فى عالم الغرام، وكان البعض الآخر يتواضع قليلاً ويبعث له بصورته لعرضها على صاحبة الملايين.

والصورة غالبا تكون فى وضع فتان يسيل له لعاب هيدى لامار وقد

تفنن بعض أصدقائه من الطلبـة فى صوره وأوضاعه، فـوصلت إليه صورة صديقه (م.ب) الطالب بكلية الحقوق وقد وقف إلى جانبه بغبغان إشارة إلى انه فصيح اللسان.

ووصلت إليـه صورة مـن صديقـه (س.ر) الطـالب بكلية الآداب وقـد جلس ممسكـا بكتاب انجليـزى وأخذ يطـالع فيه وكأنـه افلاطـون.. ولكن لسـوء الحظ لم يكن الإخـراج (والميـزانسين) على ما يـرام لأن الفيلسـوف الكبير كان يمسك الكتاب با لمقلوب.

ووقف طالب آخر وقد أمسـك بيده اليسرى «صحبة ورد» وبيده اليمنى «منشة» وبجـانبه مائدة موضـوع عليها جمجمة وسماعـة ومصران أعور وكبشة عظام وكتب تحت الصورة «الدكتور فـلان الفلانى» الطالب بالسنة الأولى بكلية الطب.

والمهم أن كل واحد من هؤلاء «العـرسان» كان يؤكد فى ختام خطـابه أنه يعرف أن صاحبات الملايين فى أمـريكا كثيرات، وعلى قفا من يشيل، ومن ثم يعلن الصديق استعداده لأن يكون «القفا» المذكور.

ومع أنه لم يكن قد قام بدور الخاطبـة من قبل، ولم تكن له خبرة سابقة بشئون توفيـق الرءوس فى الحلال ـ ولا فى الحرام طبعا ـ مع هـذا فإنه أراد أن يكون عند حسن ظن أقارب أصـدقاء أنسبائه، فيحاول النجاح فى إكمال نصف دينهم مع صاحبات الملايين.

ولقد أمضـى فى أمريكا حوالى العـام دون أن يحظى بلقاء صاحبة ملايين أو صاحبـة ملاليم، وليس الذنـب ذنبه بل هو المثل القـائل «إن الطيور على أشكـالها تقع». ومن هنـا كـان لا يقع عليـه إلا حضرات المفلسـات الـلاتى لا يملكن من حطام الدنيا إلا علبة البودرة، وصباع «الروج» وحقيبة يد جلد اشترينها بالتقسيط على طريقة ماكينات سنجر.

وعبثـا سـار فى «وول ستريت» شـارع المال بنيـويـورك حيث يـوجـد أصـحـاب الملايين وعبثـاً مشى منتفخا فى ذلـك الشارع العظيم لافتـا نظـر المليونيرات بشخشخـة النقود الفضية التى فى جيب البنطلون ـــ على اعتبار أنه هـو أيضا مليونير ـــ ولكنه لم يلفت إليـه أحدا باستثنـاء واحد أو اثنين

سألاه إذا كان معه « فكة » نصف ريال !

وأخيرا حدثت المعجزة حين صحبته سيدة يعرفها إلى حفلة كوكتيل عند إحدى قريبات مستر هنرى فورد الصغير حيث كان هناك دستة ونصف دستة من صاحبات الملايين.

وارتدى بدلته السوداء التى احتفظ بها لجلائل الأمور، ولمقابلة الحكام والناس العظام. وحمل معه صور العرسان من الأقارب والنسايب والحبايب وذهب إلى هناك.

وفوجىء قبل كل شىء بأن نصف المليونيرات الموجودات قد فارقن الستين، أو هن يمسكن عصا العقد السابق من وسطها، ولم ييأس فإن ميدان الزواج من العجائز المليونيرات متسع جدا، وقال لنفسه أن أصدقاءه ولا شك سوف يرحبون بزواج مليونيرات من هذا النوع ــ فعليهم هم الزواج والباقى على عزرائيل.

ولكن كل محاولاته فى لفت نظرهن ذهبت أدراج الرياح، وإن كانت واحدة منهن تفضلت بدعوته إلى زيارة منزلها لما علمت أنه مصرى، ثم أضافت إلى ذلك أن زوجها سوف يسر كثيرا بلقائه لأنه مغرم بالأنتيكة والآثار.

وتحمل صاحبنا النكتة بكل شهامة، ولم يقل لها أن أعظم دليل على غرام زوجها بالأنتيكة أن يحتفظ بحضرتها فى منزله، لم يخبرها بذلك، لأنه أراد أن يتظاهر بالأدب الكامل، ما دامت الحكاية مسألة حياة أو موت بالنسبة لأصدقائه العرسان.

وكان النصف الآخر من المليونيرات الحاضرات زوجات أصحاب ملايين أى أنهن لايملكن من حطام الدنيا إلا لقب زوجة مليونير، وإذا تطلقت واحدة منهن من زوجها فمعنى ذلك أنها ستصبح فى مثل حالة هؤلاء العرسان المفلسين.

وفجأة دخلت فتاة مثل القمر ـ أو القمر هو الذى مثلها ـ وقد ارتدت ثوبا من الحرير الأبيض الموشى بخيوط من الذهب ـ وكان الثوب شفافا ـ يكشف عن ذراعيها البضتين، وعن صدرها العاجى، وعن.. وعن.. مما

يسيل لــــه لعاب الزاهد، وترقص له حواجب العابد. وكانت طويلة القامة، حلوة الابتسامة، خطواتها تلمس الأرض بـرفق كما تترفق يد العاشق بظهر ليلاه وكـانت تخطر كالظبى النافـر. وإن كان صاحبنا والحق يقـال لم ير طوال حياته لا ظبيا نافرا، ولا ظبيا غير نافر، حتى فى حديقة الحيوانات.

وهمست صديقة بجانبه أن الفتاة فوق ذلك صاحبة ملايين.

نسى فى ذلك الوقت الامانـة التى فى عنقه والخمسين طلب زواج التى هى بالنسبة لأصحـابها مسألة حياة أو موت، والتى هو مسئـول عنها أمام الله والوطن والتاريخ، لم يفكر فى شىء إلا أنه وحده العريس.

وقـدمته صـديقته إلى الفتـاة على أنه فـلان الفلانى الكـاتب الاجتماعى الخطير، فاعتـدل فى وقفته وانتفخ قليـلا حتى يبدو عليـه سيماء الخطورة، وفتح فمه بـابتسامة طولها شبر وعـرضها شبر، وانحنى ـ بقـدر ما سمح البنطلون ـ انحناءة تناسب المقـام.. وقالت الفتاة إنها تحب الكتاب والأدباء والشعراء وتعجب بهم كثيرا ولكنها تعتقد أنهم لا يفلحون أزواجا بأى حال من الأحوال.

وعبثا حـاول صاحبنا إقنـاعها بأن رأيها فى غير محله، وأن لكل قـاعدة شواذا، ولا حكم إلا بعـد التجربـة، ولكن المليونيرة الحسنـاء رفضت بإباء وشمم أن تغير رأيها فى قيمة الأدباء كأزواج.

وعاد يحاول إقناعهـا بأنه ليس أديبا، وأن الصديقة التى قـدمته شاءت أن ترفع من شأنه، وأنه فى الواقع من هيئة كبار العلماء.

ولكن المليونيرة الحسناء أكدت له أن عليه سيماء كاتب اجتماعى خطير.

ولما سألها عن السبب قالت لأن الكتاب عادة ينسون أن يحلقوا ذقونهم، وتبدو عليهم بهدلة عمومية!

ولما تأكد أن لا فـائدة هناك، وأنه فشل فى ترشيح نفســه لمنصب عريس مليونيرة.. عنـدئذ تذكر فقط الأمانـة التى فى عنقه وطلبات الـزواج التى هو مسئول عنها أمام الله والوطن والتاريخ.

فقص عليها قصة اصدقائه الذيـن يطلبون الزواج من صاحبة ملايين، فقالت إنه يسرها كثيرا أن تطلع على طلبات الزواج.

○○○

وبدأت المفـاوضـات فـورا دون مظاهـرات أو مقدمـات، فإن الأمريكيين أناس عمليـون وتعرف السيدات هنـاك أن أقصر طريق بينهـا وبين الرجل هو طلب الزواج، ولكن هذا الطريق القصير، اعترضه خازوق كبير.

فقد سألته المليـونيرة عن ثروة عريس الغفلة المنتظرة فـادعى صاحبنا انه - أى العريس - مليونير مثلها يشار إليه باللسان!

وبدأت المليونيرة تفحص الصور فألقت نظـرة سريعة على أشباه كلارك جيبل وجـارى كوبـر وصورة المحـامي ووكيل مكتبـه البغبغان. وصـورة الطـالب بكلية الآداب، ولكنهـا وقفت طـويلا أمـام صـورة الطالب بـالطب المسك بصحبـة الورد والمنشـة وتحيط بـه حاشيتـه المؤلفة من جمجمـة وسماعة ومصران وكبشة عظام.

وحسب صاحبنـا أن الفتاة حـائرة أيهما صورة صديقـه، الجمجمة أم صديقه نفسه، ولكنها قالت له: إن هذا الشاب له شخصية مدهشة.

وفرك كفيـه ودعكهما فى بعضهما علامـة السرور، وحمد الله فى سره على أن فى السويداء مغفـلات، وبدأ يبالغ فى مزايـا الصديق. فتكلم عن مستقبله الحافل بجـلائل العمليات وكيف أن فتيـات كليـة الطب وطالبـات مدرسـة القابلات بقصر العينى مغرمات به، ومتعبات من شدة السهاد وألم البعاد.

○○○

وقالت المليونيرة الحسناء إنه يسرهـا كثيرا الزواج من ذلك الطالب بكلية الطب لجاذبيتـه المدهشـة وأنها لا تشترط أى شرط ـــ فهى ليست طماعـة كغيرهـا من المليونيرات ـــ ولكن أباهـا قال فى وصيتـه إن الثروة تـذهب إلى الجمعيـات الخيرية لـو تـزوجت ابنته من أجنبـى.. ثم التفتت إلى صاحبنـا وقالت:: طبعا هذا لا يهمه.

وبدون أن يفكر صاحبنا قال على الفور: بالعكس.. يهمه جدا!

وكان ذلك طبعا إيذانا بقطع المفاوضات.

ميعاد مع صاحبة ملايين :

وذات يوم وقع فى حيـاته حادث جلل، ذلـك أنه تعرف بفتـاة أخرى من ذوات الملايين.

ولم يكن تعرفـه بها عن طريق البصبصة وتلعيب الحواجب لأن أمـريكا ما زالت متأخرة عن مصر فى أساليب الغرام والهيام.

ولم ير المليـونيرة واقفة فى نـافذة منـزلها فأرسل لها واحدا مـن سـهام عيونه وفتكات لحظه، ولم يضربها بطوبـة من طوب جاذبيته التى يسمونـها «السكس أبيل».

ثم إنـه لم يشهد المليـونيرة واقفة على محطـة ترام بـرودواى أو محطة ثورنيكروفت نيـويورك فاندفع بسيارته إليها يـدق الكلاكسون، وينفخ فى النفير، ويفتح لها باب السيارة، وهو يقول لها بـالانجليزية: تعاليلى يابطة، فترد البطة صاحبة الملايين : وأنا مالى هه!

راجع من فضلك كتاب (البصبصة وما إلى ذلك من حى الروضة إلى حى الزمالك).

كلا لم يحدث شىء من هذا للأسف الشديد.

أولا : لأنه لايملك سيارة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وثانيـا : لأن صاحبـات الملايين فى أمريكـا لا يركبن الثـورنيكروفت أو الترام لا واقفات على السلالم، ولا متشعبطـات من الشمال، ولا جالسات فى الحريم.

لقد تعرف بالفتاة فى سـهرة كبرى، وكـان ذهـابه إلى هذه الحفلة «تفليتة» يعجز عن ضبطها رسل باشا والبكباشى أحمد عبدالرحمن.

وقدمته سيدة إلى صـاحبة الملايين، وكانت فتاة طويلـة القامة، جسمها كلون الكـريم صودا بالشربات، وشعـرها بلون المارون جلاسيـه، وكانت عيناها الحالمتـان كعين ملكة جالسة على عرش من القلوب، وكـانت شفتاها تـؤذنـان أذانـا كالهمس وكـأنها تقول: حى على القبـلات. وكـان صـوتها سـاحـرا، فيه عـذوبة الأغانى وفيـه صفاء الألحان، وكـانت تتحدث وكأنها تغنى.. ولكنه غنـاء ملائكى كغنـاء أم كلثوم لا كالحشرجـة المقلقة للـراحة التى تذيعهـا محطة ماركونى لـلإذاعة ووجع الدماغ. وكـانت بسيطة فى كل شىء، صدرها وعنقها عاطلان من الجواهـر وليسـا عبارة عن فاترينة محل جـواهـرجى فى الصاغـة أو فى سيـدنـا الحسين، وكـان وجهها خـاليـا من

المساحيق، وليس عبارة عن قوس قزح ذى الألوان السبعة، وكانت ملابسها بسيطة جدا حتى تظن أنها عاملة فى محل تجارى لا صاحبة ملايين.

وأوشكت السهرة أن تنتهى وكان المفهوم أن سلام التلاقى هو سلام الوداع، كما يحدث عادة، وأراد أن يعزم على الفتاة «عزومة المراكبية» لتخرج معه فى اليوم التالى، وكان يتوقع أن تعتذر، بصداع أو بموعد سابق أو تلقى عليه زغرة كالتى يتفضل بها المليونير على المفلس كلما رآه فى الطريق.

وما كان أشد دهشته حين أجابت الفتاة بالقبول.

ولم يصدق أذنه، وظن أن جهله العجيب باللغة الانجليزية هو الذى جعله يفهم هذا، وعاد يسألها إذا كانت المسألة جدا أم انها تلهو به.

وقالت الفتاة إنها قبلت دعوته للعشاء مع الشكر الجزيل.

عشاء!؟ ولكنه لا يذكر انه نطق بكلمة عشاء لا بالانجليزى ولا بالعربى حتى ولا بلغة الصين.

وأسرع يخبر أصدقاءه المصريين الثلاثة ــ وهم يؤلفون مجلس وصاية عليه فى أمريكا ــ وسرد عليهم ما حدث فقاموا وقعدوا، وقعدوا وقاموا، وقرروا أن الأمر خطير.

واقترح «واع منهم» الا يحاول صاحبنا الزوغان من حكاية العشاء حتى يأكل وصاحبة الملايين «عيش وملح سوا» فرد عليهم هو بأنه لا مانع عنده من أن يذهب معها إلى العشاء ولكن المانع هو ثمن العشاء.

وأخذت المصريين الثلاثة النخوة والمروءة والنجدة والإحسان. وأعلنوا استعدادهم أن يفتحوا اكتتابا لمساعدته على دفع ثمن العشاء.. ولم يكن هذا العمل مروءة فقط كما يبدو، بل إنهم كانوا يعتبرون ذلك عملية تجارية رابحة، فقد اشترطوا عليه فى حالة حصوله على وظيفة زوج مليونيرة أن يكون أولهم بالمكاتب الدائرة، وطلب الثانى أن يكون ناظر الوقف على شرط أن يكون له حق النهب والسلب، وسائر الشروط العشرة أسوة بنظار الأوقاف. أما الثالث فقد تواضع ورضى بمنصب باش أغا السراى.

وقبل صاحبنا هذه الشروط وتعهد بتعيينهم فى هذه الوظائف مع إعفائهم من الكشف الطبى، ووعدهم بالتثبيت ومنحهم عدة علاوات استثنائية قبل التعيين. وتم اللقاء!

وكان قد حفظ عن ظهر قلب قائمة بأسماء المطاعم التى شعارها حسن المعاملة والتى تقبل تسديد فاتورة الحساب على كمبيالات.

ولكن صاحبة الملايين أصرت على أن تذهب إلى مكان تختاره هى . يانهار أسود! وإذا اختارت مثلا محلا من المحال الغالية التى تجعل صاحبنا طول حياته زبونا للبنك العقارى أو بنك الرهونات. أو ربما أدى الأمر إلى تشريفة كراكون سنج سنج.

ولم تدعه يكثر من التأمل وذكرت اسما طويلا، لم يكن سمع به من قبل، ولكنه شعر أن قلبه يدق، وأن مفاصله تسيب، وقرر بينه وبين نفسه أن يصحبها إلى المكان الذى تريده وقبل تقديم الفاتورة يسرع فى الانتحار. وذهبا إلى المحل..

وإذا بهذا المحل لبيع الساندويتش، وإذا بها تطلب واحد ساندويتش بالجبن الرومى، وهنا صعد قلبه من الحذاء واستقر فى مكانه المعتاد.

وذهبت معه إلى ناد ليلى، لم تطلب شمبانيا، ولم تشر بإصبعها إلى أغلى المشروبات كما يفعل غيرها من الفتيات تظاهرا بأنهن من بنات الذوات.. وإذا بها لا تشرب الخمر ولا تدخن مع انها من صاحبات الملايين.

ودهش وبدأ الفأر يلعب فى قلبه، وخشى أن تكون الفتاة عرفت أنه فقير فأرادت أن تعامله معاملة «للفقراء مجانا» التى يعامل بها الطبيب الطيب زبونه الغلبان.

ولكنها كانت طبيعية.. فقد رقصا، وضحكا، وسمعا موسيقى جميلة ولم يدفع سوى ريال واحد لا غير.

واستطاع فى تلك الليلة أن يدرس نوعا جديدا من المليونيرات، المليونيرات الشابات بنات العشرين، لا بنات التسعين.

هذه الفتاة اسمها آن متشيل من صاحبات الملايين، توفى والدها ولم يترك سواها وسوى والدتها، وإيرادهما السنوى مليون دولار.. ولكن

المليون لا يدخل كله فى جيوبهما إذ أن أربعة أخماس المبلغ تدفعانها كضريبة للإيراد والخمس الباقى لمصروفهما الشخصى ولصندوق التوفير.

وتملك الفتاة قصرا فى نيويورك، فيه بحيرتان مدهشتان، وفيه حمام للسباحة وفيه حديقة غناء فى حجم حديقة الأورمان، وعندها فى نيويورك سيارة ماركة كورد - وهى أغلى السيارات فى أمريكا - وسيارة ثانية فى لندن، وسيارة ثالثة فى هوليوود، وكانت مشغولة فى تلك الأيام بشراء قصر فى بالم بيتش - أو شاطىء النخيل - فى ولاية فلوريدا، وعجب صاحبنا إذ عرف أن سعر القدم المربع الواحد من الأرض المبنى عليها القصر هو مائة جنيه..

وأعجب ما لاحظه فى تلك الفتاة أنها لا تتحدث عن ثروتها، وانك إذا قلت عنها أنها صاحبة الملايين، اصطبغ وجهها بحمرة الخجل وتحدثت عن الأرملة وضرائب مستر روزفلت وخلطت كلامها بالحديث عن ملجأ أبناء السبيل.

وهى لا تسألك كم تملك من حطام الدنيا كما يفعل بعض البنات اللاتى يملكن عشرة قراريط فما فوق، لكى تشعرك الفتاة منهن بأنك أفلس من مستحقى الأوقاف.

وذكر صاحبنا أنه منذ سنوات صحب صديقا له إلى منزل أسرة معروفة فى مصر وطلب منه صديقه أن يدعى أنه من أصحاب الأملاك مع أنه لا يملك شيئا من العقار والأطيان ولا قطعة أرض فى مساحة طابع البريد.

وقال له الصديق : ان هذه الأسرة الكريمة لا تحب أن تتعرف إلا بالأغنياء والوجهاء، وما كاد يجلس ويتبادل كلمات «آنستنا» «الله يؤانسكم» حتى سألته ابنة صاحب البيت من الباب للطاق عندك يا بيه كام فدان؟ «وانجعص» صاحبنا وأراد أن يفشر فقال: إنه يملك عشرين فدانا خالية من الحجز والرهونات.

ولم يكن يومها فشاراً يشار إليه بالبنان، وكان يظن أنه منتهى الفشر أن يدعى أنه يملك عشرين فداناً بينما هو لايملك إلا الجاكتة والبنطلون.

ولكنه شعر بنظرات الاحتقار تصوب إليه من اليمين إلى الشمال، كأن

العشرين فدانا هذه «عشرين خردة» أو ثلاثة ملاليم.

وأسرع صديقه ينقذ الموقف ويقول ان عشرة من الأفدنة في ميدان الأوبرا وشارع عماد الدين.

وهنا فقط أقبل عليه أهل البيت يحيونه ويلاطفونه ملاطفة أولاد الذوات. والعياذ بالله.

تذكر هذه القصة وهو جالس مع المليونيرة الشابة التي تتظاهر بالفقر والافلاس بينما هي تستطيع أن تبيعه وتشتريه، وتبيع وتشتري نصف بنات الذوات من دمياط إلى وادي حلفا.

وتذكر أن المثل الذي يقول «العز بهدلة» إذا كان يطبق في مصر فإنه لا يطبق في بلاد العم سام.

وكانت تطوف به هذه الأفكار وهما يرقصان وكان يخاصرها على أنغام الموسيقى وهي تعزف دور «غنى لى ألف انشودة غرام» وكان يشعر وكأنه يخاصر في شخصها عشرة ملايين من الدولارات!

هيا نتسكع في حي الذوات :

وانتشرت في أمريكا انشودة اسمها «هيا نتسكع في بارك افنيو ونخرج ألسنتنا لأصحاب الملايين».

وبارك افنيو هو حي الذوات في نيويورك، كالزمالك وجاردن سيتي في القاهرة، أو كشارع البحر في دمياط.

وكان صاحبنا يسمع هذه الانشودة في كل مكان، في السينما، وفي المسرح، وفي صالة الرقص، وفي الراديو، وحتى في الجامعة أثناء تلقي الدروس.

وفي يوم عيد الفصح دخل عليه صديق وهو يقول:

— هيا نتسكع .

فرد عليه بصوت مثل صوت مطربي الإذاعة مكملا بقية الانشودة، ولكن صديقه لم يكن يقصد أن يشاركه الغناء بل كان يقصد أن يذهبا إلى «بارك أفنيو» ليتسكعا فيه بحق وحقيقي وليخرجا لسانيهما لأصحاب الملايين.

ومن التقاليـد الغريبـة فى نيويورك أن يسير أصحـاب الملايين فى صباح عيد الفصح فى بارك أفنيـو مشيا على الأقدام، وقد ارتدوا مـلابس البونجور ووضعوا على رؤوسهم القبعـات العالية وزينـوا «عروة» جاكتاتهم بـزهرة بيضاء تحية للربيع.

وتسير معهم زوجـاتهم وقد ارتـدين أجمل أثوابهن وأغلى مجوهـراتهن ويتمخطر الجميع ذهابا وإيابا فى حى الذوات.

وبتلامتهما المعهودة سـارا فى الموكب وكان مع صديقه كلـب وقد كان ـ أى الكلب ـ الوحيد بين ثلاثتهم الذى تلوح عليه سيماء أولاد الذوات.

ولما كانت الأصول والبروتوكـول تقضى بأن يضعا زهرة «الأوركيد» فى عـروة الجاكتة، ولما كـان سعـر الزهـرة الواحـدة خمسـة ريالات خـلاف البقشيش، ولما كان كل واحد منهما لا يملك من حطام الدنيا إلا أجرة الترام، فبناء عليه، وقع الاثنان فى ورطة!

وهـرش الصديق رأسـه وطلب من صاحبنـا أن يتلهى ويسكت، واتلهى صاحبنـا طبعا وسكـت وترك مهام الأمـور بين يدى صـديقه الـذى سمى نفسه حلال العقد عن جدارة واستحقاق.

و فى الزحام كان يتقدم صديقه ومعه الكلب فيزغد أحد أصحاب الملايين فتقع الزهرة من عروة الجاكتة فيلتقطهـا الصديق بهمة تدل على أن له خبرة قديمة بلم «السبارس» وجمع الأعقاب.

○○○

وبعد ثـلاثة أزغاد ـــ جمع زغد ـ كـان فى عروة جـاكتة صاحبنـا زهرة وكانت الزهـرة الثانية فى عروة صديقـه أما الزهرة الثالثة فقـد وضعاها فى طوق الكلب..

وصاحبنا لا يحب السير مع الكلاب فى طريق، ولكن ذلك الكلب أثبت أنه من أبناء آدم صحيح.

ما يكـاد يرى فتـاة هيفاء، أو سيدة مـدهشة، أو قمـرا نزل من السماء ليسير فى مـوكب الـربيع حتى يتقدم إليهـا بخطـوات ثـابتة ويتقـدم منهـا يبصبص لها بذنبه أو ينظر لها نظرة يعاقب عليها قانون العقوبات، ويتلخم

صاحبنا طبعا ويشد الحزام الجلدى الذى يربطه بالكلب.. أو على الأصح الذى يربط الكلب به، ولكن الكلب «الدون جوان» كان يهزأ بكل محاولاته ويترفع حتى عن الرد على السباب الذى كان يوجهه له بنصف دستة من اللغات.

وكان صديقه فى هذه اللحظة يتقدم إلى الحسناء ويخلع لها قبعته مقدما اعتذاره ويبدأ معها حديثا طويلا ينتهى عادة بابتسامة لصديقه وبزغرة من الفتاة لصاحبنا لو ترجمت إلى اللغة المؤدبة لكانت: خد بالك ياحمار.

وقابلتهما فى الطريق سيدة يعرفها صديقه فدعتهما لحضور حفلة كوكتيل فى شقة تسكنها بشارع الذوات، وقبلا الدعوة طبعا فى الحال.

والشقق فى بارك أفنيو غالية جدا. تصور أن إيجار الشقة مائة جنيه فى الاسبوع!

وكانت شقة مدهشة أشبه بالقصور التى سمعنا عنها فى حكايات ألف ليلة وليلة.

ولأول مرة فى حياته التقى بالإنسان الميكانيكى.

وكان هذا «الإنسان» يقف على الباب فيلتقط قبعات المدعوين ومعاطفهم ويعلقها فى مكان خاص.

ولم يأخذ باله فى أول الأمر أن هذا الشىء انسان ميكانيكى وبينما هو يسلمه معطفه شعر بشىء صلب فى يده فزغر لهذا الشىء فإذا الخادم كله مصنوع من الحديد.

ورقصت ساقاه من الخوف والفزع، وضحكت سيدة واقفة وقالت:

— هل تخاف من الإنسان الميكانيكى، إننى أتمنى أن ينتشر هذا الاختراع وأرجو لو يستطيعون اختراع زوج من هذا النوع.

وأشار إلى زميله وقال للسيدة انه تتوافر فيه نفس الشروط.. ولم تفهم السيدة النكتة والحمد لله.

○○○

ودعى بعد ذلك ليتفرج على غرف المنزل المدهشة وكان أغرب ما شاهده غرفة النوم فإن السيدة تنام على فراش موضوع على هرم يصعد إليه النائم

بدرجات كثيرة وكأنه يصعد الأهرام.

والتفت صاحبنا إلى السيدة يسألها دهشا:

— هل تنامين هنا ؟!

فقالت : نعم .

فهز رأسه وقال لخادم السيدة :

— طيب وإذا فرض ووقعت ستك من السرير.

وزغر له زميله وسحبه من يده وهو يقرصه ويقول له: اتظن أن كل الناس مثلك يقعون من السرير.

وخرجا من هناك يتسكعان فى حى الذوات تشيعهما ألسنة أصحاب الملايين!

○○○

٧ ليالى أمريكا

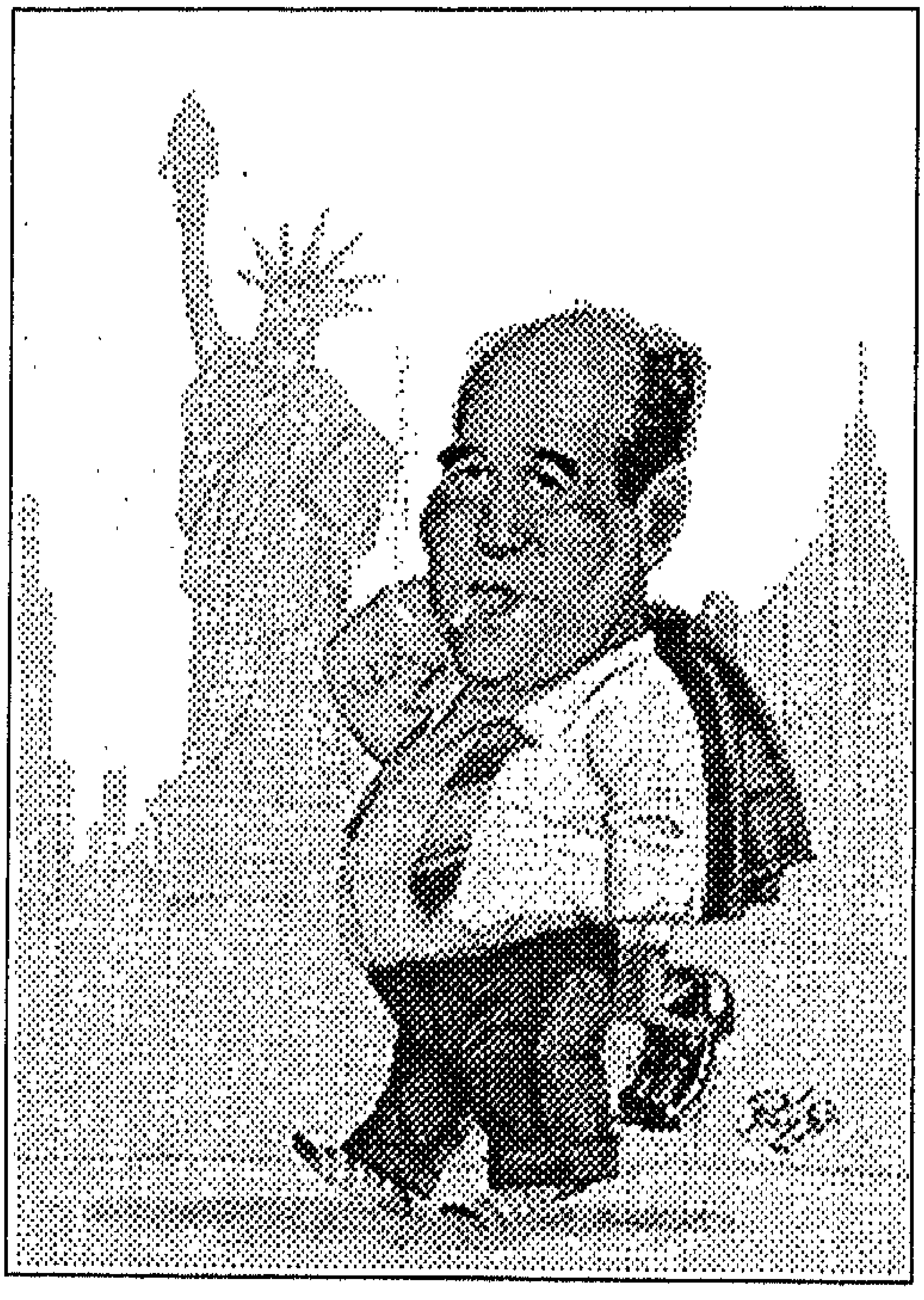

٧

نيويورك بعد نصف الليل :

نقص وزنه خمسة وثلاثين رطلا من اللحم المصرى الخالص الذى اكتنزه فى أيامه الخوالى ، حتى أصبح بينه وبين أن يكون فى قوام الغزلان بعض جرامات .

والفضل طبعا فى ذلك النقص لا يعود إلى الألعاب الرياضية فإن بينه وبينها ما صنع الحداد ، ولا يعود للف والدوران فى نيويورك فالله يعلم أنه كان حسن السير والسلوك حتى إن بعض بنات العم سام حسبته عضوا فى بعثة الأزهر للعلوم الدينية والفقه والتفسير .

نقص وزنه بسبب الغلاء ، واستطاع أن يدخل بسهولة فى بدلة السهرة ووضع على رأسه قبعته العالية (التوب هات) وسار مع صديقه.. إلى برودواى .

وطالما سمع عن برودواى فى الأغانى والأناشيد ، وطالما قرأ عنها فى الصحف والمجلات ، وطالما رآها تبدو وتختفى بسرعة فى أشرطة السينما - حتى ظن - أن برودواى هذه ضاحية لنيويورك مثل المعادى للقاهرة .

ولكنه لم يلبث أن عرف أن برودواى شارع فى نيويورك اختص بمهمة

اللهو والسهر ، وهى المهمة التى يقوم بها شارع عماد الدين فى القاهرة وشارع الكورنيش فى الإسكندرية .

وسارا فى برودواى يبحلقان فى عباد الله... أو على الأصح فى عبدات الله من ساهرات الليل الطويل .

كان كل شيء يضحك ويبتسم ، العجائز والمتصابيات ، والعذارى وأنصاف العذارى ، وفتيات الطريق وبنات العائلات . وحتى جندى البوليس الذى كان يشرف على حركة المرور كان يقطع الشارع جيئة وذهابا بخطوات رشيقة... وكأنه يرقص على موسيقى الرومبا توقعها فرقة من الزنوج .

وكانت الساعة التاسعة مساء ، ومع ذلك يخيل إليك أنك فى رائعة النهار.

كانت الأنوار الكهربائية تسطع فى كل مكان من أعلى ومن أسفل ، ومن اليمين ومن الشمال ، وكانت الإعلانات الكهربائية الملونة تلوينا مدهشا ترسل أنوارها البراقة فتحول الظلام إلى نور وهاج .

حتى السماء كانت مزدانة بالمناطيد والطيارات الملونة ، وهى مضاءة بالكهرباء وتبعث نورا ساطعا يحوى إعلانا عن إطارات للسيارات ، أو حزام بارير ، أو عن طبيب أمريكانى يخلع الضرس بألم بريال ، وبدون ألم باثنين ريال !

وتبارى بعض المعلنين فى إعلاناتهم فحولوا الأرض إلى إعلانات كهربائية بدلا من الأسفلت والكادام .

وكان صاحبنا يطلق على باريس اسم مدينة النور ولكنه لم يتردد بعد أن رأى نيويورك فى أن يجرد باريس من هذا الاسم ويطلق عليها مدينة القناديل... أو على الأكثر مدينة الشموع .

ودفعه صديقه إلى باب تياترو «البيرلك» ودخل بحسن نية وبسلامة طوية .. على أمل أن يشهد رواية فنية أو قطعة تمثيلية ..

ولكنه رأى على المسرح سيدات ، يقفن فى كامل الحشمة والوقار ثم يبدأن فى خلع ملابسهن قطعة وراء قطعة ... وكلما صفق الجمهور خلعت الفتاة برقع الحياء قليلا... قليلا.. حتى تصبح كما ولدتها أمها ثم تبدأ فى

ارتداء مـلابسـها واحدة.. إثر واحـدة والجمهور يظهر علامـات الامتعاض والاستنكـار ويصيح بما معناه فى لغـة أولاد البلـد (تياتـرو أونطـة هاتـو فلوسنا) بينما يصيح غيرهم (مراوح .. مراوح). والواقع أن المشاهدين بعد رؤية إجراءات الخلع واللبس يحتاجون إلى تغيير الهواء .

ومثل هذه المسـارح لا يتردد عليها أهل نيـويورك أنفسهم بل إنها تفتح أبوابها للأجانب المغفلين .

وأعضاء الطبقة الراقية لا يذهبون إلى هذه المسارح لا عن ورع أو تقوى بل لأن الصحف فى نيويورك طويلة اللسان حتى ليصبح الفرق بين صحف مصر وبينها كالفرق بين مجلة نور الإسلام، وبين مجلة السيف والمسامير.

وانتظـر ساعتين ثم صعـد إلى الغرفـة نمـرة ٣٧ وطرق البـاب فإذا بها «مابتردش».

وأخيرا وبعد طـرق شديد انفتح الباب عن امـرأة عجوز تملك على الأقل ٧٥٪ من القبح الخام فى العـالم ففى وجههـا تضـاريـس ومـرتفعـات ومنخفضـات مثل الكـرة الأرضيـة، وفى عينيهـا شرار كمـدفع الهاون ، وفى شفتيها لعنات وسباب فى سنسفيل جدود الزميل المحب الولهان .

وأخيراً ظهر أن هذه ليست غـرفة عاملة التليفون الحسنـاء.. وأن عاملة التليفون أعطت الزميل بحكم العادة «نمرة غلط» .

أكبر مسرح فى العالم :

وفى ليالى رمضان زاره صديق أمريكـانى وسأله ماذا تفعل فى رمضان؟ فقال لـه إنه لما كـان صغيرا كان يحمل فانـوسا صغيرا ، ويـدور مع فتيان الحى يطرقون كل باب وهم ينشدون «وحـوى وحوى إيوحه » ويتساءلون عن «مكان بنت السلطان التى لابسة قفطان» .

وأعجب الأمريكى بالفكـرة وقال إنه ليس لديـه مانع من أن يسيرا حول البيت الأبيض فى واشنطـون وهما ينشدان «وحـوى وحـوى» ويسألان عن مكان بنت الرئيس روزفلت التى «لابسة فستان» !

وعرض على صديقـه أن يدخلا دار السينما ليشاهدا روايـة أدبية علمية اجتماعية خلقية تتحدث عن التقوى ومكارم الأخلاق.. ولكن صديقه رفض

ذلك وسحبه من يده ومضى به إلى راديو سيتى ميوزيكهول .

ويعد هـذا المسرح أكبر مسرح فى العالم . فيه ستة آلاف مقعـد.. وتصور أن المسرح الذى يظهـر فوقـه الممثلون أكبر حجما من أكبر صـالة سينما فى مصر ! وعلم صـاحبنا أن هذه السينما أنشئت فى سنة ١٩٣٢ ودخلهـا منذ ذلك التاريخ إلى اليوم ٦٢مليـون شخص ، دفعوا ٥٠مليون دولار فى شباك التذاكر !

وتـدفع حـوالى الـريال فتتفـرج على روايـة سينما .. ثم تختفى لـوحـة السينما ويظهـــر من تحت الأرض مسرح مستطيل جلس عليـــه مــــائة وخمسون عازفـا يعزفون موسيقى كلاسيكية من النـوع الذى لا تفهم منه شيئا... ثم بعد هذا يختفـى المسرح ويظهر مسرح دائر تنعكس عليه الأنوار الجذابة وهو يرتفع رويدا رويدا إلى أن يبدو للعيان .

وفـوق المسرح مـائة وثمانون فتـاة ، كل فتـاة منهن فى جمال جـوارى «الحواديت» يـرقصن فى شكل واحـد، ونظـام واحد ، وحجم واحـد فلم يـر مثلما رأى فى صالات مصر ، فتاة كـالسنافور بجانب فتاة لا تـزيد طولا على يد الهون ، ولم ير فتاة فى حجم الفيل وعلى بعـد منها فتاة لا تزيد على حجم الكرت بوستال .

وكانت الراقصـات جميعهن يحملن فى أيديهن مناديل حمراء يحطن بها خصورهن العارية وهن يرقصن رقصة الرومبا على نغمات الجازباند وهو يوقع أنشـودة وطنية لأهل كوبـا عنوانها «اضحك وزغزغنى» وقـد ضحكا بالفعل ولكنهما لم يستطيعا زغزغة فتاة واحدة من المائة والثمانين فتاة .

وترك صاحبنا صالة المسرح ليشهـد فخامة هذه الدار التى ضربت عدة أرقام قياسية ، فقد عرض فيها مثلا فيلم Random Harvest لمدة ١١أسبوعا ، فشاهـد الفيلم ١,٥٤٨,٠٨٢ شخص، وهذا أكبر عدد شاهـد فيلما واحدا فى دار واحدة !

وستار المسرح هى أكبر ستار فى العالم ، فهى تـزن ثلاثة أطنان ويمكن أن يتخذ الستار مائة شكل ! والمسرح يتكون مـن ثلاثة مصاعد ، فيمكن أن يـرتفع المسرح الأول ، ويحل مكـانه المسرح الثـانى دون حـاجـة إلى تغيير

المناظـر، وتستلزم إضاءة المسرح ٦٠٠ مليون فـولت فى العام وهو مـا يلزم لإضاءة مدينة كبيرة فى مصر !

ودخل صاحبنـا وراء الكواليس ليشهد عجبا ! رأى كأنـه فى فندق كبير ، ودخل صالة كبيرة فوجد فيهـا ١٦ فتاة نائمة ! وظهر أن إدارة المسرح أعدت هذه الغرفة لتنام فيها الراقصات أو يسترحن بين الفصول ! بل إن الراقصة يمكن أن تمضى الليل فى فندق المسرح إذا كـانت تخشى أن تخرج وحدها فى الظلام . وشـاهد صـاحبنا مطعما فخما للراقصـات ومكتبة ، وعيـادة فيها ممرضة لإسعـاف الراقصة التى تصاب أثناء الرقص ، وفيهـا صالة كبيرة لأداء الألعاب الرياضية .

ومد صـاحبنا رأسه فى غـرفة ملابس الراقصـات فوجد نفسـه كأنه فى محل تجارى كبير ، مئـات الأثـــواب ، وعشرات الحائكـات يشتغلن على الماكينات، وراقصات يجربن ثوبا ، وخائطات يشبكن الدبابيس فى الأثواب ، ووجد صاحبنا دوسيهات ضخمة لكل زى ولكل رواية وقالت له مس هاتى زوجة مدير قسم الملابس أنها تعد حوالى ٤٢٥ ثوبا لكل رواية .

ويشترط فى الراقصـة أن لا ينقص طولها عن ٥ أقـدام وثلاث بـوصات ، وأن لا يزيد على ٥ أقدام وسبع بوصـات ! وتشتغل كل راقصة ثلاثة أسابيع كل شهر ، أمـا الأسبوع الرابع فيكون إجـازة ! وفرقة الراقصـات بالمسرح يسمونها Rochettes وهى فرقة عالميـة ، وتصور أنها فى سنة ١٩٣٧ قطعت ستـة آلاف ميل لتسـافـر من نيـويـورك إلى بـاريس لترقص ١٦ دقيقـة فى معرض باريس ، وتنال جائزة الجمهورية الكبرى ثم تعود فى اليوم التالى إلى نيويورك !

وأتيح لصـاحبنا أن يـدخل غرفة التواليت التى تستعد فيهـا الراقصات ، فلاحظ أن فى الغرفة راديو يـذيع الرواية التى تمثل على المسرح حتى تعرف كل راقصـة متى يحين دورهـا ، ولاحظ أن الراقصـات يضعن فى عيـونهن كحلا ثقيلا ، وعلى وجناتهن أحمر فاقع ، حتى تبدو الواحدة منهن عن قرب كبهلوانـة ، أو كبعض بنات الـذوات فى مصر اللاتى يكثـرن من المساحيق ، ولما أبـدى دهشته قيل لـه إن مسـاحة المسرح كبيرة جـدا ، ولهذا تضع كل

واحدة تواليت ضخما حتى يستطيع أن يراه الجالس فى الصف الأخير !

وصعد صاحبنا إلى غرفة مدير الحركة على المسرح فوجده جالسا فى غرفة من الزجاج الشفاف يرى المسرح، ولكن لا يستطيع الجالسون فى الصالة أن يروه ، ويصدر ملاحظاته بالتليفون إلى مساعده الجالس وراء الكواليس ، ويستطيع صاحبنا أن يقول إنه ليس فى العالم كله مسارح معدة إعدادا فنيا كما رأى... فقد وجد أمام مدير الحركة أزرارا كهربائية يدوس عليها فتتغير المناظر على المسرح وكأنها بفعل ساحر ! يدوس زرا فيظهر على المسرح حمام للسباحة ، ويدوس زرا ثانيا فتظهر حلقة مصارعة... ويدوس زرا ثالثا فيبدو على المسرح اسطبل للحيوانات!

وعلم صاحبنا أن عدد موظفى المسرح ٥٨٣ موظفا بينهم أكثر من ثلثمائة يتقاضون مرتبات كالتى يتقاضاها الوزراء فى مصر !

وخرج صاحبنا من المسرح ليذهب إلى الصالون الضخم الذى أعد لاستراحة الزائرين، فإذا هو أكبر صالون فى الدنيا ، لا تستطيع أن تطوف به دون أن تلهث من كثرة المشى! والكراسى الضخمة، والمقاعد الفخمة ، والمرايا الكبيرة ، والسجاد الذى تغوص فيه الأقدام ، والسقوف المزركشة، كل هذا يوهم الزائر بأنه فى قصر ملكى لا فى دار سينما !

وخرج صاحبنا تتنازعه عوامل العجب والدهشة... وتمنى لو يشهد فى مصر مسرحا كهذا.. ولكنه تذكر أن أجر الدخول فيه ريال ، وأن فى مصر ملايين لا يكسبون فى الشهر أكثر من ريال !

وهنا تذكر صاحبنا أنه فى يوم ١٥ رمضان ، وأنها ليلة القدر فرفع يده إلى السماء وقال يارب !

وهنا أضىء نور قوى ضخم ، كاد شعاعه أن يعميه ، فقال : هذا هو نور السماء !

ولكزه صاحبه وقال له :

اسكت ! هذا هو نور راديو سيتى ميوزيكهول !

البروتوكول الملعون :

قالت جريدة نيويورك تيمس إن عدد الحفلات والسهرات التى أقيمت فى أمريكا فى رأس سنة ١٩٣٦ عشرة ملايين حفلة .

ولكن صاحبنا لم يدع تلك الليلة إلا لحضور حفلة واحدة .

وارتدى قميص الاعدام ـ المعروف بقميص الاسموكن ـ ووضع حول عنقه حبل المشنقة ـ الياقة المنشاة البيضاء ـ ثم ارتدى سترة الاسموكن الملعونة . وذهب إلى منزل الصديق الذى دعاه لتناول العشاء وأخذ بذراعه، قبل حضور المدعوين ، للتفرج على حجرة الطعام ومعرفة مكانه على المائدة وكانت أمكنة المدعوين مؤشرا عليها ببطاقات تحمل أسماءهم .

ورأى مكانه بين بطاقتين إحداهما تحمل اسم السيدة فلانة ، والثانية تحمل اسم السيدة علانة ، وكلتا السيدتين لا يعرفهما ولكنه يعرف أنه مضطهد ومظلوم وأنه ما دعى إلى مأدبة فى أمريكا إلا وأجلسوه بجانب كبرى المدعوات سنا فإذا احتج قيل له إن جلوسه فى هذا المكان من دلائل التعظيم وعلامات الاكبار.. بينما هو والشهادة لله ، يفضل أن يجلس بجانب فتاة صغيرة ولو على سبيل الاحتقار !

ومد عنقه يقرأ بطاقات الجيران فإذا صاحباتها كلهن يحملن لقب «مسز» و«مدام» ، وليس هناك سوى واحدة لا يعرفها ذكرت البطاقة قبل اسمها أنها «مس» أو «مدموازيل» .

وسرعان ما امتلأ المكان بالمدعوين والمدعوات ، ودار الساقى يحمل كئوس الكوكتيل .

وكان يتطلع كل نصف دقيقة إلى عقارب الساعة لأنه كان يريد أن يعرف من هى الحسناء التى سوف يجلس هو إلى يسارها .

هل هى تلك الشقراء الفاتنة ، ذات الأهداب الطويلة التى تحيط بعينيها كما تحيط الأسلاك الشائكة بمدينة محصنة ، أم تلك السمراء التى فى سواد عينيها الحالمتين شىء من سحر الشرق وأشياء كثيرة من الأسرار .

أم هى تلك الفتاة الجذابة التى تبدو برأسها الكبير وجسمها الدقيق وعينيها الواسعتين التى تحصد بهما قلوب الشبان كأنهما فوهتا مدفع من مدافع الهاون .

وأخيرا فتح باب قاعة المائدة فأسرع ووقف ينتظر فتاة الأحلام ، وإذا به يجد سيدة فى السبعين من العمر تجلس إلى يمينه .. فظن أن السيدة قد

أخطأت مكـانها ، وأن ضعف بصرها منعهـا من معرفـة مقعدهـا الصـحيح فتبرع هو وقال لها إن هذا المكان لمس فلان .

ابتسمت السيدة ابتسـامة فظيعة وقالت إنها هى بعينهـا ولحمها ودمها مس فلان !!

وعنـدئذ أحس صاحبنـا أنه فى حـاجة لأن يغمى عليـه وينتقل إلى رحمة الله، ولكنـه فى الوقت نفسه آمن بـأن الرجال الأمـريكان يتمتعون بـالذوق الجميل ولولا ذلـك لما بقيت هذه المرأة من غير زواج !. كانـت هذه المرأة مثل إبليس ، مع فـرق واحـد وهـو أن إبليس يحرض على الشر والمعصيـة بينما شكلها يحرض على التقوى ومكارم الأخلاق .

ولما علمت السيدة أنه مصرى سألته عن قـدماء المصريين ، فاستحيا أن يقول لها فى صراحة أنها الأولى بالإجابة عن ناس عاصرتهم .

وقالت له السيدة إنها تريـد أن تزور مصر فأكد لها أن مصر بلاد خطرة وأن السبـاع والضباع تجول فى شـوارع القاهـرة وأن التماسيح تجلس على تراس فندق الكونتيننتال ، وأن المصريين يأكلون لحوم الآدميين .

فسألته العجوز هل هناك خطر ـ إذا زارت مصر ـ أن يأكلها المصريون . فأكد لها أن الخطر على الآدميين فقط ؟

ولم تفهم السيدة النكتة لأن ذكاءها انطفأ على مر العصـور .

ومنذ ذلك اليوم كان يـرفض أن يجلس إلى مائدة بجوار آنسة أو «مس» أو «مدموازيل» .

ليلة الوداع فى نيويورك :

وسار فى شـوارع برودواى يحملق فى نوافـذ المحلات التجاريـة الأنيقة وينظـر إلى السيقـان العاريـة التى لا تغطيهـا الملايـات اللف ولا جـوارب الشبيكة كما كان يرى فى الموسكى وسـوق الخيط .. كان يحلق فى الأجسام الرشيقة التى خلقها الله ، ولم يخلقها الكورسيه والسنانتور ، ولم تتفشكل وتتفرطح وتخرج على قواعد النظام ولوائح المرور ، أو لم تنكمش وتتضاءل حتى تصبح كيد الهون أو مرضعة قـلاوون ، وإن كان بعض كتب التاريخ تقول إن قلاوون لم تكن له مرضعة وانه كان يتغذى باللبن النسلة .

وكانت تسير معه صاحبته .

وبعض الصحف الصفراء فى أمـريكا ومنها صحف يوميـة ـ لا تتردد فى أن تذكر اسم مسز فلانة كانت فى التياترو الفلانى حيث كانت تمثل الرواية الخليعـة كذا .. وانها كـانت مسرورة من الموقف الخليع الفـلانى ومعجبـة بالموقف الخليع العلانى .

وفى شارع برودواى رأى صاحبنا جـوزفين بيكر ، وكانت تسير وحدها وقد لفت عنقها (بإيشارب) من الحرير الرخيص .

وكانت تعرفه إذ قابلها فى مصر وفى باريس .

ولكن كانت يدهـا خالية للمرة الأولى من الماسـات البراقة ، واختفى عقد اللؤلـؤ الذى كانت تضعه حـول عنقها . كانت وقتئذ تشتغل راقصـة درجة ثالثـة فى أحد مسارح نيويـورك .. وهى التى كان اسمها يـدوى كالطبل فى شوارع باريس .

ودعـاها لتشرب كأسـا من النبيـذ . ولكنها اعتـذرت لأن جميع الأنديـة الليليـة تـرفض دخـولها كزبـونـة .. لأنها زنجيـة .. والـزنوج فى أمـريكـا ممنوعون من الدخول فى الأماكن التى يغشاها البيض .

وسألها : متى تعود إلى باريس ؟

وجالـت فى عينيها الدمـوع وقالـت إنها تود أن تعود إلى بـاريس فى أول باخـرة ولكن مسارح بـاريس أغلقت أبـوابها دونها ، لقد مل البـاريسيون رؤيتها وهى تبدو فى جسمها العارى البراق ..

ثم لمعت عيناها السوداوان ببريق الأمـل وقالت : ولكن سوف أعود حتما إلى باريس لأسترد مجدى .

ولاحظ صاحبنا أن الناس ينظـرون إليهما باستغراب ودهشة ، إذ كيف يتنازل شاب أبيض إلى محادثة فتاة زنجية فى الطريق العام .

قد نسوا أن هـذه الفتاة الزنجية كانت فى وقت من الأوقـات ملكة باريس وكان شباب باريس يخرون تحت قدميها ساجدين .

وترك جـوزفين بيكر وسـار ليتم جولته حـول برودواى ، فـوجد فى كل خطـوة نـاديـاً ليليـاً ، أو كبـاريهاً ، أو مسرحـاً ، أو سينما ، أو مـرقصـاً

أو الخمسة معا، وهذه المحال تعمل باستمرار بالليل والنهار، وكانت فى نيويورك تقليعة جديدة هى حفلات نصف الليل، وهى تبدأ فى الساعة الثانية صباحا وتنتهى فى الساعة السابعة صباحا.

وفى تلك الليلة شاهد السينما المجسمة، وهذا اختراع سينمائى جديد فأنت ترى بطل إحدى الروايات وهو يضرب بوكسا فتشعر وكأن البوكس موجه إلى بطنك أو يلقى (طشتا) به ماء فتظن أن الماء سوف (يطرطش) عليك .

ويقتضى عرض السينما أن يضع النظارة على عيونهم نظارات نصفها أزرق اللون ونصفها أحمر اللون ليتم خداع النظر المطلوب ..

وانتهى به المطاف إلى النادى الليلى الذى افتتحه جاك دمبسى الملاكم العالمى المشهور . وهو ناد ارستقراطى ، أقيم فيه (بار) على هيئة حلقة الملاكمة، ووضع الجرسونات فى أيديهم قفازات تشبه قفازات الملاكمة .

ورأى فى النادى إدى كانتور الممثل الهزلى المعروف ومعه كريمته الصغرى وهى فتاة شقراء يقولون إن أحد شبان نيويورك الأغنياء يعبدها عبادة البخيل للمال .

ودعاه إدى كانتور إلى مائدته وطلب كأسين من الكوكتيل .

وما كاد يجلس ويتمتع بمشاهدة ابنة إدى كانتور حتى قام زميله البارد يدعو الفتاة للرقص وتركه وإدى كانتور يتحدثان عن عدد سكان مصر ، وآثار الأقصر وأسوان .

وكان حقا «مقلبا» تتحدث به الركبان .

ومع أن ادى كانتور شخصية ظريفة فى عالم السينما ، فإنه ثرثار كبير فقد سأله عن الصادرات والواردات ، وعن الجغرافيا والجيولوجيا، وعلم النبات ، وعن تاريخ قدماء المصريين ابتداء من الملك مينا ولم يترك سؤالا سخيفا إلا وجهه إلى شخصه الضعيف .. الضعيف فى جميع العلوم والفنون .

هذا بينما زميله والشقراء الحسناء يتحدثان عن الشعر والخيال وليالى القمر تحت سفح الأهرام .

وناس لهم بخت وناس لهم .. تاريخ قدماء المصريين .

وكانت الساعـة الرابعة صباحا حينما بدأ وزميلـه يتحركان فى طريقهما إلى الفندق لينـاما.. ولكن زميله كان قـد شرب لدرجة أن الخمـر هيأت له أن صاحبنا هو ابنة ادى كانتور الحسناء .

ووجـد زميله فجأة يحدثـه عن الشعر والحب والخيـال . وعبثا حـاول إقناعه بأنه صاحبه العزيز لا ابنة ادى كانتور الشقراء .

ولكن زميلـه صمم ورأسه وألف سيف أنـه هـو - والعيـاذ بالله ـــ ست الحسن والجمال .

وأنقذ الموقف أنهما قـابلا مصبـاحا كهـربائيا رشيقـا فقال لـزميله ان المصباح هو ادى كانتور .. وأن الشعاع المنبعث من المصباح هو نور عينيها.

واقتنع الزميل وراح يعانق المصباح ويطبع على خدوده القبلات .

سهرة مفلس فى نادى أصحاب الملايين :

وذات ليلة ارتدى بـدلة الفراك ، وسار مع صديقـه يتسكعان فى شوارع نيويورك فى طريقهما إلى نادى أصحاب الملايين .

وللمرة العاشرة بعد المائة وضع صاحبنـا يده فى جيبه ، وأخرج محفظة نقوده، وأخذ يحصى ما فيها فوجـد ستين قرشا ... أو ثلاثة دولارات بعملة الأمريكان .

وثلاثة ريالات فى ألكيت كات أو صالة بديعة بالقاهرة ، كانت تمكنه قبل الحرب من الانجعاص فى أحـد كراسى الصـالة وبجـواره نصف دستة من الراقصـات . أما فى نيويـورك فإن ثلاثـة ريالات لا تكفى أجرة الـدخول فى نادى أصحاب الملايين .

فتذكرة الدخول فى نادى أصحاب الملايين بأربعة جنيهات.. ومن حسن الحظ أن زميله كان معه تذكرتان مجانا .

وأدخل زميله «عبدالمعين» يده فى جيبه ثـم أخرجها طبعا بيضاء من غير سـوء. وزميله هـذه المرة مفلس وهو يصر على أن الغنى الحقيقى هـو غنى النفس فإذا كانت هذه الحكمة صحيحة فإن الزميل يعتبر بحق مليونيرا.

ودخلا نادى قوس قـزح ، وانحنى عدد من الخدم حين دخولهما، وأبدى

كل واحد منهم استعداده لمساعدتهما فى خلع المعطف والكوفية والقبعة.

ولكن الزميل زغد صاحبنا ناصحا إياه بالاحتفاظ بما يحمله بحجة البرد الشديد لأن أجرة حفظ كل قطعة ريال. يعنى أن الثلاثة الريالات لا تكفى لحفظ معطف وكوفية وقبعة واحد منهما، فضلا عن أن كل هذه الأشياء مجتمعة لا تساوى ثلاثة ريالات.

وأراد زميله أن يثبت أنهما يشكوان البرد فعطس عطسة ظنها صاحبنا رياح الخماسين، وقد استطاع بها وحدها أن يشقا طريقهما وسط صف الخدم الذين تنحوا فى ذعر واشمئزاز خوفا من تعرضهم لميكروب الزكام.

ودخلا صالة كبرى فيها المقاعد والموائد على شكل جواد فى لون فضى جميل، وكانت النساء فى ثياب السهرة البراقة، والرجال فى ثوب الفراك الفتان.

وكانت الموسيقى تعزف لحنا باسما، والراقصات يهتززن على نغماتها هزات مثيرة يمكن الإحاطة بوصفها الدقيق بالرجوع إلى نشرات الشيخ أبى العيون.

وجلسا إلى إحدى الموائد فإذا على يمينهما المستر فاندرليت المليونير الذى كانت تقدر ثروته بستين مليون ريال، وكانت إلى جانبه حسناء، تشبه فتاة اسكندرانية يعرفها .. ولكنها ليست هى على كل حال.

وكان يجلس أمامهما كلارك جيبل وبولييت جودار زوجة شارلى شابلن فى ذلك الحين وليلى بونز مطربة الأوبرا المشهورة.. وأمامهم زجاجة من الشمبانيا الشقراء ولعلهم كانوا يشربون فى صحة شارلى!

وكان يجلس وراء صاحبنا، والت ديزنى مبتكر ميكى ماوس مع نصف دستة من السيدات، وعلى يساره كان يجلس أحد أحفاد روكفلر ومعه عروسه التى تزوجها منذ شهرين.

ولكن ذلك لم يمنع على أى حال حفيد المليونير من أن يغمز بالعين والحاجب لإحدى راقصات الكباريه.

وكانت رائحة الملايين تنبعث من كل مكان، وكانت الماسات الكبيرة فى

صدور السيدات ينعكس نورها على وجوه رجال الأوركسترا الغلابة لساكين .

وبدأت الموسيقى تعزف دور The music goes round and round أى الموسيقى تدور وتدور .

وأخذ المتفرجون والمتفرجات يتمايلون على نغماتها وهم يرددون هووه.. هوووو ... هو

وقام كلارك جيبل يخاصر بوليت جودار وأخرجت العجائز المتصابيات نظاراتهن وأخذن يبحلقن فى كلارك الجميل ..

وما كانت أشد دهشة صاحبنا لما رأى زميله عبدالمعين يقوم من مقعده ويتقدم فيدعو ليلى بونز مطربة الأوبرا المشهورة إلى الرقص... ثم ازدادت دهشته لما رأى ليلى بونز تلبى النداء .

وكاد يغمى عليه عندما انتهى الرقص وصحب زميله الفتاة ودعاها لجلوس معه .

وبعد أن تشرف كل منهما بمعرفة الآخر حضر الجرسون يسأل الآنسة ماذا تريد ؟

واستطاع الزميل أن ينقذ الموقف و«الموقف» هنا يعنى جلده .. ويرفض أن يطلب شيئا من الخمر بحجة أنه الرئيس الأعلى لجمعية منع المسكرات فى مصر .

وطلبت ليلى بونز من صاحبنا أن يحدثها عن مصر والصحراء والعربان.

ثم سألته : ما طول نهر النيل ؟

فأجاب بعد أن بلع ريقه : ٦٢٠٠ألف ذراع و ٥٠٠ قصبة .

قالت : وما هو الذراع ؟

قال : إنه مقياس فرعونى قديم .

وبذلك استطاع صاحبنا أن ينقذ الموقف مرة أخرى ويثبت لها أن فى السويداء علماء .. وعلم الله أنه لم يكن يعرف كم طول كوبرى بولاق فما بالك بنهر النيل !؟

وصافح كلارك جيبل وذكر له أن فتياتنا فى مصر مغرمات به إلى درجة

عجيبة وبدلا من أن يرى كلارك ينتفخ من هذا المديح إذا بالدم يصعد إلى وجهه كفتاة عذراء .

وقال إنه يود زيارة مصر ولكن إجازته التى تسمح بها الشركة لا تتجاوز شهرين كل عام ، وهذا لا يكفى لزيارة مصر .

وهنا قالت بولييت جودار إنها سمعت كثيرا من شارلى ـ كما كانت تسميه فى أثناء الحديث ـ عن مصر وعن الأهرام، وأنها تود أن تحضر إلى مصر مع زوجها إذا سمح لهما العمل بذلك .

وفى أثناء الحديث قال كلارك جيبل إنه منذ أن جاءه خطاب من فتاة مصرية ومعه صورة لها وتقول إن والدها وزير سابق وأنها غنية ولكنها مستعدة أن تحضر إلى أمريكا لتعمل خادمة عنده ... لأنها تعبده .

وقال كلارك إن صورة الفتاة جميلة جدا وأنها تشبه جوان كرافورد ممثلة السينما المعروفة . ترى من هى ؟!

وعزفت الموسيقى وقام كلارك جيبل يرقص مع ليلى بونز وقام الزميل المفلس يرقص مع بولييت جودار .

أما صاحبنا فقد جلس فى مكانه يتحسر على جهله بالرقص .

وهنا حضر الجرسون يسأله هل حساب مستر كلارك سوف يدفعه هو أم سوف يدفعه كلارك جيبل .

وادعى صاحبنا أنه لا يعرف الانجليزية ، وهز رأسه إلى اليمين والشمال وانصرف الجرسون للبحث عن قاموس ... وبدأ مرة أخرى يتحسر على جهله بالرقص ..!

ولاحظ فتى رشيقا يدخل قاعة الرقص متأبطا ذراع حسناء مثل البدر وكان الخدم يبالغون فى إكرامه أكثر مما كانوا يبالغون فى إكرام حفيد روكفلر.. أو كلارك جيبل .

ولم ير فى حياته صدرا مغطى بالأحجار الكريمة كصدر الفتاة التى كانت تصحب ذلك الشاب الأنيق الرشيق .

ولما جاءه زميله مع بولييت جودار سأله عن اسم ذلك المليونير...

فتبسم زميله ، قائلاً : إنه رئيس عصابة لصوص .

والفتاة التى معه ابنة أحد أصحاب الملايين .

وضحكت ليلى بونز وقالت : أصبحت مـوضة بين فتيات الأرستقراط فى نيويورك أن يغرمن برؤساء عصابات اللصوص .

والغـريب أن ذلك الفتى كان يسيل رقـة وعذوبـة حتى إنك لا يسعك إلا الاعتراف بأنه جنتلمان .

ولكن كـان فى صوته شىء مـن الحزم أو القسوة .. القسوة التـى تحبها النساء الآن .

وقدم هـذا الفتى ٣٨ مرة إلى المحاكمة ، ولكن كـانت المحاكم تحكم دائما ببراءته.. والمعروف عنه أنه لم يقتل بيده قط .

فهو ملك اللصوص نعم . ولكنه ليس قاتلا ..

هذا هو «جـاك» الذى كان يحتل عرش اللصـوص .. ولكنه مع ذلك كان يعتبر فى الوقت نفسه من رجال الهيئة الاجتماعية فى نيويورك .

سهرة على الطريقة الأمريكانية :

وذات ليلة دعى إلى سهرة فى دار صديق وكـانت حفلة مدهشة كحفلات هارون الرشيد فى بغـداد ، وقام صديقه خير قيام بوظيفـة هارون الرشيد ، وقام صاحبنا بدور الوزير جعفر حينا ومسرور السياف حينا آخر .

وكانت النســاء فى أثواب السهـرة البراقة ، وكـانت الأضواء تنعكس على تلك الأثواب فتكسب أثوابهن الرشيقة جمالا على جمال .

وكان الـرجال فى أثواب السموكن الأنيقـة وكان عددهم قليـلا لحكمة إن كانت غابت عن الوزير جعفر فإنها لم تغب عن فطنة هارون الرشيد .

وكانت الموسيقى التى يذيعها الراديو موسيقى حلوة وليست كموسيقى محطة الإذاعة فى مصر التـى كانت سببا مباشرا فى زيـادة الإقبال على أطباء الأذن .

وكان النساء والرجال يتخاصرون على أنغام الراديو وهو يغنى أنشودة مدهشة هى «قلبى لك.. حبى لك ... فماذا تريد ؟ » .

وكانت كل حجـرة من حجرات البيت مضـاءة بطريقة بـديعة لا ينبعث فيهـا النـور من سقف الغـرفـة بل من الجوانب الأرضيـة فيهـا... وكـانت

الأضواء مدهشة حقـا أكسبت النساء فتنة وإغراء، وطاشت بـالبقية الباقية من عقول الرجال .

وكان الـويسكى يلعب بالرؤوس ، والشمبـانيا تدغدغ الأفئـدة . وكانت الخمور متعددة الأصناف والأنواع... وصـاحبنا لا يعرف عن أنواع الخمور شيئـا سوى أنها رجس من عمل الشيطـان . ويظهر أن الشيطـان يعمل فى أمريكـا ليل نهار لأن أبناء العم سام يتنـاولون من الخمر أكثـر مما نشرب نحن من ماء النيل .

وكانت تلك الحفلـة لتكريم سارة تشرشل ابنـة مستر ونستون تشرشل الوزيـر الانجليزى الخطير . وكـانت تريـد أن تشتغل راقصة فى بـلاد العم سام .

وليس السبب فى هـذا أن مستر تشرشل أخنى عليه الـدهر بكلكلــه ، لا.. ولكن كل ما هناك أن ابنة الوزير مغرمة بالفنون .. والفنون جنون .

وقدمــه إليها صديقه، وجلســا يشهدان الموسيقى الصاخبة الضــاحكة وراحت تشرب سيجارة مصرية قدمها إليها ، وتنفخ دخانها فى الهواء .

وهى ليست جميلة إلى حـد الإدهاش وليس أنفهـا كالنبقة ، ولا عينـاها وسع الفنجان ولا حواجبها سيـف سليمان، ولا رقبتها رقبة غزلان ، وليس صـدرها بـلاط حمام، ولكنهـا ذات شخصية ســاحرة وابتســامـة جذابـة وصوت فيه مزيج من الخجل والإغراء .

سـألها ماذا يرى والدها فى رغبتها فى احتراف الرقص والتمثيل ؟

وضحكت وقالت : لقـد قابل والـدى رغبتى بمعارضة شـديدة ، ولكنى أعتقـد أنـه سوف يقلع عـن معارضتـه عنـدمـا أنـال النجاح الـذى أريـد، ولا يهمنى رضاء العـالم أو سخطه ما دمـت أعتقد أننى أردت تحقيق حلم جميل .

ثم ذكـرت له أنها ستلتحق بمـدرسة فى نيـويورك لتتعلم الـرقص وفن الدراما وأنها تأمل أن تصبح نجمة سينمائية لامعة .

وقالت إن لـديها عشرات العروض لتشتغل بالسينما ولكنها لا تـريد أن تظهر على الشــاشة البيضاء قبل أن تتأكد أنها نجمـة حقا ، وأن ليس سبب

ظهورها فى الفيلم أنها ابنة تشرشل الوزير الخطير .

وامتــازت الحفلـة بأن كـان فيها كثير من النجـوم والكـواكب فى عـالم المسرح والـــرقص والسينما ، وقـــال أحـدهم : إن ثمانـى صحف من أكبر الصحف الأمريكيـة أعدت مسابقـة لاختيار أجمل ثمانية شبان فى أمـريكا، وقـالت الصحف : إن الشبـان الفـائزين سـوف يسـافـرون على حسـاب الصحف إلى هـوليـوود ويقضـون سهـرة مع مـاى وست ممثلـة السينما المشهورة بالجاذبية والإغراء .

وظهرت المسابقة فإذا بأول الناجحين شاب مصرى يقول انه من سكان القاهرة واسمه «باسيلى» .

وسافر باسيلى مع ملوك الجمال السبعـة إلى هوليوود. وكان مفهوما أن ماى وســت سوف تقابل كـل واحد منهم ، ولكن مـاى كانت متعبـة تشكو الانفلونزا فاكتفت بمقابلة المصرى وحده .

وقد أدلى السبعة بأحاديث عن ماى وست وجمالها الفتان ولكن صديقنا ملك الجمال المصرى أراد أن يثبت للصحف الأمـريكية أنه جنتلمان فـرفض أن يدلى للصحف بأى حديث أو تصريح !

وحاول صاحبنا أن يتصل بملك الجمال المذكـور أعلاه وأن يهنئه برفع رأس مصر عاليـا حتى أصبحت رقبة المصريين التـى كانت كـالسمسمة فى طول ناطحات السحاب . ولكن بـاسيلى هذا بقى لمدة أسبوع غير موجود فى بيتـه لا آناء الليـل ولا أطراف النهـار ، فقـد انهالت عليـه بنات المدينـة كما انهالت الظباء على خراش .

ليلة سوداء فى نيويورك :

ومشكلة السهرات فى أمريكا مشكلة عويصة تماما ، مثل مشكلة العمال العاطلين ، ومشكلة العمال العاملين !. فأنـت فى أمريكا لا تستطيع أن تسهر «بطولك» بل يجب أن تـذهب إلى المرقص أو الكباريـه أو السينما وقد تعلقت بـذراعك حـواء . أمـا إذا ذهبت وحيـدا فـإن النـاس تنظـر إليك بـدهشـة واستغـراب وتـزغـر لك زغـرة معنـاهـا «اخصيـه يـا قليل الحيـا يـا اللى ما تختشيش »!

ولكن بنـات حواء فى أمـريكا يختلفن عن أمهن حـواء رحمها اللـه ، فإن حواء لم تكلف سيدنا آدم إلا تفـاحة واحدة ، وقد كانا ـــ صاحبنا وزميله ـ مستعدين لأن يكـونا أكثر كـرما من سيـدنا آدم فيشتريا لبنـات العم سام قفصا من التفـاح ، غير أن بنات أمريكا عيـونهن فارغة ، وفوق هـذا يدعين أنهن لا يحببن الفاكهة ابتداء من المانجو لغاية الجميز.

ومن هنا كان يضطر صاحبنا كما أسلفنا أن يدعو الفتاة لتناول العشاء فى «رستوران» لتشرب الويسكى والكوكتيل ، بعد ذلك يصحبها إلى المرقص أو إلى السينما، ثم مساء الخير.

وسهرة تافهة كهذه تتكلف فى محل متواضع، عشرة دولارات .

ولهذا يتبين للقارىء أنـه يخطىء كثيرا إذا صور لـه خياله أن صـاحبنا كان فى أمريكا يقضى كل لياليـه ساهرا ، راقصا ، يتنقل من ذراع شقراء إلى ذراع سمراء على نغمات الجازباند وهو يغنى «القمر فى ذراعى».

فإن كثيرا من الليـالى قضاهـا جالســا فى غرفتـه ، يستمع إلى الراديـو ، أو يقـرأ فى كتـاب .. وإذا حدث أن خـرج مع فتـاة فليست هى دائما «قمـر ليلة ١٤» ولا كوكبا .. ولا النجمة أم ديل !

ذلك لأن الفتـاة الأمريكيـة تخرج تقريبـا كل يـوم، وكثيرا ما رأى فتـاة وأعجبته فطلب منها مـوعدا فعلم أن مواعيدها مشغولة لمدة ثـلاثة أسابيع ، فيحجز يوما فى الأسبوع الرابع كما كـان يفعل عندما يحجز محلا فى الأوبرا أو على إحـدى السفن العابـرة فى المحيط ، وكلما كانت الفتـاة جميلة كـانت كثيرة النفقات. وصـدق المتنبى عندما قال مـا معناه : «وإن كانت الصبـايا حسانا أتعبت فى مرادها النواظر»

وصبايا أمريكا حسـان ..

ومع أن الفتـاة الأمـريكيـــة تشرب كثيرا إلا أنها لا تـدوخ ولا تتمـرغ فى الأرض بل هى تحفظ توازنها من الكأس الأولى إلى الكأس الأخيرة . هى أكثر بنات العالم لهوا ولكنهـا أقلهن تعرضا للسقوط. هى لعـوب تضحك وتلهو وتعبث، ولكنها إذا تـزوجت أخلصت لزوجهـا إخلاصـا لا يتصوره العقل ، وإذا شعـرت أنها لا تحب زوجهـا تطلقت منـه ولا تعيش معـه فى دنيـا من

الخداع والأكاذيب كما تفعـل كثيرات من الزوجات فى كثير فى البلـدان ، ومن هنـا تفسر ظاهـرة كثـرة حوادث الطـلاق ، ثم غـرابة الأسبـاب التى تطلب الزوجة من أجلها الطلاق .

انفصلت سيـدة عن زوجها لأنـه يكثر من تـدخين «البايب» وهى تكـره رائحـة التوبـاك . وقد يبـدو السبب غريبـا وتافهـا فى بادىء الأمـر ، ولكن القـاضى تمثّل هذه المرأة المسكينـة وهى فى نكـد دائم ، لأن زوجها يـدخن دائما، وهى لا تستطيع تقبيلـه أو الاقتراب منـه أو الجلوس معـه فى حجـرة واحدة ، فأصدر حكمه بالطلاق !

وقد تمكن صاحبنا فى شهر رمضان أن يتغلب على مشكلة دعوة الفتيات لتناول العشـاء بحجة أننـا فى مصر لا نأكل فى شهر رمضـان على الإطلاق، ولما كان ميدان الغباوة يسع الناس جميعا بلا استثناء ... فإن الفتيات قبلن هذه الحجة على مضض ، وحينما انتهى شهـر رمضان غالطهن فى الحساب وأصر على أن شهر رمضان لم ينته بعد ، ولما قـالت فتاة ماهرة فى الحساب أن التقويم الجريجورى يقـول إن الشهر مـا بين الثلاثين يـوماً أو الـواحد والثلاثين ، أصر هو على أن شهر رمضـان شهر مبارك «مفترج» .. وأنه لهذا السبب يصل بأيامه إلى الأربعين .

وعندما انتهت الأربعـون يوما اقترح على زميله أن يـدّعى أن هناك شهرا آخر اسمـه رمضان الثانى أسـوة بربيع الأول وربيع الثـانى ! ولكن زميله رفض أن يضيف شهرا جـديدا إلى التقويم الهجرى لأنـه رجل محافظ يكره التجديد، وان كـان قد أعلن فى الوقت نفسه أنه سـوف يصوم شهرى رجب وشعبان ، ولما قـال له إن رجب وشعبان يأتيان قبل رمضـان لا بعده ، أصر على أنهما فى تلك السنـة يتلوان رمضـان ... لأن الدنيـا كانت وقتئـذ تمشى بالمقلوب !

ووصلا إلى فندق سان موريتس فإذا هو أشبه بسوق بابل الحمراء ، فى كل ركن من أركان قاعته جلست جماعة من الفتيات ، وقد صبغن شعورهن بلـون الذهب المزيـف الذى يفضحـه بـريق النحاس ، وقـد وضعن حـول أذرعتهن البضـة فـراء الثعلـب ورحن يتطلعن إلى الـداخلين والخارجين

بنظرات شرهة ليست فيها براءة الملائكة ولا طهارة العذارى الطيبات
وقيل له إن هـذا هو وكر الـرقيق الأبيض فى نيويورك ، ولكن الذ
ليسوا هم الأمـريكان، بل الأجانب الـذى يزورون نيويـورك، ويحاو
يكشفوا جمالها الفتان فيخطئوا الطريق .

غير أن هذه المناظر لم تستهو صاحبنا.. بل تركزت نظراتهما عل
التليفون. كانت آية من آيات الجمال، طـويلة القامة ، سمراء اللون ؤ
قـانية، بـديعة التقـاطيع ، ملفـوفة الجسم ، فى عينيهـا بريق النجـو
شفتيهـا لـون النبيـذ الأحمر المعتق ، وفى شعرهـا الأسـود المتماو
تنعكس عليهـا الأضـواء ، وكـانت تلعب بأصـابعهـا الـرشيقـة عل
التليفـون ، كما يلعب الفنـان على أوتـار العـود، وكـانت تبتسم ابتد
كإشراق الشمس فى القاهرة لا فى نيويـورك فإنها لا ترى فى نيويورك
الأعياد .

وكانت فى جلستهـا لوحـة زيتية رسمهـا فنان مـوهوب ، ولـونو
الحيـاة وراح زميلـه يتكلـم فى التليفـون ، وطلب ويطلب أنـاسـا ي
ولا يعرفهم وبـدلا من أن يتحدث إلى الذين طلبهم حـوّل جميع المكا
عاملة التليفون الحسناء .

وسـألها زميله موعدا فقالت إنها «مشغولة ومش فاضية» .

وبعد إلحاح طويل قـالت له عاملة التليفـون : إنها تقيم فى الحجر
٣٧ ـ بـالفندق ـ وأنها تنتظره بعـد ساعتين ليشرب معها فى حجـرته
من الكوكتيل .

قالت : سأدعوك الليلة لتناول العشاء .

وشمخ بأنفـه وقال : إنـه يرفض الـدعوة بإبـاء وشمم ، وانه هـ
يدعـوها للعشاء ، وإذا بها تقبل الدعـوة بلا تردد ، وبـلا تمنع ، وبد
تقسم أن يتناول العشاء على حسابها الخاص .

قال لها : إنه يريد أن يودع نيويـورك وأمريكا وسيأكل ساندويتش
مصر لا تعـرف السانـدويتش ، وهو يـريـد أن يودع هـذا الصنف ا
الوداع الأخير .

ولم يكن يعرف يـومها أنها ستحضر إلى مصر وتعرف أن الســاندويتش فيها بقرش صاغ وأحيانا بقرش تعريفة .

ودخلا إلى محل لبيع الســاندويتش ، وطلبت هى ســاندويتش كـافيار، وأغمى عليه فى الحال .

وأقبلت عليـه تسأله إذا كـان إغماؤه لفراق نيـويورك . فقـال لها : نعم، وقال لنفسـه : بل لفراق الريال !

وسعر الساندويتش الكافيار فى أمريكـا ريال واحد ، ومن حسن الحظ أنها كانت تشكو مغصا فلم تأكل أكثر من ثلاثة ساندويتشات .

ودخـلا إلى الكـازينـو الـدولى حيث تـرقـص فتيـات من مختلف الأمم والشعوب .

وراحت واحدة منهن ترقص الرقص المصرى كما تقول .

وكان هـذا الرقص عبارة عن مـزيج من رقص قدماء المصريين وقـدماء الاغريقيين وقدماء الفرس والرومان .

وكـانت الفتاة نفسهـا عبـارة عن كتاب تـاريخ مملـوء بصور الموميـاء والجعارين .

وضحك صـاحبنا مـن أولئك السخفاء الـذين يـدعـون أنهم يعرفـون الرقص المصرى فيرقصون جميع الرقصات إلا الرقص المصرى .

واقترحت عليـه زميلتـه الخبيثة أن يتقـدم إلى المسرح ويعلمهم الـرقص المصرى كما يجب أن يكون . فرفض طبعا!

وقد ذكـر فى برنـامج الكازينـو أن الفتاة مصريـة وأنها تخرجت فى كلية الرقص الأميرية فى مصر .

ودهش صاحبنا ، فلم يقرأ فى الصحف أن صالة بـديعة أو صالة ببا قد انضمتا إلى كليات الجامعـة أسوة بكليتى الآداب والحقوق . وأراد أن يسأل عن حقيقة الأمـر ، فذهب إلى مدام كرفسكـار ـ هكذا اسمها وليس خـدوجة ولا ستوتة، ولا عين أبوها ولا ست الـدار ـ سألها بالعربية من أين تخرجت وهل كشف الدكتور محجوب ثابت عليها قبل دخول الجامعة أم لا؟!

وبهتت الفتـاة ولم تجب وصمتت كأنها تمثـال .. أو كأنها صـاحبنـا فى امتحان الشفوى فى كلية الحقوق .

سـألها بالانجليزية :

— الا تتكلمين العربية ؟

قالت : نعم .

قال لها : وَلِمَ لَمْ تجيبى على أسئلتى ؟

فقالت فى جرأة عجيبة : لأنك لم تتحدث بالعربية !

وانتهزت المرأة فرصة ارتباكه من هذه الإجابة المفاجئة الغريبة وانهالت عليه توبيخا وتقريعا واتهمته بأنه يـريد أن يحرجها أمام أناس قد يأخذون بادعائه ويصدقون حقيقة أنها لا تعرف العربية .

وتحمس هو فى المناقشة وانحمقت مدام كرفسكار فى المناقشة أيضا .

وتدخلت صاحبته وشدته من ذراعه وهى تقول :

— لا بد أنك قد نسيـت اللغة العربية حقا ، فإنـك قضيت فترة طويلة فى أمريكا .

وشمخ بأنفـه . وشمـخت مدام كرفسكـار بأنفها الـذى يشبه نـاطحات السحاب .

وخرجا من الكـازينو الدولى إلى الغرفة الذهبيـة بفندق سـانت ريجاس .. وهى غرفة ليست من الـذهب الخالص كما يتبادر إلى ذهن القارىء اللبيب ، ولكنه ذهب قشرة ، وهذه الصالة من أجمل مارأت عيناه .

كانت الأطبـاق من الذهب ، والشـوك والملاعق والسكاكين من الـذهب ، والكراسى من الـذهب ، كما غطيت أرض المرقص بمرآة انعكس عليهـا لون السقف الذهبى اللامع ، وكانت أغلب شعور الفتيات بلون الذهب ، وبعضه ذهب عيار ٢٤ والبعـض الآخر ذهب عيرة كالسقـف والجدران ، وكان يظن أن الحسـاب سيكون بـالذهب أيضـا ، ولكن قيل لـه إنه سيـدفع بالـورق البنكنوت .

وبدأ يـرقص على نغمات موسيقى الجازباند وهى تعـزف أنشودة ذات مساء فى كافيـه دى لابيه . وكانت الموسيقى وادعة حنـونة تسرى فى النفس سريان النيل تحت كوبرى عباس فى غير أيام الفيضان .

وهو يحب الرقص الهادىء الوديع ، ويكـره الرقص السريع الصاخب ،

الذى يذكـره برقص العبيد ، وليس السبب فى تفضيل هذا النوع أنـه شاعر رقيق، ولكن جسمه العريض يمنعه من متـابعة النغمات السريعة والدوران حول نفسه بسرعة منتظمة أو بسرعة غير منتظمة

ثم بدأت الموسيقى تعزف رقصة «التفاحة الكبيرة» .

ولا يعرف لماذا سموها التفاحة الكبيرة ولِمَ لا يسمونها الجميزة الكبيرة أو الجوافة الكبيرة . ولعل السبب أن ليس فى أمريكا جوافة ولا جمين.

وهى رقصة سريعة انتشرت فى أمريكـا قبل مغادرته لها ، يلعب فيها كل جـزء من أجـزاء الجسم ويلف ويدور ويشـترك أحيـانـا فيهـا الراقصـون والراقصات فينظمون حلقة كحلقات الذكر ، ويلفون ويدورون مثلما يفعل زنوج أفريقيا وآكلو لحوم البشر .

وبعد ان انتهى الرقص التفتت إليه صديقته وقالت :

— عندى لك بشرى .

قال : وما هى ؟

قالت : لقد زال المغص الذى كنت أشكو منه .

قال : الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

وإذا بها تطلب العشـاء ، وإذا بسعـر العشـاء للشخص الـواحـد عشرة دولارات أى جنيهـان ، أى ثمن قنطار قطن فى ذلـك الحين ، أى مرتب بـواب وسفرجى فى مصر قبل الحرب !

قال لها : إن الدين الإسلامى قال جوعوا تصحوا .

فهزت رأسها وقالت : إنها مسيحية متمسكة بدين المسيح .

واستمرت تتناول الطعام .

○○○

أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة

٨

هوليوود

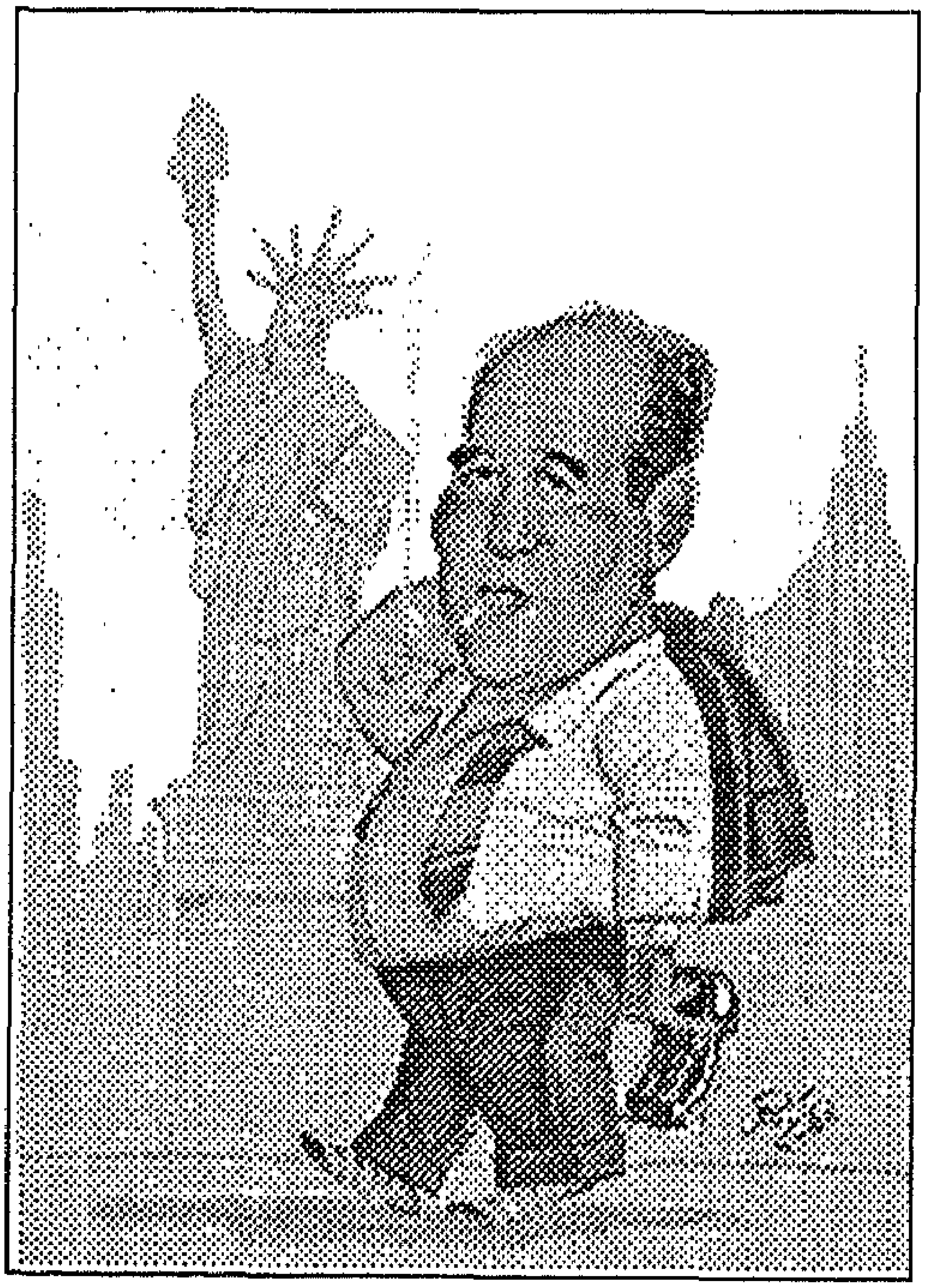

أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة

٨

شيليا

دعته صديقتـه شيليا جراهام الناقدة السينمائيـة الأمريكية الى زيارة هوليود مدينة السينما والكواكب والنجوم.

وشيليا من ألمع الصحفيات الأمريكيـات شهرة، وهى فتاة فى الثلاثين من عمرهـا، سوداء الشعـر واسعـة العينين، شرقيـة الملامح.

ومن مزايـاها فوق جمالها الفتـان، أن جريـدة « ستار » التى تكتب بها مقـالاتها تضع تحت تصرفهـا طيـارة خـاصـة، تستعملهـا فى تنقـلاتها ورحلاتها.. فمتى يأتى اليوم الذى تضع فيه الجرائد المصرية تحت تصرف محرريها موتوسيكلا أو دراجة ذات ثلاث عجلات ؟ !

ذهب صاحبنا الى هـوليوود لرؤية تلك المدينة السـاحرة التى طالما حلم بها وقرأ عنها وتخيلها مثـل جنة عدن، وإن كان فيها جريتـا جاربو وميرنا لوى وكلوديت كولبير.

وما إن اقترب من هوليوود حتى سألته شيليا وهى تضحـك :

— هل تعـرف الفرق بين النـوم فى صحراء الأهـرام والنوم فى صحـراء هوليوود ؟

قال : لا

قالت : فى صحراء الأهـرام، تنام وفوقك النجوم، وفى صحـراء هوليوود تنام وبجانبك النجوم !!

والقراء فى غير حـاجة إلى أن يعرفوا من صـاحبنا عدد سكان هـوليوود، والاستوديـوهات التى فى حجم المدن الكبيرة، والجو والمنـاخ والتضـاريس، والـزوابـع والأمطـار، فكل هـذه أشيـاء يمكن للقـارىء قـراءتها فى كتب الجغرافيا.

ولكن الشىء الذى يستحق الحديث هـو الحياة الصاخبة البـاذخة التى تحياها هوليوود فكل تقليعة يتصورها أو لا يتصورها العقل تجدها هناك ، فتيات يسرن فى الشوارع وقد ارتدين لباس البحر فى حجم الكارت بوستال، أو أصغر قليلا من ورقة الشجرة التى كانت ترتديها أُمّنا حوّاء.

ورأى صاحبنـا فتاة تـرتدى لبـاسا للبحـر مصنوعـا من ورق النتيجة وأخرى ترتدى لباسا للبحـر مصنوعا من أوراق البنكنوت.. ولكن يظهر أن الفتاة كانت فقيرة لأنه لم يكن يغطيها سوى خمس ورقات من فئة ريال..

وهوليوود سوق رائجة للـرقيق الأبيض.. والضحايا دائما هن الفتيات اللاتى يحضرن الى هوليوود على أمل أن يصبحن كواكب ونجوما.

وفى هوليـوود قابل صاحبنا مختلف الأشكـال والأجناس، وسمع جميع اللغات الحيـة والميتة، والأمر الـذى استوقف نظره كثـرة الشحـاذين، حتى حسب أن لسيدنا الحسين فرعا فى هوليوود.

وكلما خطوت خطوة يتقدم إليك رجل فى مـلابس انيقة، ويرفع لك قبعته ويهز يـدك ثم يخبرك أنـــه مضى عليـه أسبـوع لم يـذق قطعـة من لحم الخنزيـر.. ولحم الخنزيـر فى أمريكا كـالسلطة والطعميـة فى بلادنـا سواء بسواء.

والبلطجية هم ملوك هوليوود غير المتـوجين، وما من كوكب فى هوليوود إلا ولها حارس وهم تماما مثل فتـوات الحسينية، ولكنّ لهم نفوذا عجيبا فى دوائر الحكومـة وبعضهم من الأغنياء. ولقـد حضر صاحبنـا محاكمة ملك البلطجيـة فى بلاد العم سـام واسمـه « لوشيـانـو » وحكمت عليه المحكمـة بالسجن مائة عام.. ولكن العارفين كـانوا يؤكدون انه سيخرج من السجن قبل نهاية العام.

ومقـابلة كـواكب السينما من أصعب الأمـور فى هـوليـوود لكثرة عـدد المتطفلين وهـواة جمع إمضـاءات الكـواكب وصـــورهن، ويمكن مقـابلـة الكـواكب فى الحفـلات الـراقصة الكبرى ولكن مثـل هذه الحفـلات تكـون مزدحمة، واكثـر ما يمكن ان تنـاله من أغلب الكـواكب هو انحنـاءة الرأس وابتسـامة مصطنعة وجملة « كيف حالك ؟ ».

ولقد أسعـد صاحبنـا الحظ بحضور الحفلـة السـاهـرة الراقصـة التى أقامتهـا ماريـون ديفز الممثلة السينمائيـة المعروفـة فى قصرها المدهش فى سانتا مونيكا بهوليوود.

وكـان فى تلك الحفلـة عـدد كبير من نجوم السينما ورجـال الصحـافـة ولا عجب فماريون ديفز هى زوجة وليـام راندوف هيرست ملك الصحافة فى أمريكا.

وفى ذلك القصر حديقـة كبيرة، كل أشجارهـا مزدانة بثـريات الكهـرباء الملـونة، وفى وسطهـا بـركـة مدهشـة تسير فيهـا القـوارب حاملـة رجـال الموسيقى يعـزفـون أنغـام الـرقص الثـائرة، بينما المدعـوون والمدعـوات يرقصـون حول البحيرة وثياب السهـرة تنعكس على مياهها الفضية فتجعل له منظرا لا يبرح مخيلة من يراه.

وفى القصر ٩٠ غرفة، كل غرفة بها تليفون خاص !

وهنا وهناك تجد مقاعد متناثـرة ، تحت أشجار مظلمة، وقد جلس عليها العشاق يتناجون أو يتعانقون أو يتخانقون.

وقـدمته صـديقته شيليـا الى مـاى وست التى طالما رآهـا تمثل الأدوار الخليعة التى تثير الشهوات.

ولكن عندما رآها تلك الليلة كانت المرأة تختلف عن الممثلة، فقد ظهرت فى كـامل الحشمة والـوقـار.. كانت السيـدة الـوحيدة بين المدعـوات التى لم يكشف ثوبها السـواريه عن كل ظهـرها، بل إن رداءها كـان يغطى جسمها كله دون أن يكشف عن الصدر والظهر والسيقان.

وابتسمت مـاى وست ابتسـامـة عـاديـة لا يسيل لها اللعـاب ، وكأنها لاحظت انه ينتظر منها غير هذا ، ثم شربت كأسـا من الشامبانيا.. وقالت له

بلهجتها المثيرة التى طالما سمعها فى السينما : إنه أول شاب مصرى عرفته.

ثم هزت كتفها، وقالت وكأنها تعاين قطعة من الأثاث القديم :

ـــ موش بطال !

وضحك الواقفون وضحك هو كما تقضى الآداب والأصول !

وفى يوم واحد قابل خمسة نجوم.

وليس الفضل فى ذلك لطلعتـــه السنيــة البهيـــة ، ولا لمركـزه الخطير فى الهيئة الاجتماعيــة، ولا لشخصيته الجذابــة القوية، ولكـن الفضل يعود الى صديقته شيليــا جراهام الناقــدة السينمائية.. إن هذه الفتاة مــدهشة تقابل الكواكب والنجـوم، وتطرق أبـوابهم دون موعـد سابق أو استئـذان، تماما مثلما كان يفعل المستشار الانجليزى مع وزراء غفلة الزمان.

وذهب أول ما ذهب الى مــارلين ديتريش، وقابلها فى غرفتهــا الفاخرة، فى الاستوديو حيث كانت تستعد للقيام بدورها فى رواية « حديقة الله » .

وكانت تستعد لتمثيل منظر مع « شارلس بواييه » .

وكــانت مــارلين تبدو فى ثــوب بسيط من الحريــر الأصفـر، لم يكن على وجهها مساحيق فبدت له كما هى صفراء نحيلة فى عينيها آثار سهر طويل.

وشعر صاحبنا عندئذ بخيبــة أمل، شـعر بأن مارلين ديتريش كأى امرأة أخرى فى جمالها ودلالها. وجــاذبيتها وشـخصيتهــا، وكل ميـزتها أن اسمها مارلين ديتريش معبودة الجماهير.

ولما علمت مارلين أنه يزور هوليوود للمـرة الأولى فى حياته قالت له ـــ وهى تطلى وجهها بطلاء أزرق استعدادا للقيام بدورها ـ إنها سئمت الحياة فى هوليوود، بل فى أمريكا كلها.

وعجب أن مارلين ديتريش التى رفعتها أمريكا إلى السماء تسأم السماء وتحن إلى الأرض من جــديـد، ولكن لم يلبـث أن زال عجبـه عنــدمــا علم أن مــارلين تعتقد أنها دفعت حـريتها، وضحت بقلبهــا وبالـرجل الذى كــانت تحبه، لتصبح نجمة فى سماء زائفة أو سماء من « ديكور ».

وركب السيارة الى ضــاحية مجاورة لــلاستوديو حيـث تسكن كلوديت كولبير..

كانت كلـوديت وقتئذ عروسة جـديدة. وقد تزوجت، من شهـور ، طبيبًا للأنف والأذن والحنجرة.

وقابلتـه كلوديت كولبير فى تراس خـارجى لمنزلها، ولما قدمته صـديقته إليها وعرفت أنه مصرى مدت له يدها وقالت بالعربية الفصـحى :

— السلام عليك .

وبهت صاحبنا، وظن أنه أمام فتـاة مصرية تشبهها، لا كلوديت كولبير، وأخذت كلوديت تقول بالعربية :

— أهلا وسهلا أنت مسرور هنا.. هوليوود جميلة !

وأخذ هو يرد عليها باللغة العربية أيضا بينما فتحت الناقدة السينمائية فمها دهشة، ودلدلت لسانها الطويل من الاستغراب.

وسأل صاحبنا كلـوديت كولبير كيف تعلمت العربيـة؟ فقالت إنها تقوم بتمثيل رواية تـدور حوادثها فى صحـراء مراكش، وإن دورهـا يستلزم أن تلقى بعض جمل اللغة العـربية، وإنها أحبت هـذه اللغة لـدرجة أنها عكفت على دراستها وقالت إن اللغة العربية سهلة للكلام، ولكن الكتابة أصعب من الكتابة باللغة الصينية.

وبعد هذا دعتـه كلوديت كولبير الى التفرج على بيتهـا الجديد، وهو بيت صغير ولكنه مرتب ترتيبا أنيقا بذوق فنان.

ثم انتهت المقابلة سريعا كما ينتهى الحلم اللذيذ.

وعلى بعـد خطـوات كانت تسكـن جانيت جـاينـور، وهى فتـاة بحجم الكارت بوستال يخيِّل لمن يجلس معهـا لأول مرة أنها لم تتعد بعد الخامسة عشرة. وإذا سألتهـا سؤالا احمرّ وجههـا خجلا كفتيـات المدارس فى مصر.. قبل القرن العشرين.

وقـالت جانيت : إن أحـد الأمـراء المصريين الشبان زار هـوليوود منـذ سنوات، وعند سفره سألها : ماذا تريد أن يبعث لها من مصر؟

فأرادت أن تداعبه وقالت له انها تريد « جملا » .

وما أشد دهشتها لما وصلها بعد شهور قليلة جمل مصرى ظريف.

وصحبته جـانيت الى حديقة دارهـا ليرى الجمل المصرى الذى تجرى فى عروقه دماء الفراعنة كما تقول !

وطلبت منه أن يركب الجمل.

وعبثا حـاول إقناع كوكب السينما أن الفروسيـة مسألة لا ناقة لـه فيها ولا جمل. وأن أعلى ما ركبـه فى حياته هو ظهـر حمار، وكان هذا آخـر عهده بالفروسية والفرسان.

ولكن الممثلة الحسنـاء قالت إنها تعرف أن المصريين فرسـان مدهشـون وأصرت على أنه لا بد من ركوب الجمل.

وجمع أطراف شجاعته وشـجاعتـه فى ذلك الوقت كانت مترامية الأطراف واقترب من الجمل وأشـار إليه أن ينخّ على أمـل أن اللبيب بالاشـارة يفهم، ولكن الجمل « الحمار » لم يستذوق بل رفض أن ينخ بإباء وشمم.

وأخيرا (تشعبط) على ظهـره، وما إن وصـل الى أعلاه وبـدأ ينتفخ على هيئة الفرسان حتى برك الجمل من جديد على الأرض ورفض أن يقوم.

وصاحت فيـه جانيت بالانجليـزية Get UP « قف ».. وإذا به يقف فى الحال.. وعنـدئذ فهم صـاحبنـا أن الجمل نسـى اللغـة العـربيـة وأصبح لا يتفاهـم إلا بالانجليزيـة كبعض الشبـان المصريين الذين يسـافرون الى أمريكا.

وذهب بعد ذلك مع الناقدة الى منزل جـريتا جاربو، وكان يحمل خطاب توصية ظريفا لها من جانيت جاينور.

وطلب ان يحظى بمقابلة ملكة السينما لمدة دقيقة واحدة.

وأجابت سكرتيرتها غير الحسناء بعد أن أخـذت خطاب جانيت جاينور إن جريتا جاربو معتكفـة ، وإنها لا تقابل أحدا على الاطلاق، الى غير هذا من البروباجندة الرخيصة التى تثيرها ملكة السينما الهيفاء حول نفسها.

وأراد صاحبنـا أن يهوش جريتـا جاربو فكتب على بطـاقته يقـول : إنه حضر من مصر الى أمـريكا خصيصـا لمقـابلتها، وعـادت سكـرتيرة جريتـا جاربو تقول له إن سيدتها تقول : « ولو ».

وفى المسـاء ذهب مع النـاقدة إلى كبـاريـه مكسيكى فى أولفـرا ستريت،

وكانت هنــاك كاى فـرانسيس وتالـولا بانكهيـد من النجوم الســاطعات فى هوليوود.

وكانتا تجلسان معا وليس معهما رجال.

وطلب من شيليـا أن تقـدمـه لهما ففعلت، ودعتـه كـاى فـرانسيس إلى الجلوس معهما بابتسامة ظريفة فيها سحر حلال.

وكـانت كـاى فـرانسيس فى ثـوب أبيض يكشف عن ذراعيهـا البضتين المخروطتين كتمثال من المرمر وهبه الله الحياة.

وكانت تـالولا فى ثوب أزرق مملوء بـالألوان كقوس قـزح، وهى الموضة التى انتشرت لأثواب السيدات فى ذلك الحين.

ولاحظ ــ وبينـه وبين كـاى فــرانسيس بضعـة سنتيمترات ــ أنها فى الحقيقة لا تقـل جاذبيـة وجمالا عنها على الشاشـة البيضاء بخـلاف أغلب النجـوم اللاتـى رآهن، بل إن صـوتها فى الحقيقـة أرق وأعـذب وأشجى من الصوت الذى سمعه فى أفلامها، ويخيّل لمن يسمعها تتحدث أنها تغنى، وإن كانت بدت فى حوالى الخمسين من عمرها!

وقالت كاى فرانسيس: إن أملها الوحيد أن تزور مصر، ثم سألته وهى تتلعثم من شدة الحياء:

هل أنا معروفة فى الشرق؟

فـرد عليها بـالإيجاب وأكـد لها أن صـورتها كانـت موجـودة فى أدراج كثيرين من الشبان الشرقيين.

وقالت تـالولا بـانكهيد: إنها وصلتهـا بضع رسائل إعجـاب من شبان شرقيين. ولكن أدهشها أن كلهم يطلبون صورتها بلباس البحر!!

وعـرف صاحبنـا أن والد ممثلـة السينما تالـولا بانكهيـد كان رئيسـا لمجلس النـواب. ولما سألها إذا كـان اشتغالها بـالسينما يـؤثـر على مركـز والدها السياسى ضحكت وقالت:

ــ كـلا، بل بـالعكس إن أغلب النـواب الذيـن انتخبوه، قـالـوا لى إنهم انتخبوه من أجلى!

وسألته كاى فرانسيس: هل يوجد فى مصر شبان من النوع الذى يمثله

رودلف فالنتينو فى رواية الشيخ وابن الشيخ.

فأكد لها أن فى كل مدينة فى مصر آلافا مثل رودلف فالنتينو.. والحمد لله أن كاى فرانسيس لم تفكر فى الحضور الى مصر.

○○○

ولكن هل النساء فى هوليوود جميلات ؟

يـرى صاحبنـا ان هوليـوود خير مستـودع للنساء الظـريفات ولكنهـا ليست مكان أجمل نساء العالم.

وإن نساء هوليوود لسن أجمل نسـاء العالم، لأن فى هوليوود لا يشترط الجمال وإنما تشترط الشخصية فكـلارك جيبل مثلا أحب كارول لـومبارد لأنها ذات شخصيـة ساحـرة لا لأنها أجمل فتاة فى عينيـه ذلك لأن الجمال يزول مع الأيام، أما الشخصية فباقية مدى الحياة.

ورأى صـاحبنا أن النسـاء فى هـوليوود عـاديـات جدا. فأنت تـرى فى الشـوارع فتيات جميـلات وجوههن جميلـة، سيقـانهن جميلة، شفـاههن تنادى: حى على القبلات، ولكن ينقصهن شىء مـا.. لا تعرف ما هو .. ولكن صـاحبنـا يظن أن المرأة فى هـوليـوود وصوليـة، أى أنها تـريـد أن تكـون شيئـا مـــا.. أعظم راقصــة.. أعظم ممثلـــة.. أو زوجـة مخرج.. أو ممثل.. والفتيات الوصوليات فى رأى صاحبنا لا يثرن فى نفسه أى إعجاب.

وكان صـاحبنا منذ ذهب الى هـوليوود لأول مرة وهـو يحملق فى وجوه فتيـات هوليـوود، كان يعتقـد أن جمالهن فتـان، فإذا به جمال من النـوع الرخيص ،فالفتيات هناك خاضعـات لمقاييس الجمال التى يضعها المثّالون فالقـامة طـولها كذا سنتى، والخصر محيطـه كذا سنتـى، فكان يشعـر أنه يسير فى معرض للتماثيل لا فى معرض من النساء الجميلات.

كانت تبدو عليهن صفـرة الجوع وهزال الحرمان. فكل فتاة هنـاك تريد أن تحتفظ بوزن خاص ، فهى تحرم نفسها من الطعام، ومن لذائذ الحياة.

ولهذا فإن نساء هـوليوود صفراوات لم يثرن فى نفســه أى شعور بلذة الجمال، بينما المرأة التى تعجبـه هى المرأة الطبيعية التى تجرى فيهـا دماء الحيـاة، المرأة التى يشعر بجـانبها أنها امـرأة وليست اجـزاخـانـة مملوءة بالأدوية والعقاقير والمساحيق.

أما أجمل النساء اللاتى رآهن ففى مدينـة سان فرانسسكو. وكان يحب أن يستيقظ فى الصبـاح المبكر ويطـل من غرفتـه ليرى الفتيـات العامـلات سائرات على الأقـدام، وقد بدت كل واحـدة منهن مختلفة الطـول والعرض لا تخضع لمقاييس الجمال السخيفة ومع ذلك فهى فى أعلى مراتب الجمال.

وتنقسم النساء فى هوليوود إلى :

١ — نساء جميلات وينقصهن الروح .

٢ — نساء لهن روح وينقصهن الجمال .

٣ — نساء لا روح لهن ولا جمال .

وهكذا تـرى أن هوليـوود ليست بلد الجمال، وإنما هـى بلد العبقـرية. ففيها فتيات عبقريات استطعن أن يرتفعن من الخمول الى المجد، ومن القاع الى القمة، وفى هـوليوود وحدهـا استطاعت الفتيـات الضعيفات أن يكتسبن الثـروة دون اتباع الطـرق التى يتبعها بعـض الرجـال من المضـاربـة فى البـورصـة، أو خـداع الجماهير، أو سلـب أمـوال البسطـاء، أو الاشتـغـال بالسياسة !

والفتيـات فى هوليـوود يتظـاهـرن بالسرور والسعـادة، بينما يـلاحظ المدقق فى وجوههن أنهن بائسات شقيات.

فالممثلـة العظيمة شقية لأنها تخشـى السقوط.. والسقوط هـو الخطوة التـالية حتما للعظمـة فى هوليـوود، والممثلة المبتـدئة شقية لأنها تـرغب فى الـوصـول إلى مستوى الكـواكب ولا تستطيع ، والفتـاة التى لا هى ممثلـة عظيمـة ولا ممثلة مبتـدئة شقيـة لأن القـدر لم يتح لها الـدخول فى زمـرة ممثلات هوليوود.

وعلى كل فالجمال مسألـة نسبية. فالفتـاة التى يعدهـا الألمانى جميلة، يعدها الأمريكى ثقيلة الدم، والفتاة التى تعدها أمريكا ملكة الجمال تعتبر فى رومانيا مثلا فى الدرجة السادسة فى كادر الجمال.

وهناك هـوليوود أخرى الى جـانب هوليوود الـلاهية العابثـة، فإن هذه المدينة التى اشتهرت بالمجـون تحب العمل المستمر الشاق، فليست الحياة فيها كلها سهـرات حمراء وموائد خضراء، فقد كان صـاحبنا فى سهرة وإذا

بالنجمــة المشهورة هيدى لامــار تستأذن فى الانصراف فى الساعــة العاشرة مساء، لأنه عليها أن تكون فى الأستوديو فى الســاعة الثامنة من صباح اليوم التالى !

وذهب صاحبنــا إلى مأدبة عشاء قيل إنـــه سيلتقى فيها بالممثلة الفــاتنة «ريتــا هيوارث » فــإذا بهم يقولـــون لـــه إن المخرج الــذى تعمل ريتــا تحت إشرافه منعهــا من الخروج من دارها وغشيــان الحفلات مدة شــهــر ومنعها من الشرب والتـــدخين الى أن تنتهى من تمثيل دورهــا فى الفيلــم الجديــد.. وقبلت ريتا هذه الأحكام الصادرة لأن هذا هو ثمن المجد !

وزار صاحبنـــا الأستوديوهـــات، فرأى كيف تصنع الأفلام، وزار مـــدنا من الورق الكرتـــون تبدو على الشاشة البيضــاء كنــاطحات السحاب، ورأى كيف يمثلون سقـــوط المطر بـــواسطة، « دش » كدش الحمام ! وشــهــد قطاراً صغيراً كلعب الأطفال يجرى فوق مائدة فيظهر على الشاشة قطاراً ضخماً بحق وحقيقى !

وأغــرب مــا فى هوليـــوود أن دوران الأرض فيهــا أسرع من أى مكــان فى العــالم، فــالمجد المجنـــون يلهـــو بــالكواكب والنجـــوم، ويعبث بحظـــوظهم ومستقبلهم، أو كما قال لصـــاحبنا أحد المخرجين « إن قيمــة الممثل والممثلة بقيمة روايته الأخيرة » فإذا نجحت الرواية ارتفع ايراد الممثل إلى القمة وإذا فشلت سقط رقم إيـــراده أو ربما أحيل الى المعاش !.. ويحدث هـــذا الانقلاب بسرعة غـــريبة، فماى وست مثلا كـــانت تتقاضـــى فى العام الـــواحد ٨٠ ألف جنيـــه، وفى العام التــالى مباشرة لم تجد عمـــلا !! وجون كيلبرت كــان أعظم ممثل فى أمـــريكا فى شهر نـــوفمبر.. وفى شهر ديسمبر قيل إنـــه انتهى ! الفتى الأول رومان نوفـــارو ارتفع الى القمة ثم سقط إلى الحضيض فجأة دون أن يعرف أحد متى سقط وكيف سقط ؟!

والتقى صاحبنا فى هـــوليوود ببعض الكواكب الهاوية ! فــالممثل هارولد لويد الذى كــان يضحكنا فى طفولتنا ما يزال حيـــا، ولكن ليس له نظارة وقد بدا وكأنـــه فى الستين من عمره ! وقـــد اعتزل التمثيل ولكنـــه يشتغل بإخراج الروايات وبــالمساهمة فى بعض الشركات الكبرى، ودعا صاحبنـــا الى زيارته

وتناول الشــاى فى حديقتــه التى نقل رسمها من الحديقــة التى كان يمضى فيها قيصر روسيا فصل الصيف، وبها حمام للسباحة وبيت جميل، ويقدر ثمن الحديقة بمليون دولار !

أما مارى بيكفورد التى كانت يـوما معبودة الجماهير، فقد امتلأ وجهها بالتجاعيد ولم تترك الأيـام من جمالها سوى تلك العينين المليئتين بالحرارة والحياة ! وقد رأى صاحبنا زوجها فإذا به لا يزال شابا صغيرا فكأن مارى لم تعترف بعد بتقدمها فى السن، أو لا يزال قلبها فى الربيع وإن كان جسمها فى الخريف !

ومن الطــريف أنك تجد أن المشتغلين بـالسينما لهم أعمال الى جــانب السينما، فهـذه ممثلـة كبيرة تملك محلا لبيع القبعـات وهذه كـونستـانس بنيت تديـر عمارة فيها ٤٠ طـابقا ، وهــذا شارلى شابلـن يملك عدة محلات تجارية ووابـور ثلج ! وهذا بنج جـروسبى يذيع فى بعض محطـات الاذاعة وتدهش إذا علمت أن مستر مـاير مدير شركـة مترو جولدوين مايـر له عدة أعمال الى جـانب السينما حتى إن مجمـــوع الضرائب التى دفعهـا فى أحـد الأعـوام بلغ ١,١٠٨,٣٥٢ دولار.. فمتى يجىء اليـوم الذى نسمع فيـه أن نجيب الـريحانى مثلا يـدير شركـة السكر الى جـانب تمثيل رواياتـه ، وأن يـوسف وهبى يملك جميع سيارات نقل الموتى فى القـاهرة الى جـانب تمثيل الروايات التى يموت جميع أبطالها !

واكتشف صـاحبنا ان سمعـة هوليـوود السيئة واشتهـارها بـالفجور والعبث مبـالغ فيها فليست كل ممثلـة سينما تتزوج خمس مـرات وتتطلق ست مـرات.. وليس كل كـوكب يستحم باللبن الحليـب، وليس الغرام هــو العمل الوحيد لسكان هوليوود .

وصحيح أن هـوليوود كـانت يـوما مثل سـوق بـابل الحمراء، وكـانت الفضائح فيها بسعر التراب، ويعود هذا إلى أنـه فى أثناء الأزمة المالية قدمت الى هــوليوود ٥٠ ألف فتـاة يبحثن عن عمل فلم يجدنـه طبعـا فتسكعن فى الطرقـات وسقطن بطبيعة الحال، وكثــرت فضائحهن لأن كل واحــدة منهن ادّعت أنها ممثلة فى هـوليوود. والى جـانب هذا وقعت بعض فضــائح نقلها

الصحفيون بمبـالغات وحواش وزيـادات فأصبحت مدينة السينما مـدينة الفضـائح ! ومما يـزيد فى سـوء حظ هـوليوود أن بها عـدداً لا يحصى من الصحفيين، وقد بلغـوا ٤٠٠ كاتب فى سنـة ١٩٣٨ وهؤلاء لـو وضعتهم فى قرية هادئة كقرية سنتريس فلن يمـر أسبوع إلا ويعلم قراء العالم أنباء عن غراميـات شيخ البلد، وعجلـة العمدة التـى وضعت عجلة بـراسين، وظهور خراج فى قدم شيخ الخفر سويلم. والصحفيـون الأمريكيون ماهرون فى أن يخلقوا من الحبـة قبة، ومن سقوط وزيـر على سلالم وزارته أزمـة وزارية تسقط الوزارة كلها !

وقد تنبهـت الشركات الى تأثير الفضـائح فى النجوم فوضعـت فى العقود شرطـا بأن أى فضيحـة تقع للنجم أو الكـوكب يعطى الشركـة حق فسخ العقود.. ومن هنا قلّت الفضائح فى هوليوود.. وقل عدد الصحفيين !

وهوليـوود مدينـة الشباب فإن أغلب المخـرجين والمؤلفين والممثلين من الشباب ، بل رأى صـاحبنا شابا يكسب مليون دولار فى العـام من الاخراج وعمـره لا يتجـاوز ٢٦عـامـا ! وضربت هـــوليـوود الـرقـم القيـاسى فى الأجور..فبينما يتقاضى كاتب السيناريو فى مصر ١٠٠ جنيه ثمنا لسيناريو يكتبه فى عـام يتقاضى بعض الكتاب فى هـوليوود مائة جنيه فى اليـوم ! وقد قابل صاحبنا كاتبا يدعى « بن هيشت » يتقاضى ٢٥ ألف جنيه فى الشهر !

وبينما نسمع أن محمد عبدالوهاب يكسب ٢٠ ألف جنيه فى العام ونفتح فمنا دهشـة، نجد المغنى الأمـريكى « بينج كروسبى » يتقـاضى من شركة بـرامونت ٤٠٠٠,٠٠٠ جنيـه فى ثلاث سنـوات ويحتفظ لنفسه بـربح يبلغ مليون دولار من دخل بيع الأسطوانات !

أمـا الممثلات فقـد علم صاحبنـا أن مارى بيكفـورد كانت تتقـاضى فى مجدهـا ٢٠٠٠ جنيه فى الأسبـوع ، وفى سنة ١٩٣١ تقـاضت كونستـانس بنيت ٨٠ ألف جنيـه؛ لتمثل روايتين بينما أقصى مـا كسبته أم كلثـوم من تمثيل روايتين لا يتجـاوز ١٥ألف جنيه ! أمـا مخرج الـرواية فهـو يكسب عادة أكثـر من الممثل فقد تقـاضى المخرج المشهـور فرانك كـابرا ٤٠ألف جنيه فى أسبوع !

وينفق الممثلـون أغلب مـرتبـاتهم على الضرائب والدعـايـة فى الصحف والملابس وشراء السيـارات.. وأغرب مـا تبينـه صاحبنـا أن ممثلى السينما يـدفعـون أكثر مــن غيرهم لأعمال الخير ، فإنهم يتبرعون بمبـالغ طـائلـة لمسـاعدة الممثلين الفقـراء وأولادهم. وقد تبرعت الممثلـة نورمـا شيرر بكل دخلهـا من الراديـو مدى الحيـاة للأطفـال المشلولين، وتبرع الممثل كـارى جرانت بأربعين ألف جنيه للصليب الأحمر الانجليزى !

وتمضى كواكب هوليـوود وقتهم فى المآدب والحفلات، وبعضهم يتفنن فى اختيار مناسبـات للحفلات، فالممثلة لـوب فيلز أقامت مرة حفلـة ساهرة ابتهاجـا بطلاقهـا ؟ وأقام شـارلى شابلـن سهرة كلفتـه ثلاثـة آلاف جنيه بمناسبـة وفاة حماته ! وينفق الكـواكب كثيرا على سباق الخيل ، وإذا أردت أن تشهد كواكب السينما عن قرب تستطيـع أن تشهدهم فى ميادين السباق فى سـانتا انيتـا ودلمار، فترى بينج كروسبى يلعب فى الشوط الواحـد بثلاثة آلاف جنيه، وتشـهد سبنسر تراسى يشد شعره لأن حصانه خسر « شورت هيـد » وتبصر الممثلة بـربارا ستـانويك تقبل زوجهـا روبرت تيلـور لأنها كسبت نصف ريـال ! وتقـابل ايـرول فيلين يحمل الكتـاب الـذى ألفـه عن الخيـول، ويقـول : إنك اذا اتبعت نصـائح الكتاب فستكـون من أصحـاب الملايين، وتلاحظ فى الوقت نفسه أن ايرول فيلين يخسر فى كل شوط !

وكل فتاة فى أمـريكا تحلم بأن تكـون كوكب سينما.. فإذا لاحظت أن فى وجهها « نمشـا » قـالت لك : إن « النمش » يملأ وجه جوان كـرافورد وميرنا لوى ومع ذلك يخفيه المكياج ! وإذا قلت للفتاة: انك لدغاء قالت لك : إن كاى فـرانسيس لا تستطيع أن تنطق حرف « الـراء » ولـذلك يحذفون كل كلمـة فيها حرف « راء » من أدوارها !

وإذا كـانت الفتـاة قصيرة قـالـت : ولـو ! إنهم يجعلـون الممثـلات فى هوليوود يقفن فوق الموائد ويصـورهن المصـورون ، فتبدو الفتاة القصيرة طـويلة كعمـود السوارى ! وإذا كـانت الفتـاة طويلـة القـامة قـالت لك إن مخرجى هوليـوود يستطيعون جعلهـا قصيرة بحفر خنـدق تقف فيه وهى تتحدث الى النجم السينمائى القصير القامة !

وإذا كانـت بدينـة فإن أطباء هـوليوود كفيلين بإجـراء عملية جـراحية تجعل قوامهـا كغصن البان، وإذا كانت نحيفة فإن مخرجى هـوليوود لهم حيل فى التصوير عن قرب تجعل الممثلة النحيفة وكأنها فتاة مليئة !

واذا أعيتك الحيلـة فى إقناع الفتـاة ألاّ تطمع أن تكون كـوكبا سينمائيـا وقلت لها : ولكنك لا تعرفين كيف تمثلين ؟

وإذا بالفتاة تفحمك بقولها :

— وهل تعرف هيدى لامار كيف تمثل ؟! ومـع ذلك استطاعت هوليوود أن تقنع الناس أنها ممثلة عظيمة !

والواقع ان بنـات أمريكا معـذورات، فإن هوليـوود استطاعت أن تخلق من الفسيخ شربـات، وجعلت من الفتيات التـافهات عبـاقرة، ومن الـرجال الأغبيـاء فـلاسفة، ووضعت على أفـواه المجـانين الحكم والأمثـال، وجعلت تحيط كواكبهـا ونجومها بهالات من صـور البطولة.. فهى لا تخرج أفـلاما فقط بل تخرج فى الوقت نفسه كواكب ونجوما !

أليس أكبر دليل على عبقـريـة هـوليـــوود أنها جعلت من الفار « ميكى مـاوس » ممثلا عـالميـا، فترى فى كل مكان فى العـالم أحـذية ميكى مـاوس وقهـاوى ميكى ماوس، وتقـرأ فى الصحف أنباء عن ميكى مـاوس ! بل إنها جعلت ميكى ماوس خصما لهتلـر، واضطرت حكـومة الـرايخ أن تعتبر هذا الفأر من عنصر غير آرى وتمنع دخـول أفـلامه إلى ألمانيـا !.. فـلا عجب إذا اعتقدت كل فتاة فى أمريكا ـ بل فى العالم ـ أنها تستطيع لو أعطيت الفرصة، أن تكون نجمة ساطعة فى هوليوود !

ooo

٩ الأعياد الأمريكية

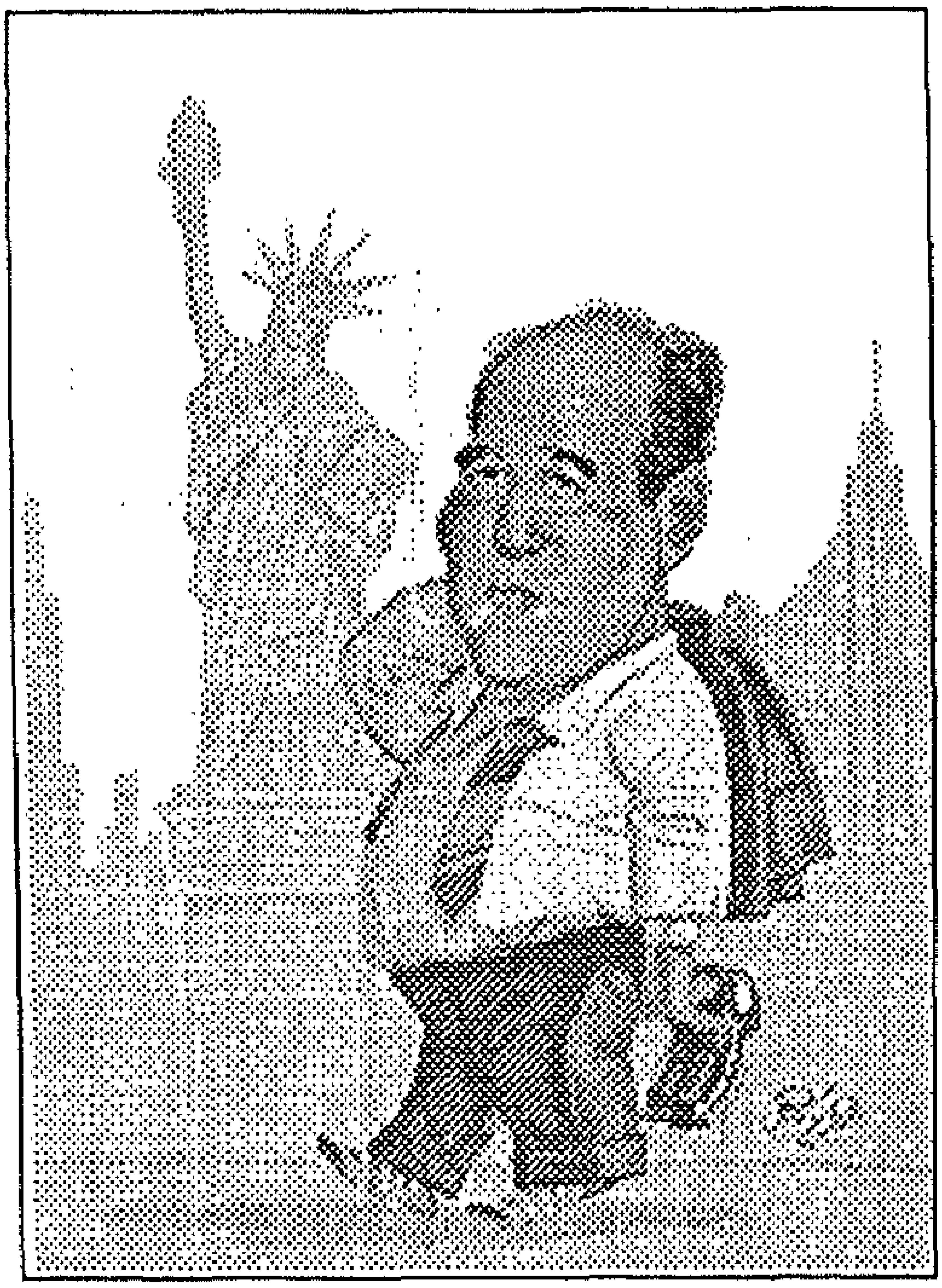

٩

مولد روزفلت ومولد السنباطى

إن صاحبنـا يذكر يوم دعـاه اصدقاؤه في القاهـرة، لتناول العشاء والتفـرج على مولد سيـدنا السنباطى، وعنـدما سأل إذا كان الحضـور بالفراك أم بـالأسموكن أم بـالجلابية والجاكتة قيل لـه : إن سيـدنـا السنبـاطى كـان رجـلا لا يـدقق كثيرا في الاتيكيت والبروتـوكول وإنـه كان يقـابل عظماء القوم بـا لملابس العاديـة لا ببدلـة البونجور.

وكان يومها الزحام شديدا، وكـانت الناس تدفعه هنا وهناك، وتزغده في جنبه اليمين وجنبه اليسار، وكان حى الحسينى يمـوج بالناس، وتفوح فيه رائحة ملعونة ليست من الروائح العطرية المعترف بها بين أولاد الذوات. بل كانت الـرائحة أشبـه بالغـازات الخانقة التى تلقيهـا الطيارات في الحروب، كانت عبارة عن رائحة العرق المخلوط بالتراب.

وكـان أعجب مـارآه « عـرايـس المولـد » وليس يقصـد بهذه العـرائس المصنوعة من الحلاوة التى يحيط بها الذباب، بل يقصد العرائس المصنوعة من دم ولحم ومساحيق.. أولئك النسـاء اللاتى يسرن وقد ارتـدين الملايات اللف. وأخذن يتهززن ذات اليمين وذات الشمال كبندول الساعة أو كراكبى

البسكليتـات فى شارع عماد الـدين.. وسمع يـومها قصـائد الغزل البلـدى الـرقيق لا فى سيـدنا الشيخ السنبـاطى طبعـا، ولكن فى الجسم الـذى مثل المهلبية أو البـالوظـة. بينما الله يعلم أن لون جسم الفتـاة الموجه إليهـا هذا الغزل.. كان أشبة بجبنة المش أو الجبنة القريش .

ودخلوا يومهـا الى مقام « السنباطى » يقرأون الفاتحة ـــ على بدلته التى تبهدلت من الـزحام ـ فرأى سيـدة واقفة أمام المقام تحرض سيـدنا الشيخ على زوجهـا وتطلب منـه أن يقصف عمـره ويطلع روحـه وينتقم لها كأنها تظن أن سيدنـا السنباطى هـو فؤاد الشـامى أو أحد بلطجيـة شـارع عماد الدين.

وقال له أحـد أصدقائه : إن السيدة المشار إليها هى مطلقـة أحد أعضـاء مجلس الشيـوخ، فـالتفت إليهـا وأخبرهـا أن زوجها متمتع بـالحصـانـة البرلمانيـة، وأن على عزرائيل قبل أن يقصف عمـره أن يطلب إذنا بـذلك من مجلس الشيوخ !

ومن يـومها دأب على قـراءة أخبار الـوفيـات فى الصحف بانتظـام لعل وعسى يجد خبر وفـاة الـرجل الغلبان، ولكن يظهـر ان السيـدة لم تستطع حتى الآن أن تنال موافقة مجلس الشيوخ .. !

وخرج يـومها من المولـد بلا حمص، وقـال لنفسه إنـه إذا كان سيـدنا السنبـاطى هـذا يعـرف ان النـاس سـوف تحتفل بعيـد ميـلاده على هـذه الصورة القبيحـة التى لا معنى لها ولا غرض منها، لأخفى شهـادة الميلاد، أو لأعلن على الأقل انه من سواقط القيد ..

وفى نفس ذلك العام اشترى تـذكرتين لحضور حفلة عيد ميـلاد الرئيس روزفلت، وهى حفـلات تقام فى كل بلـد من بلدان أمـريكا، ويبلغ ريع هـذه الحفلات حـوالى المليون جنيـه، لا ينهبها أئمـة المساجـد ومشايـخ الطرق الأمريكـانية، ولكنهم يدفعـون هذه الأموال لإنشاء مستشفيـات للمشلولين والمقعـدين لأن الـرئيس روزفلـت مشلـول القـــدمين ولا يستطيع السير أو الوقوف دون أن يستند الى شخص أو الى عكاز .

وأغمض عينيه ودفع جنيها ثمنـا لتذكرتين لحضور حفـلات عيد ميلاد

الرئيس فى واشنطـون، وهى تذاكر تبيـح لك دخول واحد من سبعـة فنادق ولكن لا يحق لك الانجعاص على أحـد المقاعد أو طلب واحـد كازوزة لأن كل هذا له ثمن وله حساب.

وأسعار المشروبات والمأكولات فى أمريكا غـالية بدرجة تجعل البدراوى باشـا أو عبود باشـا يدخل الفندق كصـاحب الملايين ثم يخرج منه ليسأل على بنك التسليف تحت رهونات أو أقرب ملجأ لأبناء السبيل.

واعتـاد كواكب ونجـوم السينما ان يتطـوعوا لحضـور هذه الحفـلات، واعتـاد النـاس ان يتهـافتـوا عليهم كما يتهـافت المستحقـون على وزارة الأوقاف ..

وكان من نصيب واشنطون فى أحـد الأعوام الماضية الراقصـة المعروفة جنجر روجرز، وفى العام التالى مثلّت هـوليوود فى حفلات واشنطون الممثلة الشقراء المرحـومة جين هـارلو وروبرت تـايلور، الممثل الـذى يجعل فوق رأسه هـذه الأيام لقب معبود الجماهير.. وان كـان صاحبنـا ليس من هؤلاء الجماهير..

وكثيرا ما تمنى صاحبنا أن يرى جين هارلو وأن يلقى بين يديها قصيدة عصماء، وتشاء المصادفة أن يلتقى بها على الباب.

وقبل أن يجمع شتـات فكره ويبحث عن مطلع للقصيـدة تقدمت الفتـاة التى معه الى جين هارلو وقالت لها :

— مضى علىّ يوم كامل وأنا بانتظارك فى هذا المكان .

وابتسمت جين هـارلو ابتسـامة تسـاوى ٩٩قـرشا صـاغا، وتقـدمت وعانقت الفتاة، وقبلتها فى شفتيها.

وانتهز صاحبنـا الفرصة، وتقدم يقـول لجين هارلو انه قـد مضـى عليه أسبوع كـامل فى انتظار رؤيتهـا، وإنه سبع ليالٍ وستـة أيام وهـو سـهران لا ينام، وانتظر أن تعـانقه جين هارلو وتقبلـه سبع قبلات ولكنها ابتسمت وقالت : Really (صحيح !!)

ومشت فى طريقهـا تهتز فى فتنـة وفى دلال دونها فتنة عـرائس المولد فى مولد السنباطى الكبير !

ولاحظ أن جين هـارلـو لم تكن تقل فى الحقيقـة جمالا عنهـا فى السينما وأنها كانت ذات ابتسـامة خلابـة تثير المواد النائمـة من قانون العقـوبات، والواقع أن وفاتها لم تكن خسارة للسينما بقدر ما كانت لملكة الجمال !

أما روبرت تايلور فهو أجمل على الشـاشة البيضاء منه فى الحقيقة فقد رآه يبدو أصغـر سنا وأصغـر حجما مما نراه وهـو يعانق جـريتا جـاربو أو يقبل هيدى لامار.

ولاحظ كذلك أنه « لخمة » فقـد وقف يتحدث فى الميكروفون فـأفأ وتأتأ ولم يقل سـوى أنه سعيـد لأنه حضر الى واشنطون.. مـع أنه على الشـاشة يتكلم بسرعة مذيع محطة نيويورك !

ودار الرقـص على نغمات الأوركسترا، وكانت الموسيقى تعـزف انشودة جديدة اسمها « مساء الخير يا غرامى ».

وكان الراقصـون يتمايلون على نغماتها، ويتقدمون ويتأخرون، ويلفون ويدورون، ويقبلون، ويدبرون، ويلتصقون ويبتعدون .

ثم تكلم الرئيـس روزفلت فى الراديو يشكـر المحتفلين ويرجـو لهم ليلة سعيدة ورقصا سعيدا.

واستمـر الـرقص الى أن أدرك شهـرزاد الصبـاح فسكتت عن الـرقص المباح وغير المبـاح، وقالـت له زميلتـه إن هناك حفلـة فوق العـادة فى فندق كارلتون لتناول طعام الافطار مع الكواكب والنجوم وأن هذه الحفلة سوف تدوم إلى الساعة الثامنة فى الصباح.

وسأل عن سعـر التذكـرة الواحـدة فعلم أنها خمسة جنيهـات، واعتذر طبعا عن الذهاب وقد وجد لذلك خمسة أعذار ! كل عذر منها يساوى جنيها!

○○○

ومن الأعيـاد الجميلة فى أمـريكا « يـوم الأم » و « يوم الأب » وفى هـذين اليـومين لا تعطل دواوين الحكـومـة، ولا تقفل المدارس أبـوابها، ولا تطلق المدافع، وإنما اختير للأم يـوما، يذكرها فيـه أبناؤها، فيقدم كـل ولد الى أمه هديـة صغيرة مهما كانت تـافهة فهى دليل على أنه يحس نحـوها بعـاطفة الحب والتقدير، فتشعر الأم التى تشقى لأولادها أن لها يوما خالدا فى الأيام

ويقيـم الأبناء مأدبة لأمهم فتجلس على المائدة وحولها أبناؤها، وللأب يوم آخر مثل يوم الأم.

وكم تمنى صاحبنـا ان تنقل هذه العادة الى بلادنا، وان نخصص يوما يحتفل فيه جميع الأبناء والبنات بآبائهم وأمهاتهم..

ففى يـوم ٢٦ يونيـو مثلا من كل عـام يحتفل كل فرد فى الـدولة بأمـه ويكفى ان يقـدم لها منديـلا أو صورة أو أى شـىء تافـه.. إن هذه الأعيـاد العاطفية لها أهميتها وقيمتها وأثرها فى قلب الأم والأب ..

كل سنة وأنت طيب

شعر صاحبنـا أن أعيادنا فى مصر أعياد ميتـة لا يشعر بها إلا الصغار. ولولا تعطيل مصالح الحكومة وإطلاق المدافع لما أحس بها الناس.

وصحيح أن أولاد البلـد يحتفلـون بها فيركـب « الجدعـان » العـربـات الكارو وإلى جـانبهم النساء فى الملايات اللف، والبنات فى أثـوابهن الصفراء والخضراء والحمـراء الشفتشى التى لا ذوق فيهـا ولا انسجـام ، وتسير العربـات الكارو والراكبـات ينشدن ويـرقصن ويغنين « سالمة يا سـلامة رحنـا وجينـا بـالسلامـة » كأنهم راحـوا القطب الشمالى أو صعـدوا قمـة «افيرست» بينما يكون المشـوار الذى راحـوه هو حـديقة الحيـوانات. فهل كانوا يشكون فى خروجهم سالمين من حديقة الحيوانات ؟

ولا يحلو للسيـدات فى بلادنـا الذهاب الى قـرافة الامـام أو باب الـوزير إلا يـوم العيـد، فيصـحبن أطفالهن، والخدم، والحشم، والكعك أبـو سكـر، والمنين والغريبة، لتحتفل الأسرة بالعيد فى دنيا القبور والعظام.

وهى عادة تـدل على الوفاء ولكنهـا لا تدل على الـذوق السليم، فللموتى جلال خـاص، ولم تكن المقابر لـلأعياد والأفـراح، وكثيرا ما كان صـاحبنا يـرى الأطفـال يقفـون الى جانـب القبر ينفخون فى مـزمـار، أو يلعبـون « حاوريني يا طيطة » أو يتشاجرون على كحكة أو فص برتقال .

وكثيرا ما رأى طفلا صغيرا يتشعبط فوق « شاهد » مقبرة أو يقفز عليها وكأنه يتمرن استعدادا للأولمبياد الكبير.

وصحيح أن الأمـوات لا يشعرون ولكن هل الأحيـاء أيضـا فقـدوا نعمـة الاحساس والشعور.

وفى أمريكا لا يطلقون المدافع، ولا يركبون العربات الكارو ولا يزورون الأموات فى الأعياد، ولكنهم يعرفون كيف يحتفلون بالعيد..

فالزوج يقـدم لزوجته هدية يفـاجئها بها، والزوجة تقدم هـدية أخرى لزوجها ، وصحيح أن بعض هـذه الهدايا تافه لا قيمـة لها، ولكنها فى الواقع لها أثر طيب فى النفوس ، ولـو أن الزوج المصرى قد انتهز فرصـة هذا العيد مثلا وقـدم لزوجته هـدية فلسوف تعجـب الزوجة المصريـة بهذه المفاجأة ولسـوف تتشعلق فى صدر زوجهـا وهـات يا قبـلات. فهل هـو يحجم عن تقديم الأولى تجنبا للأخيرة أو الآخرة ؟ !

ومن خوازيق الأعياد فى أمريكا خازوق اسمه الزهور.

فإن الأصول والبروتـوكول والتقاليد فى أمـريكا أن تقدم للبنـات اللاتى تعرفهن باقة من الزهور فى كل عيد من الأعياد.

وإذا علمت أن عدد الأعياد فى أمريكـا أكثر من عدد المآتم فى مصر، ففيها عيد رأس السنـة، وعيد الميلاد ، وعيـد الفصح، وعيد الربيع، وعيـد الشكر، وعيد الحرية، وعشرون عيداً آخرون .

ثم إذا علمت ان ثمن الـزهـرة المغمضة فى أمـريكـا خمسة قـروش وأن الدستة فى بعض أصناف الزهور تصل الى ثمانية جنيهات.

إذا علمت كل هـذا فأخـرج من فضلك ورقـة وقلما واحسب كم يجب أن يدفع فى كل عام ثمنا للورد والريحان.

ولما كان صاحبنا طالبا فقيرا، فقد شعر منـذ يوم وصوله الى أمريكا بأنه فى ورطة لا يشار إليها بالبنان، ولكن يشار إليها بألف دولار.

لقد عاش طول حياته فى مصر لا يذكر أنـه قدم لفتاة باقة ورد أو حزمة جرجير.

وهرش رأسه كعادته باحثا عن فكرة جهنمية أو حل سعيد.

ولم يتعب فى هـرش رأسه هذه المرة لأن شعـر رأسه تسـاقط مع أوراق الخريف ولم يبق إلا بضع شعـرات، يفـرقهـا حينـا الى اليسـار وحينـا إلى اليمين، وحينـا يتركهـا واقفـة إلى أعلى كنصب تذكـارى للشعـر الـذى راح ضحية الهوى والشباب والبريانتين .

وأخيرا اكتشف حـلا مـدهشا فأعلن على رؤوس الأشهـاد فى بـلاد العم سام أن عادة تقديم الزهور فى الأعياد عادة يتشاءم منها المصريون. !!

وأنهم فى مصر لا يقـدمـون الزهـور إلا فى المآتم والجنـازات والأحـوال الأخرى التى تنشرها الصحف تحت عنوان « إنا لله وإنا إليه راجعون »!!

ونجحت الكذبة.. وهكذا وفر على جيبه عدة جنيهات.

وفى أحـد الأعـوام أراد حضـور إحـدى سهـرات رأس السنـة فى فنـدق مشهور وسأل عن سعر العشاء فعلم أنه ثـلاثة جنيهات للنفر الواحد، وإذا دعا فتاة معه فإن هذا يكلفه ستة جنيهات خلاف ما سوف تشربه الفتاة من شمبانيا وكوكتيل.

فذهـب وحده وأمره إلى الله.. ودار الـرقص على نغمات الأوركسترا بينما كـان كل من فى الفنـدق يضحـك ويصخب ويغنى، ووزعت على الحاضرين الطـراطير فـوضع أحـدهما على رأســه.. ومن المصـادفـات المضحكـة أن الطرطور الذى صادفه كان عبارة عن طربوش !..

وكان وراءه بعض القسس جالسين، وكـانوا يصخبون هـم الآخرون، ويزمرون مع المزمرين ويشربون الشامبانيا فى صحة العام الجديد.

والقسس فى أمريكا « أسبور » لا مثل أعضاء هيئة كبار العلماء.

وكان كل شىء فى المكـان يضحك ويبتسم، وكان الجرسونـات يحملون الأطعمة الى الموائد ويسيرون وكأنهم يرقصون.

وكان جميع الـرجال فى ثـوب الفراك الأنيق ذى الـذيل الطويل واليـاقة البيضـاء، وكـانت النسـاء فى أجمل أشكـالهن، أذرعتهن البضـة عـاريـة، صدورهن وظهورهن عارية أيضـا، وأثوابهن الزاهية تعكس الأنوار البراقة على الموائد المتناثرة حول صالة الرقص.

وفى السـاعة الثـانيـة عشرة تمامـا أطفئت الأنـوار خمس دقائق وسـاد الهرج والمرج والظلام.

والتقاليـد فى تلك اللحظة أن تقبل أى فتاة بجـانبك تعرفها أو لا تعـرفها فخمس دقائق فى عمر أى فتاة ليست بالشىء الكثير.

وأطفئت الأنوار.. وسـاد الظلام الحالك، وشعر بفتاة الى جـانبه، وأحس

بجسمها الساخن الى جانب جسمه.. وأمسك يدها وضمها الى صدره وقبلها احتفالا بالعيد السعيد.

ولم تقل الفتاة شيئا، ولم تمانع، ولم تصح : حشونى يا هوه..

ثم اضيئت الأنوار.. وإذا بقرة عينه فى هذه المرة ليس أكثر من.. قسيس!

وكان يجب أن يغمى عليه، ولكن المصاب كان أفدح من أن ينتهى بالاغماء.

وابتسم الرجل فى تجمل ورثاء وقال له :

« كل سنة وأنت طيب .. ! ».

ونال بعضهم فى الظلام قبلات كالشهد، ونال البعض الآخر قبلات كالصلب، واستفاد صديق عجوز فى الظلام فخرج من المعمعة وعلى صلعته بصمات لشفاه مختلفة، وكان الرجل العجوز يشكو من أن رأس السنة يأتى مرة واحدة كل عام!

وفى ساعة إطفاء الأنوار يحدث الناس كل الأصوات العالية الممكنة حتى يضيع صوت طرقعة القبلات بين الصراخ والصياح، وأصوات الطبول والمزامير.. ثم تضاء الأنوار فيقول ناس إن طعم السنة الجديدة كالعسل، ويقول آخرون إن طعم السنة كالزفت والقطران!

وعاد إلى بلاده متعصبا من جديد ، يفضل ركوب العربات الكارو، وزيارة الأموات فى الأعياد، على إطفاء الأنوار.. والتقبيل فى الظلام.

○○○

١٠ رجع صاحبنا .. !

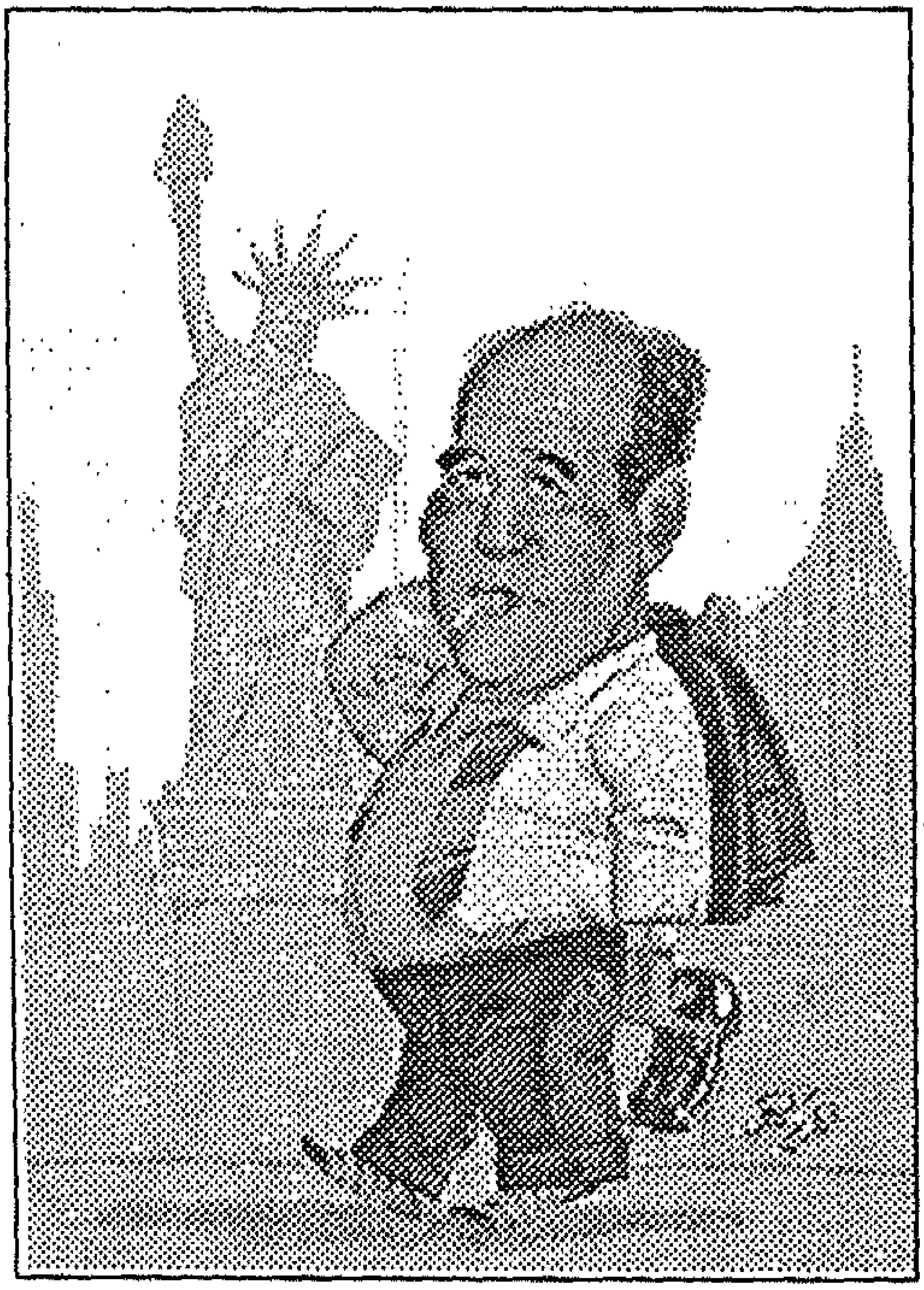

■ أمريكا الضاحكة ■ أمريكا الضاحكة ■

١٠

رجع صاحبنا

رجع صاحبنا الى بلاده حائرا، تتقاذفه ثقافتان تشده من إحدى يديه تقاليد عتيقة وحياة ساكنة هادئة، وتجذبه من يده الأخرى حياة متحركة مرحة تتجدد فى كل لحظة !

وقد أحبَّ صاحبنا أمريكا، ولكنه قبل ذلك، أحب بلاده، وما الحب إلا للحبيب الأول ! وهكذا لم يترك أمريكا مجنونا بكل شىء فيها، فلم يتزوج من أمريكية لأنه لا يزال يؤمن بأن الفتاة المصرية تستطيع لو أرادت أن تكون خير الزوجات، ولم يخلط كلامه باللكنة الأمريكية لأنه لا يزال يعتقد أن اللغة العربية تستطيع ببساطتها أن تؤدى كل المعانى، ولم يعد الى بلاده وهو يقول لأهلها : إنكم متأخرون جاهلون، واقفون نائمون ! بينما أهل أمريكا يتقدمون ويتعلمون ويتحركون ويستيقظون!

كلا ! لم يقل صاحبنا هذا، فقد وجد فى أمريكا نقائص كما وجد فيها مزايا، وأولى النقائص التى لم يستطع أن يفهمها ـ كشرقى ـ روح المادية التى صبغت كل شىء بلون الدولار ! فكل من فى أمريكا يتكلم عن المال، والأمريكى يفخر بأن يكسب صفقة كما يفخر الروسى بأن يكسب موقعة وكما يفخر الشرقى بأن ينال رتبة أو وساماً ! وكلمة « المليون دولار » دخلت آداب اللغة الأمريكية بعد أن كان مكانها دفاتر الحسابات ! تسأل

أمريكيا : كيف حالك ؟ فيقول : « حالى مدهش كمليون دولار » I feel Like a million dolars وتسـمـع شابا أمريكيا يصـف فتـاة بأنها جميلة كمليون دولار ! أو يقول إن ثقافة فلان تساوى نصـف المليـون، أو ترى شابا يركع على قدميه ويناجى فتاة قائلا : « إننى أحبك مثلما أحب مليون دولار » !

وكل شىء فى أمريكـا يتكلم بلغة الأرقام، فقيمة الـرجل بما يملك، وقيمة الكتـاب بالمبلغ الـذى بيع بـه ، وقيمــة الفيلم بمقدار دخلـه، وقيمـة الممثل بما يدره اسمه على شباك التذاكر !

ويمتاز الأمريكى بقدرته على أن يصبح صـديقك بسرعة غريبة، ما يكاد يعرفك حتى يضربك على ظهـرك، ويقول لك « يا واد » Boy ويشعرك كأنه صــاحبك من عشرات السنين، ويحبك ويفكـر فيك، ويتمنى لك النجــاح والتوفيق ، بعكس الانجليزى الذى يتحفظ فى صـداقته، فقد حدث ان تعرف انجليزى بصــاحبنا وكـان الانجليزى يكتب اليـه كل يوم خطـابا لمدة عشر سنوات ولا ينـاديه إلا : « يا سيـدى » وفى بداية السنـة الحادية عشرة كتب إليه يقول : « اغفر لى جرأتى وتسرعى عندما أناديك يا صديقى » !

ويقـول بعض النـاس : إن الأمـريكى يصبح صـديقك سريعـا، ولكنـه لا يؤدى لك ثمن الصداقة ، فهو يجمــع الصداقات كما يجمع طوابع البريد، ويروون أن أمـريكيا رأى صديقا لـه يغرق فى البحر، فـوقف على الشاطىء يقول آسفـاً : هذا صديق عـزيز أعـرفه منذ عشر سنـوات.. ولم يفكر فى أن يقفز الى البحر لإنقاذه !

وصاحبنـا طبعا لا يظن أن هذه القصـة تمثـل عقلية الصداقة الأمـريكية ولعل موقف أمريكـا عند مؤتمر الصلح القادم سيدل إذا كـانت هذه القصة تمثل الصداقــة الأمريكيـة أم لا ؟ بل إن صـاحبنــا يرى أن الأمـريكى كفرد، يمكن الاعتماد عليـه، ويمكن أن تلجأ إليه فى شـدتك ، ولكنه لا يفهم الشــدة كما نفهمهـا نحن الشرقيين ، فــالـرجل هنـاك يفلس عـدة مـرات، ويصبح مليونيرا عدة مرات، ومهما أصيب بنكبة فإنـه يقرر أن يبدأ من جديد، ولهذا قـد يظن الأمـريكى الــذى رأى صـديقـه يغـرق أن الصـديق إنما يحاول الانتحـار، أو يجرب اختراعـا جديـدا، فلهـذا يفضل أن يبقى على الشاطىء حتى لا يتدخل فى « مسألة شخصية » .

بينما الصديق المصرى إذا رأى صديقا لـه يغرق، ألقى بنفسه فى البحر، ثم بعـد ذلك يكتشف المنقذ أنـه لا يعرف السبـاحة ، فيغـرقان معـا، بينما لو بقى على الشاطىء لأمكنه أن يساعد أسرة الفقيد !.

والصديق الانجليـزى إذا رأى زميلا لـه يغرق، خلع مـلابسه، ثم ألقى بنفسـه فى البحر، وأسرع لإنقـاذ زميله، فإذا أنقـذه وعـاد به الى الشـاطىء التفت الى الـواقفين قائلا : « انتهـزت فرصـة انقـاذه وعقدت معـه معاهـدة تجاريـة فى مصلحة الامبراطـورية » ! أو تسـاءل : ألا يوجـد عندكم وسـام للشجاعة ؟

والصـديق الفرنسى يكتفى بأن يصرخ بأعلى صـوته، وهـو واقف على الشـاطىء « انقذوه .. الحقوه ! ».

والصــديق الايطـالى يحملق الى البحـر ويقول : « انتظـر .. انتظـر.. إن حلفاءنا الألمان سيحضرون لإنقاذك » !

والصديق الألمانى ، لا يتردد بل يلقى بنفسه الى البحـر بشجاعة ويسبح إلى الغريق الذى يكافح الأمواج ثم يعـود دون أن ينقذه ويقول : « أظاهر أنه يهودى » .

○○○

ومن الأمور التى لها تعجب صـاحبنا فى أمريكا معاملـة البيض للسود، ففى هذه البـلاد التى تؤمن بالحريـة إيمانها بالـدين ، والتى نصبت تمثال الحرية على رصيف مينـائها الأول فى نيويـورك وجعلت هذا التمثـال عبارة عن امرأة تحمل مشعـلا يضىء الطريق للقادمين الى أرض الحريـة، فى هذه البلاد التى وضعت الحريات الأربع ونادت بها وحاربت فى سبيلها ، لا يزال أغلب النـاس يفرقـون بين البيض والسود، فـلا تستطيع امرأة بيضـاء أن تتزوج رجـلا أسود، وإلا فسيقتل العريـس رميا بالـرصاص ! وخصصت للسود فنـادق ودور سينما ومطاعم خـاصة بهم، فلا تجد رجـلا أسود فى مطـاعم البيض، وجـامعـات البيض التى تعلم الحريـة والمسـاواة لا تفتح أبوابها للسود، فطبقـة السود منبوذة، بل إنها كانت إلى سنـوات قليلة طبقة مضطهدة، إذا اعتـدى أسود على فتاة بيضـاء تجمَّع حوله النـاس الطيبون

وأحرقوه ، بينما لو ارتكب أبيض نفس الجريمة فإنه يقدم إلى المحاكمة ويحبس بضع سنوات !

وقد بدأت حركة لتحرير السود، وكان روزفلت من أول الذين دعوا إلى هذه المساواة، فهاجمته الصحف، واتهمته صحف ولايات الجنوب بأنه كان يدعو الى التخفيف من اضطهاد السود، وتلك تهمة خطيرة فى أمريكا !

بل إن الدستور الأمريكى منح السود حق الانتخاب كالبيض، ولكن فى بعض ولايات الجنوب، لا يزال البيض يقتلون كل أسود يحاول أن يذهب إلى صندوق الانتخاب لإعطاء صوته !

ومما يفخر به صاحبنا أن مصر من الأمم البيضاء القليلة فى العالم التى لا تفرق بين الألوان، والتى تؤمن بأن اللون لا يبعث على تفضيل فرد على فرد، حتى إن بعض أمرائنا تزوج من حبشيات، وكانت هذه الزيجات موضع احترام الرأى العام .

ولا شك أن معاملة السود فى أمريكا هى النقطة السوداء الظاهرة فى المدنيّة الأمريكية البيضاء ..

○○○

رجع صاحبنا الى مصر يتمنى لو أن بلاده استفادت بأجمل ما فى بلاد العم سام ، واحتفظت لنفسها بأجمل ما فيها .

عاد يتمني أن تتعلم بلاده أن تضحك بدلاً من هذه الكآبة وهذا العبوس وأن تعمل بدلاً من هذا السكون، وأن تتحرك بدلاً من هذا الجمود !

عاد يتمنى لو أن بلاده استطاعت أن تكون فى الشرق « دنيا جديدة » وأن يغمرها دم جديد ، وجيل جديد ، وأمل جديد .

فلتضحك مصر !

فقد ذهب عهد الدموع !

○○○

رقم الإيداع ٩٦٠٧ / ٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 08 - 0304 - 9